جريمة

في بلاد الرافدين

أجاثا كريستي



إهداء إلى
أصدقائي الكثيرين من علماء الآثار
في العراق وسوريا

المقدمة

للدكتور" جايلز رايلى"

وقعت الأحداث المسجلة فى هذه الرواية منذ ٤ أعوام تقريباً ، وقد اقتضت الظروف فى رأيى سردها بكل وضوح وصراحة للجميع . كانت هناك إشاعات سخيفة ومبالغ فيها تشير إلى وجود أدلة قوية تم إخفاؤها وهراء وخرافات أخرى من هذا القبيل ، وكثر ظهور هذه الأفكار المغلوطة فى الصحافة الأمريكية بشكل لافت للنظر .

ولأسباب واضحة لم أشأ أن يكتب هذه الرواية أحد أعضاء البعثة الاستكشافية الذى قد يكون متحيزاً لسبب أو لآخر .

وبالتالى طلبت من الآنسة آمي ليذرين تولى مهمة سرد الأحداث ؛ فهى الشخص المناسب جداً لهذه المهمة ، فلديها حس مهنى عال ، كما أنها ليست متحيزة ؛ لأنه ما من علاقة تربطها ببعثة جامعة بيتستاون إلى العراق ، كما كانت ملاحظة لكل الأحداث وتعتبر شاهد عيان ذكيًا .

لم يكن من السهل إقناعها بتولى هذه المهمة ـ فى الواقع كان إقناعها من أصعب المهام فى حياتى الوظيفية ـ وحتى بعد انتهائها من المهمة أظهرت رفضاً غريباً يدعو للفضول بأن تجعلنى أرى مخطوطة ما دونته من أحداث . اكتشفت أن هذا جزئياً بسبب بعض الملحوظات التى ذكرتها وتنتقد فيها ابنتى شيلا ، لكنى سرعان ما طمأنتها وقلت إن الأبناء والآباء ينتقدون بحرية فى شكل كتابى ومطبوع اليوم ، وسيفرح الآباء عندما ينال الأبناء نصيبهم فى الانتقاد ! كان اعتراضها الآخر هو التواضع الشديد إزاء أسلوبها الأدبى . كانت تأمل أننى سأصلح لها النص من الناحية اللغوية ، لكنى على العكس تماماً رفضت تغيير كلمة واحدة . كان أسلوبها فى رأيى متفرداً ومتميزاً وقوياً ومناسباً للغرض ، وإذا كانت تدعو هيركيول بوارو " بوارو " فى فقرة ، وفى الفقرة التالية " السيد بوارو " فإن هذا التنوع مثير وموح . وقد يجدر بى القول بأنها فى لحظة قد تراعى آداب السلوك (وممرضات المستشفيات يلتزمن بشدة بآداب السلوك) وفى لحظة أخرى يغلب اهتمامها بما تقوله وترويه كاهتمام إنسان برىء ونقى ـ وتنسى كل الآداب والسلوكيات اللائقة !

الشىء الوحيد الذى فعلته هو أننى سمحت لنفسى بكتابة الفصل الأول ـ بالاستعانة بخطاب أعطاه لى مشكوراً أحد أصدقاء الآنسة ليذرين ، وهدف هذا الفصل أنه بمثابة بورتريه ، أو وصف تقريبى لشخصية راوية الأحداث .

الفصل ١

بورتريه

في قاعة فندق " قصر دجلة " في بغداد كانت ممرضة المستشفى تنهى كتابة خطابها ، وكان قلمها الحبر يجرى بسلاسة وبسرعة على الورقة :

" ... حسناً يا عزيزتي ، أعتقد أن تلك كل أخبارى . ينبغى أن أقول إنه من اللطيف السياحة حول العالم ورؤية أماكن مختلفة به ـ لكن بلدى إنجلترا دائماً فى ذهنى ، شكراً لك . الجو ليس رومانسيًا كما ظننت من قصص ألف ليلة وليلة ! بالطبع المنظر الجميل فقط على ضفة النهر ، ولا توجد متاجر جيدة على الإطلاق . اصطحبنى الميجور كليزى للتسوق عبر البازارات ، ولا أنكر أنها طريفة ـ لكن ما بها مجرد أشياء بلا قيمة . الطرق طوال الوقت على النحاس والأوانى النحاسية يصيب المرء بالصداع ، ولن أرغب فى استخدام الأوانى إلا إذا تأكدت من طرق تنظيفها ، وعلى المرء الاحتراس من صدأ النحاس على الأوانى النحاسية .

سأكتب لك لأخبرك إن حدث أى شىء بخصوص الوظيفة التى ذكرها د. رايلى ، لقد قال إن هذا الرجل الأمريكى فى بغداد الآن وقد يأتى ليرانى عصر هذا اليوم . ويريدنى لرعاية زوجته - تنتابها تهيؤات كما قال د. رايلى . لم يقل لى أكثر من ذلك ، وبالطبع يا عزيزتى نعرف عادةً ماذا يعنى ذلك (لكنى أتمنى ألا تكون حقاً هلاوس إدمان الخمر !) بالطبع لم يقل د. رايلى شيئاً لكن لديه نظرة خاصة للأمور - إن فهمت ما أقصده . هذا الرجل الأمريكى د. ليدنر يعمل عالم آثار ، ويحفر بحثاً عن الآثار ، وينقب عنها فى مكان ما فى تل فى الصحراء من أجل المتحف الأمريكى .

حسناً يا عزيزتى سأنهى الخطاب الآن . أعتقد أن ما أخبرتنى به عن " ستوبنز " الصغير شىء مدهش ومثير بكل بساطة ! ما رأى الراهبة راعية المستشفى ؟!

يكفى هذا الآن " .

مع حبى ،

" آمي ليذرين "

بعد أن وضعت الخطاب فى ظرف كتبت عليه اسم المرسل إليه الراهبة كيرشو ، مستشفى سانت كريستوفر ، لندن .

ثم وضعت الغطاء على سن القلم الحبر ؛ وعندئذٍ اقترب منها طفل عراقي صغير وقال لها :

" لقد أتى رجل ليراك يدعى السيد ليدنر " .

استدارت المرضة ليذرين ورأت رجلاً متوسط الطول والقامة وأكتافه منحنية قليلاً ، وله لحية بنية وعيون هادئة متعبة .

رأى د. ليدنر امرأة تبدو فى الخامسة والثلاثين ولها قامة منتصبة فى ثقة ، ورأى وجهها المرح ، وعينيها الزرقاوين الجاحظتين قليلاً ، وشعرها البنى اللامع ، وبدت له ممرضة مظهرها مناسب جداً لرعاية حالة عصبية ، فقد بدت مرحة وقوية وذكية وجادة .

وقال لنفسه إن المرضة ليذرين ستنجح فى ذلك .

الفصل ٢

تقديم آمى ليذرين

أنا لا أدعى أننى مؤلفة أو كاتبة أو أننى أعرف أى شىء عن الكتابة . أنا أكتب ببساطة لأن د. رايلى طلب منى ذلك , وبطريقة ما عندما يطلب منك د. رايلى شيئاً لا تحب أن ترفض له طلباً .

قلت له " ياه يا دكتور ، لكنى لست أديبة أبدًا " .

قال لى : " هراء ! تعاملى مع الأمر كمجرد سرد للوقائع إن أردت "

حسناً ، بالطبع يمكنك النظر للأمور من هذا المنظور .

واصل د. رايلى الحديث وقال إن السرد الواضح البسيط غير المنقح أو المزين لمسألة تل ياريمجا هو ما يحتاج إليه بشدة .

" إذا كتب أحد أطراف الموضوع ما حدث لن يكون مقنعاً أو لدية مصداقية ، وسيقال إنه متحيز لسبب أو لآخر " .

وبالطبع كان لديه الحق فى ذلك أيضاً . لقد شهدت كل شىء , ومع ذلك كنت خارج الأحداث ، إن جاز التعبير .

سألته " لماذا لا تكتبه بنفسك يا دكتور ؟ "

قال لى وهو يتنهد : " لم أكن فى موقع الأحداث - بل أنت . كما أن ابنتى لن تدعنى أقوم بذلك "

إنها حقاً لطريقة مخزية تجلب العار , تلك الطريقة التى يخضع بها ويرضخ هذا الطبيب لابنته الوقحة . كنت أنوى قول ذلك له لولا أننى وجدت بريقاً فى عينيه . كان هذا أسوأ ما فى د. رايلى ؛ فلا تعرف أبداً هل يمزح أم لا . كان يقول دائماً كل شىء بنفس الطريقة البطيئة الهادئة الحزينة - لكن لنصف الوقت كانت عيناه تلمعان أثناء الكلام .

قلت له والشك يملأ قلبى : " حسناً ، ربما سأتمكن من الكتابة " .

" بالطبع ستتمكنين من ذلك "

" لكن لا أعرف بالضبط من أين أبدأ "

" هناك مبدأ جيد لهذا : ابدئى من البداية حتى تصلى للنهاية , ثم توقفى " .

قلت له بشك : " أنا حتى لا أعلم بالضبط أين وما هى البداية ؟ " .

" صدقينى أيتها الممرضة ، صعوبة البداية لن تمثل أى شىء مثل صعوبة كيفية التوقف ، على الأقل هذا الشأن

يحدث معى عندما أضطر لإلقاء خطاب على الملأ ، ويضطر أحدهم للإمساك بطرف معطفى ليجذبنى بالقوة لأجلس " .

" ياه ، أنت تمزح يا دكتور "

" أنا جاد جداً فيما أقول ، والآن ما رأيك ؟ "

كان هناك أمر آخر يقلقنى ، وبعد التردد للحظة أو لحظتين قلت له : " أتعرف يا دكتور ، أنا خائفة من أن أميل إلى ـ حسناً ـ إلى أن أتحدث من منظور شخصى فى أسلوبى أكثر من اللازم " .

" فليرحمنى الله يا امرأة ، كلما كان أسلوبك شخصيًّا كان ذلك أفضل جداً ؛ إنها قصة بها شخصيات من لحم ودم ، من البشر ـ وليس الدمى ! كونى شخصية أو متحيزة أو وقحة قليلاً ـ أو أى شىء تريدينه ! اكتبى الأمور بأسلوبك الخاص ، ويمكننا تهذيب الأمور التى تعتبر سباً وتشهيراً وقذفاً لاحقاً ! هيا ابدئى ؛ فأنت امرأة عاقلة ، وستكتبين سرداً عقلانياً لكل ما حدث من وقائع "

وهكذا قضى الأمر , ووعدت بأن أبذل كل ما فى وسعى .

وها أنا أبدأ القصة , لكن كما قلت للطبيب ، فمن الصعب أن تعرف من أين تبدأ .

أعتقد أنه ينبغى أن أقول بعض الأمور عن نفسى . عمرى ٣٢ عاماً واسمى آمى ليذرين وتدربت على التمريض

فى مستشفى سانت كريستوفر , وعملت كممرضة تحت التمرين لمدة عامين ، وأديت قدراً جيداً من العمل الخاص وعملت لمدة ٤ سنوات فى مدرسة تمريض الآنسة " بندكس " فى ديفونشاير . ذهبت إلى العراق مع السيدة كليزى واعتنيت بها أثناء ولادتها لطفلها . وكانت قد أتت إلى بغداد مع زوجها وقد أحضرت جليسة لأطفالها كانت تعمل لدى بعض صديقاتها ، وكان أطفالها يأتون للمنزل ويذهبون للمدرسة وتذهب المرضة للسيدة كليزى عندما يغادر الأطفال المنزل . كانت السيدة كليزى رقيقة وعصبية وضعيفة إزاء السفر والترحال مع طفلها الصغير , ولذلك رتب السيد كليزى لسفرى معهم لرعايتها هى وطفلها . وكانوا سيدفعون لى مصاريف رحلتى إلى أرض الوطن إلا إذا وجدوا شخصاً يحتاج لمرضة لرحلة العودة للوطن .

حسناً ، لا داعٍ لوصف عائلة كليزى ـ كان الصغير طفلاً جميلاً ومحبوباً , والسيدة كليزى سيدة لطيفة لكنها من النوع العصبى ، واستمتعتُ بالرحلة جداً ، ولم أسافر من قبل فى رحلة بحرية طويلة كهذه .

كان د. رايلى على متن السفينة وكان رجلاً شعره أسود وله وجه مستطيل . ويقول كل أنواع الدعابات والمزاح بصوت منخفض وحزين . أعتقد أنه كان يستمتع بمجاذبتى أطراف الحديث معه وكان معتاداً على قول عبارات غريبة وغير معتادة ليرى هل سأتقبلها أم لا . كان

يعمل جراحاً مدنياً فى مكان يطلق عليه اسم الحسنية - يبعد بمسافة رحلة يوم ونصف اليوم عن بغداد .

ظللت فى بغداد لمدة أسبوع عندما قابلته مرة أخرى بالصدفة وسألنى متى سأترك العمل مع عائلة كليزى . قلت له إنه شىء لطيف منه أن يسألنى عن ذلك ؛ لأن عائلة رايت (من تحدثت عنهم من قبل) سيعودون للوطن مبكراً عن الوقت الذى حددوه , وأنا كممرضة سأعود معهم للوطن .

قال لى إنه سمع عن عائلة رايت , ولذلك كان يسألنى وقال :

" فى الواقع أيتها الممرضة لدى عمل لك "

" رعاية حالة ؟ "

يجمد وجهه وكأنه يفكر ملياً .

" بالكاد نطلق عليها حالة ، بل هى مجرد سيدة تعانى من - دعينا نقل إنها تعانى من الهلاوس "

قلت له : " ياه ! "

" يخيل للمرء لدى سماعه ذلك أنه يعنى حالة إدمان مخدرات أو خمور ! " .

لم يزد د. رايلى فى الشرح ، وكان فى غاية السرية وقال : " نعم ، إنها سيدة لا تعرفينها ، السيدة ليدنر ، وزوجها رجل أمريكى - أمريكى من أصل سويدى لنتحرى الدقة ، وهو رئيس بعثة استكشافية كبرى للحفر والتنقيب عن الآثار " .

ثم شرح لى كيف تنقب هذه البعثة عن الآثار فى موقع لمدينة آشورية كبيرة مثل " نينوى " ، ومقر البعثة لا يبعد كثيراً عن الحسنية , لكنه مكان موحش , وقد كان الدكتور ليدنر قلقاً لبعض الوقت بشأن صحة زوجته .

" لم يشرح لى الأمر باستفاضة ، لكن يبدو أنها تنتابها نوبات متكررة من الذعر والعصبية " .

" هل يتركونها طوال النهار وحدها وسط الأهالى ؟ "

" كلا ، بل إنها فى مكان يعج بالناس ـ ٧ أو ٨ أشخاص ، ولا أظن أنها تظل وحدها فى المنزل ، ولا شك فى أن حالتها تدهورت وصارت غريبة جداً . مهما كان انشغال ليدنر بكم العمل الذى على كاهله لكنه يقلق بشدة بشأن زوجته ويقلقه معرفة حالتها هذه ، وشعر أنه سيكون أسعد حالاً إذا علم أن زوجته ستكون بصحبة شخص مسئول لديه معلومات وخبرة لرعايتها " .

" وما رأى السيدة ليدنر فى ذلك ؟ " .

قال د. رايلى بجدية

" السيدة ليدنر لطيفة جداً ولا تستقر على رأى واحد إزاء شىء ما لمدة يومين متواصلين ؛ لكن على العموم هى تؤيد الفكرة ، لكنها سيدة غريبة ، كتلة مشاعر وحب ، ثم على ما أعتقد كاذبة كبيرة لا يضاهيها أحد فى الكذب ـ لكن ليدنر يعتقد بصدق أنها تخشى بشدة أمورا محددة تسبب لها الفزع طوال حياتها "

" وماذا قالت لك بنفسها يا دكتور ؟ " .

" لم أوقع الكشف عليها ولم تطلب استشارتى ! فهى لا تحبنى على أية حال ـ لعدة أسباب . كان ليدنر قد جاءنى واقترح هذه الخطة . حسناً أيتها الممرضة ، ما رأيك فى هذه الفكرة ؟ ستشاهدين البلاد قبل العودة للوطن ـ سينقبون عن الآثار لمدة شهرين وهو عمل مثير للغاية "

بعد لحظة تردد بينما كنت أفكر ملياً فى الأمر فى ذهنى قلت له : " حسناً أعتقد أننى سأجرب " .

قال د. رايلى وهو يقوم من جلسته : " رائع ، ليدنر في بغداد الآن وسأخبره ليأتي ويرى هل سيتفق معك أم لا "

جاء د. ليدنر للفندق وقت العصر ، وكان رجلاً فى منتصف العمر ويتصرف بسلوك متردد وعصبى إلى حد ما ولكن كان سلوكه يوحى أيضاً بأنه عطوف وطيب القلب ولا حول له ولا قوة .

بدا مخلصاً لزوجته , لكنه غامض إزاء ما يحدث لها وعن حالتها .

نظر نحوى وجذب لحيته بشكل ينم عن الاضطراب والحيرة , وهو سلوك عرفت لاحقاً أنه يكرره كثيراً كعادة أساسية له , ثم قال : " كما ترين ، زوجتى فى حالة عصبية جداً , وأنا قلق جداً بشأنها " .

قلت له " هل صحتها البدنية جيدة ؟ " .

" نعم أظن ذلك ، لم تُصب بأى مرض بدنى من قبل ، لكنها ـ كما تعلمين تنتابها خيالات وهلاوس " .

قلت له : " مثل ماذا ؟ " .

لكنه هرب من مناقشة الأمر وهمس فقط فى حيرة واضطراب : " إنها ترهق نفسها وتنفعل على لا شىء ... إننى حقاً لا أستطيع أن أرى أى أساس لمخاوفها "

قلت له : " من أى شىء تخاف يا د. ليدنر ؟ "

قال بشكل مبهم وغير واضح : " مجرد حالات رعب عصبية ـ كما تعلمين "

قلت لنفسى إن الاحتمال الأكبر أنها مدمنة مخدرات وهو لا يدرك ذلك ! معظم الرجال لا تعرف ذلك ، ويتساءلون لماذا تعانى زوجاتهم من حالات عصبية ونوبات وتغيرات حادة فى الحالة المزاجية .

سألته إذا ما كانت زوجته ستوافق بنفسها على فكرة حضورى .

أشرق وجهه فجأة .

" نعم ، ولقد اندهشت وأسعدنى ذلك كثيراً . لقد قالت إنها فكرة جيدة جداً , وإنها ستشعر بأمان أكثر "

شعرت بغرابة الكلمة *"أمان أكثر"* ، إنها لكلمة غريبة استخدمها الرجل . بدأت أخمن أن حالة زوجته هى الجنون .

ثم واصل حديثه بحماس الأطفال :

" أنا متأكد من أنك ستتوافقين معها ؛ فهي سيدة ساحرة حقاً " , ثم ابتسم ليبدد ما ظهر من شكوك وقلق وأضاف قائلاً " إنها تشعر أنك ستكونين مصدر راحة كبيراً لها ، وشعرت بنفس الشيء عندما رأيتك . أنت تبدين ، إن سمحت لى بأن أقول ، فى موفور الصحة , ولا تنقصك الحكمة ورجاحة العقل , وأنا متأكد من أنك الشخص المناسب تماماً لزوجتى لويز " .

قلت بمرح : " حسناً لا مانع من التجربة يا دكتور بالطبع , وأتمنى أن أكون مفيدة ونافعة لزوجتك ، ربما هى عصبية ومتوترة من الأهالى والأناس ذوى اللغة المختلفة ، أليس كذلك ؟ " .

هز رأسه بالنفى وبدا يسخر من الفكرة وقال : " كلا بالطبع , زوجتى تحب العرب جداً ـ وتقدر بساطتهم فى الحياة وروح الدعابة التى تميزهم ، وهذا هو الموسم الثانى لها هنا ـ فلقد تزوجنا منذ أقل من عامين ـ وبالفعل تعلمت قدراً لا بأس به من اللغة العربية وصارت تتحدثها "

ظللت صامتة لدقيقة أو دقيقتين , ثم قلت له مرة أخرى :

" ألا يمكنك أن تخبرنى بما تخافه زوجتك يا دكتور ليدنر ؟ "

تردد قليلاً ثم قال لى ببطء : " أتمنى أن تخبرك هى بنفسها " .

وكان هذا كل ما استطعت معرفته منه .

الفصل ٣

النميمة

وقعت الترتيبات بحيث سأتوجه إلى تل ياريمجا في الأسبوع التالى .

كانت السيدة كليزى تستقر في منزلها في منطقة " العلوية " وأسعدنى مساعدتها بتحمل أداء بعض المهام من على كاهلها .

أثناء ذلك الوقت سمعت تلميحاً أو اثنين عن بعثة د. ليدنر ، وكان هناك صديق للسيدة كليزى يعمل كقائد لكتيبة فى الجيش يعقد شفتيه فى دهشة وصاح : " لويز الجميلة ، إذن هذه آخر أخبارها ! " ; وقال لى " هذا اسم التدليل لها أيتها المرضة ؛ فهى معروفة باسم لويز الجميلة "

سألته " هل هى جميلة حقاً إذن ؟ "

" بل هذا اعتقادها عن نفسها ! " .

قالت السيدة كليزى : " لا تكن حقوداً وشرساً يا جون ، أنت تعرف أنها ليست الوحيدة التى تظن

نفسها جميلة ! الكثير من الناس ينبهرون بجمالها الأخاذ " .

" ربما تكونين على حق ، صحيح أسنانها طويلة , لكنها جذابة " .

قالت السيدة كليزى ضاحكة : " لقد انبهرت أنت نفسك بجمالها تماماً "

احمر وجه قائد الكتيبة خجلاً واعترف بخجل : " حسناً ، لها سحرها الخاص ، وبالنسبة للدكتور ليدنر نفسه فهو يعشق الأرض التى تسير عليها - وكذلك باقى أعضاء البعثة ! فهذا متوقع منهم ! "

سألته : " كم عدد الناس هنا معاً ؟ "

قال قائد الكتيبة بمرح : " من كل الأنواع والجنسيات أيتها المرضة ، مهندس إنجليزى ، رجل دين فرنسى من قرطاجة - يقوم بأعمال كتابية وما شابه ، وهناك الآنسة جونسون وهى إنجليزية أيضاً ومهمتها غسيل الزجاج ، وهناك رجل قصير سمين مصور فوتوغرافى وهو أمريكى , وهناك عائلة ميركادو - لا أعلم جنسيتهم - وهناك " داجوس " ! إنها شابة وتبدو نحيلة كالثعبان ورياه ؛ لكم تكره لويز الجميلة ! وهناك طفلان ، وهذا كل شيء . إنهم قوم غريبو الأطوار , ولكن ظرفاء على وجه العموم ، أليس كذلك يا بنيمان ؟ " .

كان يوجه حواره لرجل عجوز يجلس ويعبث بكل تركيز بنظارة , ثم انتبه فجأة ونظر لأعلى .

قال العجوز : " نعم ، نعم ظرفاء حقاً ، كل على حدة ، بالطبع ميركادو شخص غريب الأطوار و ... " .

قالت السيدة كليزى : " لديه لحية غريبة جداً وهو شخص غريب الأطوار جداً " .

واصل الميجور بنيمان حديثه دون الانتباه أو الاكتراث بمقاطعتها له :

" الطفلان ظريفان جداً ، كلاهما ، والرجل الأمريكي صامت أكثر من اللازم ، والولد الإنجليزى يثرثر كثيراً . من المضحك أن العكس دائماً يحدث ، حتى ليدنر نفسه رجل رائع - متواضع جداً . نعم فكل على حدة شخصية ظريفة ، لكن بطريقة ما ، قد أتخيل أنه فى آخر مرة زرتهم لمست انطباعاً غريباً بأن ثمة ما يسوء . لا أعرف ما هو بالضبط لكن ... لا يبدو أحد منهم على طبيعته . هناك جو غريب مشحون بالتوتر , وسأشرح ما أعنيه بأفضل طريقة بأن أقول إن كلاً منهم كان يمرر الزبد على الإفطار للآخر بكل أدب زائد عن الحد "

قلت بخجل لأننى لا أحب الإدلاء برأيى كثيراً : " إذا تعاون الناس معاً أكثر من اللازم لابد أن هناك ما يضغط على أعصابهم أكثر من اللازم ، وأعرف ذلك من خلال خبرتى بالعمل فى المستشفيات " .

قال الميجور كليزى : " هذا حقيقى ، لكننا فى بداية الموسم , وهو بالكاد الوقت الذى تحدث فيه أى أمور خاصة تسبب الضيق "

قال الميجور بنيمان : " ربما تشبه البعثة حياتنا هنا على نحو مصغر ؛ فإن بها جماعات ومنافساتها وأحقادها " .

قال الميجور كليزى : " ربما جاءهم زائرون جدد كثيرون هذا العام "

قال قائد الكتيبة وهو يعد على أصابعه " دعنا نر ، الشاب كولمان وافد جديد ، وكذلك رايتر ، وإيموت جاء العام الماضى وكذلك عائلة ميركادو ، ورجل الدين لافينى وافد جديد , وقد حضر بديلاً عن الدكتور بيرد الذى سقط مريضاً هذا العام ولم يحضر . كارى مساعد قديم معهم منذ البداية أى منذ خمسة أعوام ، وكذلك تقريباً الآنسة جونسون "

قال الميجور كليزى : " ظننت دائماً أنهم منسجمون معاً فى تل ياريمجا ، وبدوا كعائلة سعيدة ـ مما يدهشنا إذا فكرنا فى الطبيعة البشرية ! أنا متأكد من أن الممرضة ليذرين توافقنى الرأى "

قلت له : " حسناً ، لا أعلم هل أنت على صواب أم لا ! المشاجرات التى شهدتها فى المستشفى كانت غالبا تبدأ من لا شيء لا تعدو كونها نزاعاً على إبريق شاى "

قال الميجور بنيمان " نعم , والمرء يميل لأن يتضايق بسرعة ويتشاجر لأسباب تافهة فى الجماعات المنغلقة ، وعلى أية حال شعرت بأن ذلك ينطبق على هذه الحالة ، ليدنر رجل لطيف ومتواضع ولبق جداً بشكل ملحوظ ،

وتمكن دائماً من أن يجعل أفراد البعثة سعداء وفى علاقات جيدة مع بعضهم البعض , لكن لاحظت أيضاً مشاعر التوتر فى يوم آخر " .

ضحكت السيدة كليزى وقالت :

" ولم تلاحظ تفسير ذلك ؟ إنه واضح كالشمس ! " .

" ماذا تعنى ؟ "

" السيدة ليدنر بالطبع " .

قال زوجها : " بالله عليك يا مارى ، إنها سيدة رائعة ـ وليست من النوع الذى يتشاجر " .

" لم أقل إنها تميل إلى الشجار بل تسبب المشاكل والشجار ! "

" كيف ذلك ؟ ولماذا ؟ "

" لماذا ؟ لأنها تشعر بالملل ، فهى ليست عالمة آثار بل زوجة عالم آثار ، وهى بعيدة عن كل الإثارة فى هذا العمل الأثرى , ولذلك فإنها توفر لنفسها أسلوبًا للمتعة ، وتسلى نفسها بأن تجعل مَنْ حولها يتشاجرون لتتفرج عليهم " .

" كلا يا مارى ؛ فأنت لا تعلمين عنها إلا القليل ، بل أنت تتخيلين ذلك "

" بالطبع أنا أتخيل ! لكنك ستجد أننى على حق ، لويز الجميلة ليست تشبه الموناليزا من فراغ ! قد لا تتعمد أن تؤذى أحداً لكنها تحب رؤية الشجار بين الآخرين " .

" بل هى تحب زوجها ليدنر بشدة وتكرس حياتها له "

" ياه ، يا ربى ، لا أعنى أنها تحيك الدسائس والمكائد الحقيرة ؛ بل إنها امرأة " *مثيرة للمشاكل* " فقط "

قال الميجور كليزى : " لكن النساء طيبات مع بعضهن البعض "

" أعرف رأى كل الرجال عن النساء ، لكن آراءك صحيحة عن جنسك فقط "

بعد التفكير بإمعان قال الميجور بنيمان : " على أية حال ؛ لنفترض أن تخمينات زوجتك صحيحة ، على الرغمِ من سلبية هذه التخمينات ، فلا أظن أنها ستكون مبررا لهذا الشعور الغريب بالتوتر ـ إنه كالهدوء الذى يسبق العاصفة التى ستهب فى أية لحظة " .

قالت السيدة كليزى : " لا تُخِفِ المرضة ، فستذهب إليهم فى غضون ثلاثة أيام ، وهكذا ستخيفها بحديثك هذا "

قلت ضاحكة : " أوه كلا ، لن تخيفنى " .

على الرغم من ذلك فكرت بتمعن كثيراً عما قيل أمامى . تذكرت ما قاله الدكتور ليدنر بأن بقائى مع زوجته سيجعل الأمر أكثر " أمناً " . هل خوف زوجته السرى الذى لا يعترفون به ولا تعبر عنه ربما هو سبب

ردود أفعالها مع باقى العائلة ؟ أو ربما التوتر الحـالى (أو سببه غير المعروف) يؤثر على أعصابها ؟

فكرت فى كلمة " *مثيرة للمشاكل* " التى قالتها السيدة كليزى بالفرنسية ولم أفهم لماذا قالت ذلك .

قلت لنفسى : " حسناً ، سأنتظر وسـأعرف لاحقـاً مـا تخبئه لى الأيام القادمة "

الفصل ٤

وصولي إلى الحسنية

بعد ثلاثة أيام وصلت إلى بغداد .

كنت آسفة وحزينة لفراق السيدة كليزى والرضيعة الجميلة المحبوبة التي كانت تنمو بصحة وبسرعة ويزيد وزنها كما يجب كل أسبوع بالمقدار الصحيح . اصطحبني الميجور كليزى إلى المحطة ليودعني ، وكان يجب أن أصل إلى " كركوك " في الصباح التالى وسأجد من يقابلني .

نمت نوماً مضطرباً ؛ حيث إنني لم أنم في حياتي كما يجب في أى قطار ، وانتابتني الكوابيس . لكن في الصباح التالى نظرت من النافذة وكان الجو جميلاً وشعرت بالإثارة وملأني الفضول والشغف بما سأراه من أمور وأشخاص .

بينما وقفت في رصيف المحطة وأنا مترددة وأنظر حولي رأيت شاباً يأتي نحوى وكان وجهه مستديراً ومتورداً

ولم أر من قبل في حياتي شخصاً بمثل هذه الوسامة كما في أبطال القصص والروايات .

قال لي : " هل أنتِ المرضة ليذرين ؟ أعني لابد أنك هي ـ يمكنني معرفة ذلك ، ها ها ها ! اسمي كولمان . وأرسلني د. ليدنر لأصطحبك من المحطة . كيف حالك ؟ بالتأكيد كانت رحلة شاقة ، أليس كذلك ؟ أنا أعرف هذه القطارات ! حسناً ، هيا ـ هل تناولت إفطارك ؟ هل هذه حقيبتك ؟ أنت متواضعة جداً أليس كذلك ؟ السيدة ليدنر لديها أربع حقائب كبيرة وحقيبة صغيرة ـ هذا بخلاف حقيبة القبعات ووسادة جلدية ، وأمور أخرى كثيرة . هل أثرثر كثيراً ؟ هيا نستقل الحافلة " .

كان في انتظارنا ما علمت لاحقاً أن اسمه عربة المحطة وكانت تقف بالخارج ، وكانت صغيرة الحجم ، تبدو كالشاحنة وصغيرة كالسيارة . ساعدني السيد كولمان وقال إنه من الأفضل أن أجلس بجوار السائق حتى لا يزاحمني ويدفعني الناس .

تزاحم الناس ! بل إنني أتساءل كيف لن تنهار هذه العربة وتتفكك إلى أجزاء ! وحتى الطريق لا يبدو ممهداً ـ مجرد شارع صغير ملىء بالحفر والمطبات .

مال كولمان نحوى من الخلف في مقعده وصاح في أذني بشدة وقال :

" الطريق بحالة جيدة " وكنا نقفز في مقاعدنا من كثرة المطبات لدرجة أن رءوسنا تكاد تلمس السقف .

وكان يبدو أنه يتحدث بكل جدية .

صاح بى : " هذا القفز مفيد لتنشيط الكبد ـ تعرفين ذلك بالتأكيد أيتها الممرضة " .

قلت بحرقة : " لن يفيدنى تنشيط الكبد مادام رأسى سيتحطم "

" كان يجب أن تأتي بعد سقوط الأمطار ! الزلاجات مدهشة وتدفع المرء دائماً للتمرس السلس "

لم أجد رداً أقوله على هذا التعليق .

بعد ذلك اضطررنا لعبور النهر عبر معدية من المستحيل تخيل مدى السوء الذى بها ، ومن رحمة الله بنا أننا عبرنا النهر ولم نغرق ، لكن كان الأمر يبدو اعتيادياً لباقى الركاب .

وصلنا الحسنية بعد حوالى ٤ ساعات واندهشت لأنها مكان كبير وجميل كما يبدو من الجانب الآخر من النهر ـ تبدو من بعيد بيضاء عبر الأفق بمآذنها الشامخة . لكن الأمر اختلف قليلاً بعد عبور الجسر والوصول للمكان ؛ فقد كانت هناك بعض المناطق فى حالة من الفوضى .

اصطحبنى كولمان لمنزل الدكتور رايلى ؛ حيث قال إنه سيكون بانتظارى على الغداء .

كان د. رايلى لطيفاً كعادته ، ومنزله كان لطيفاً أيضاً وبه حمام وكل شىء فى قمة النظافة ؛ فأخذت حماماً منعشاً وعندما ارتديت ملابسى ونزلت كانت حالتى قد تحسنت .

كان الغداء معداً ودخلنا لحجرة السفرة ؛ واعتذر الدكتور لأننا سننتظر ابنته التى تتأخر دائماً ، ثم بدأنا فى تناول طبق جيد من البيض بالصلصة عندما جاءت الابنة ، وقال لى الدكتور رايلى : " هذه ابنتى شيلا أيتها الممرضة " .

تصافحنا بالأيدى وتمنت أن رحلتى كانت جيدة ، ثم خلعت قبعتها وألقتها وانحنت ببرود لكولمان وجلست .

قالت : " حسناً يا بيل ، كيف الحال ؟ " .

بدأ يتحدث لها عن جماعة النادى التى ستأتى وبدأت ألاحظ هذه الفتاة .

بل يمكننى القول بأنها تروق لى ؛ فهى وقحة وجريئة وباردة المشاعر على الرغم من جمالها . كانت سوداء الشعر وزرقاء العينين وتتحدث باستهجان وبرود بشكل أثار حفيظتى . كانت هناك ممرضة تحت التمرين أشرف عليها فيما مضى تشبه هذه الفتاة ـ فتاة كانت تعمل جيداً وأعترف بذلك ، لكن سلوكها كان يثير حفيظتى دائماً .

بدا لى أن كولمان معجب بها . كان يتلعثم أثناء التحدث معها . وكان حواره معها أحمق مما كان من قبل معى ، إن كان ذلك ممكناً ، كان كالكلب الغبى الضخم يهز ذيله ويسعى لإرضاء سيده .

بعد الغداء ذهب الدكتور رايلى للمستشفى وذهب كولمان لمتابعة بعض الشئون ، والآنسة رايلى سألتنى هل

أحب مشاهدة المدينة قليلاً أم أرتاح فى المنزل ؟ وبعد ذلك يأتى كولمان لاصطحابى بعد ساعة .

قلت لها : " هل هناك ما يستحق الرؤية ؟ "

قالت : " هناك مناطق جميلة وخلابة بالفعل ، لكنى لا أعرف هل ستعجبك أم لا ؟ فهى قذرة للغاية "

قالت ذلك بشكل أثار غيظى . لم أر من قبل أن المناظر الخلابة تجعلنا نتغاضى عن القذارة .

فى النهاية اصطحبتنى للنادى الذى كان مكاناً ظريفاً ولطيفاً يطل على النهر ، وهناك كان يوجد مجلات وجرائد إنجليزية .

عندما عدنا للمنزل لم يكن كولمان قد عاد بعد . فجلسنا لنتحدث قليلاً بشكل يشوبه التوتر إلى حد ما .

سألتنى إذا ما كنت قد قابلت السيدة ليدنر أم لا

قلت لها : " كلا ، قابلت زوجها فقط " .

قالت : " ياه ، أتساءل ماذا سيكون رأيك فيها ؟ "

لم أحر جواباً لذلك ، فقالت هى : " إننى أحب الدكتور ليدنر جداً والجميع يحبونه " .

ظننتها تعنى أنها لا تحب زوجته .

لكنى لم أقل شيئاً فسألتنى بوقاحة : " ما مرضها بالضبط ؟ هل قال لك زوجها ما هو ؟ " .

لم أكن لأثرثر عن مريضة لم أرها بعد ، فقلت هرباً من السؤال : " فهمت أنها مصابة بوعكة بسيطة وتريد من يرعاها " .

ضحكت بوقاحة وبشدة .

قالت : " يا إلهى ، ألا يكفيها أشخاص يعتنون بأمرها ؟ " .

قلت لها : " ربما كل منهم مشغول بعمله " .

" عمله ؟ بالطبع لكل مَنهم عمله ، لكن لويز لها الأولوية وتعمل على أن يكون لها الأولوية " .

قلت لنفسى : " كلا ، لابد أنك تكرهينها " .

قالت هى : " على أية حال ، لا أعرف لماذا تحتاج لمرضة محترفة ، ربما كان من الأفضل لها مساعدة الهواة ، وليس من يقيس لها الحرارة بوضع الترمومتر فى فمها ويعد نبضات قلبها ويعرف كل الحقائق الطبية "

حسناً ، أعترف أننى انتابنى الفضول جداً .

قلت لها : " أتظنين أنها بخير وليست مريضة ؟ " .

" بالطبع هى سليمة تمامًا ! إنها قوية كالحصان ، لويز العزيزة لم تنم ، لديها هالات سوداء حول عينيها " ، نعم هذا ما تركزين عليه ! إنها تفعل أى شىء لتستحوذ على انتباه من حولها ليلتف حولها الجميع ويهتمون بها " .

بالطبع ساورنى الشك . كأى ممرضة ، لقد مررت بحالات كثيرة من المرضى النفسيين ممن يدعون المرض ؛ لأن متعتهم الكبرى أن يهتم بهم من حولهم فى تلبية رغباتهم ، وإذا قال لهم طبيب أو ممرضة : " أنت

لا تعانى من أى شىء ! " ، ففى البداية لن يصدقوا ذلك ويغضبون بشدة .

بالطبع كان من الممكن أن تكون هذه هى حالة السيدة ليدنر ، والزوج بالطبع أول المخدوعين لأننى أعلم بحكم خبرتى أن الأزواج سذج جداً فيما يتعلق بمرض زوجاتهم ، لكن على أية حال لا يتطابق ذلك مع ما سمعت ، وخاصة كلمة " أكثر أمناً " .

من الغريب أن هذه الكلمة التصقت فى ذهنى .

بينما أتأمل الكلمة سألتها : " هل السيدة ليدنر امرأة عصبية ؟ هل مثلاً تعانى من العصبية لأنها تعيش بعيداً عن العمران ؟ "

" ما الذى يجعلها تتوتر أو تعانى من العصبية هناك ؟ يا إلهى ، هناك عشرة أشخاص حولها ! ولديهم حرس أيضاً ـ بسبب الآثار ، كلا إنها ليست عصبية ، على الأقل حتى الآن و ـــ " .

ويبدو أنها جال بخاطرها فكرة ما فتوقفت عن الحديث وبعد دقيقتين قالت لى :

" من الغريب أن تقولى ذلك " .

" لماذا ؟ " .

" توجهت مع الطيار جيرفيس إلى منزل لويز فى الصباح ، وكان معظم الآخرين فى موقع الحفر ، وكانت تجلس هى وتكتب خطاباً وربما لم تشعر بحضورنا . ربما لم يخبرها الخادم ، فتوجهنا نحوها مباشرة إلى الشرفة ،

اجاثا كريستي & كتاب رواية

وربما رأت ظل جيرفيس على الحائط ـ وصرخت صرخة مدوية ! اعتذرنا لها بالطبع ، وقالت إنها ظنته ظل رجل غريب . إنه لأمر غريب أعنى حتى لو كان رجلاً غريباً فلم كل هذا الصراخ ؟ " .

أومأت لها برأسي وأنا أفكر .

صمتت الآنسة رايلى ثم قالت فجأة :

" لا أعلم ما خطبهم هذا العام ، لقد حلت بهم جميعاً أزمات . الآنسة جونسون صارت متجهمة طوال الوقت وبالكاد تتحدث ، وديفيد لا يتحدث إلا عند الضرورة ، وبيل بالطبع لا يكف عن الثرثرة ، لكن ثرثرته تسوء من وضع الآخرين ، وكارى متحفز ويتحرك ويبدو وكأنه سينفجر غاضباً فى أى لحظة عندما يحدث أى شىء . كلهم ينظرون لبعضهم البعض وكأنه ـ وكأنه ـ ياه لا أعرف لكنه شىء غريب جداً " .

إنه لأمر مريب أن يشعر الميجور بنيمان والآنسة رايلى بنفس الشعور على الرغم من اختلاف الشخصيتين .

حينئذ جاء السيد كولمان فى عجلة وارتباك ، ولم أكن لأندهش إن أخرج لسانه وهز ذيله كالكلب اللاهث .

قال : " مرحباً " ـ أنا بالطبع أفضل متسوق فى العالم ، هل اصطحبت المرضة لترى جمال المدينة ؟ " .

قالت الآنسة رايلى بجفاء : " لم تكن منبهرة " .

قال السيد كولمان بحميمية : " لا ألومها ، فالمدينة تعمها الفوضى والعربات التى تجرها الأحصنة ! " .

اجاثا كريستي & كتاب رواية

" أنت لا تحب المناظر الطبيعية الخلابة ولا الآثار يا بيل ، ولا أعرف لماذا أصبحت متخصصاً فى الآثار ! "

" لا تلومينى على ذلك ، بل اللوم يقع على من يرعانى ؛ فهو شغوف بالعلم والدراسة ومازال على اتصال بجامعته ويقرأ الكثير من الكتب فى أى وقت فى منزله وحتى وهو فى حجرة النوم ـ فهو رجل منقطع للعلم ، ويصدمه أن يرعى شخصاً مثلى " .

قالت الفتاة بحدة : " أعتقد أنه من الغباء الكبير منك أن يتم إجبارك على عمل لا تحبه " .

" لم يجبرنى أحد يا شيلا ، بل سألنى الرجل إن كنت مهتماً بمجال معين ؟ فقلت له لست مهتماً بمجال محدد ، فاختار لى هو هذا العمل هنا لهذا الموسم كتجربة لى " .

" هل حقاً لم تكن لديك فكرة عما تحب عمله ؛ بالتأكيد كانت لديك فكرة ! " .

" بالطبع ، لم أرغب أبدًا فى العمل ، بل أن تئول ثروة ضخمة لى وأتفرغ لسباق السيارات "

قالت الآنسة رايلى : " إنك لسخيف حقاً ! " .

كانت تبدو غاضبة جداً .

قال كولمان بمرح : " أدرك تماماً أننى أحمق وهذا خارج المناقشة ، ويجب أن أفعل شيئاً ، ولا أهتم ما هو طالما أنه ليس عملاً مكتبياً مملاً ، وكان يروق لى جداً السفر ، ولهذا أتيت لأشاهد العالم " .

" لابد أنك بلا فائدة في هذا العمل كما أتوقع ! " .

" أنت مخطئة ، فأنا أشرف على العمال في موقع الحفر وأحثهم على الاجتهاد في العمل ! كما أنني أجيد الرسم ؛ لأن تقليد الخطوط كانت موهبتي في المدرسة ، وكان ينبغي أن أكون مزورًا من الدرجة الأولى . ربما أصبح كذلك لاحقاً ، وإذا وجدتني اشتريت سيارة فخمة وطرطشت ملابسك بالطين بها أثناء وقوفك لانتظار الحافلة فاعلمي أنني صرت مجرماً ! " .

قالت الآنسة رايلي ببرود : " ألا تظن أنه حان وقت البداية في فعل شيء جاد بدلاً من الثرثرة ؟ " .

" نحن نسليك جيدًا أيتها الممرضة ؛ أليس كذلك ؟ " .

" أنا متأكدة أن الممرضة ليذرين متلهفة للاستقرار والراحة " .

قال كولمان بابتسامة عريضة : " أنت متأكدة دوماً من كل شيء " .

أنا متأكدة جداً من أنه على حق ؛ فهي فتاة لعوب ووقحة .

قلت بجفاء : " ربما يكون من الأفضل أن نبدأ يا سيد كولمان " .

" أنت على حق أيتها الممرضة " .

سلمت على الآنسة رايلي وشكرتها وذهبت مع كولمان .

قال كولمان : " إن شيلا فتاة جذابة حقاً ، لكنها دائماً تثبط عزم الرجال " .

خرجنا بالسيارة من المدينة فى طريق وسط الحقول الخضراء ملىء بالمطبات والحفر .

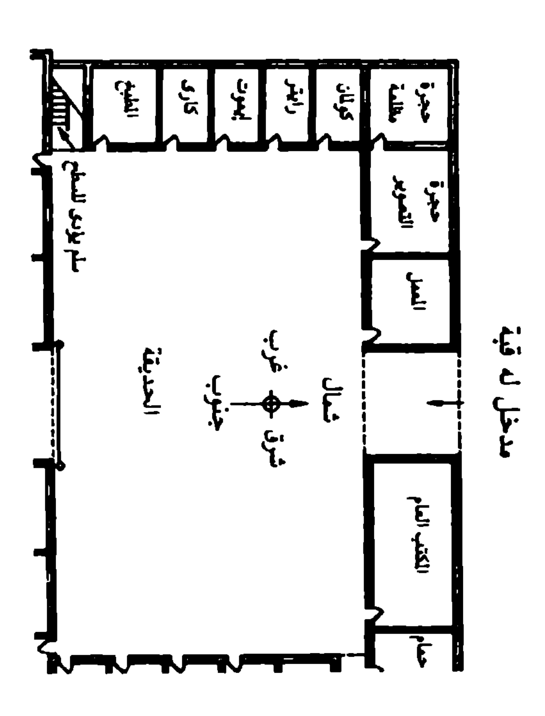
لكن بعد حوالى نصف ساعة أشار كولمان لتل كبير على ضفة النهر أمامنا وقال : " تل ياريمجا " .

ورأيت من بعيد من يتحركون عليه كالنمل الأسود . وبينما كنت أنظر نحوهم بدءوا فجأة فى الجرى معاً نحو أسفل التل .

قال كولمان : " إنها ساعة انتهاء العمل ، قبل الغروب بساعة دائماً "

كان منزل البعثة يقع على مسافة قريبة من النهر .

دار السائق نحو الركن فى طريق أو ممر ضيق جداً ووصلنا . كان المنزل مبنيًا حول فناء ؛ وفى الأصل كان يحتل الجانب الجنوبى من الحديقة مع بعض المبانى غير المهمة القديمة شرقاً ، واستمرت البعثة فى بناء الجانبين الآخرين ؛ ونظراً لأهمية رسم البيت لفهم الأحداث لاحقاً ، فقد أرفقت بهذه الرواية رسماً تخطيطيًا له كالتالى :


حجرة مطالعة
كولمان
رايتر
إيموت
كاري
المطبخ
حجرة التصوير
المعمل
المكتب العام
حمام
سلم يؤدي للسطح
الحديقة
شمال
جنوب
شرق
غرب
مدخل له قبة

كانت كل حجرات المنزل تفتح أبوابها على الفناء وكذلك معظم النوافذ ـ عدا النوافذ فى المبنى الجنوبى الأصلى ؛ حيث توجد نوافذ للخارج أيضاً ، لكن هذه النوافذ كانت مغطاة بالألواح الحديدية من الخارج ، وفى الركن الجنوبى الغربى كان هناك سلم يؤدى للسطح الطويل ، وله سور بامتداد الجانب الجنوبى من المبنى وأعلى من سور الجوانب الثلاثة الأخرى .

قادني كولمان عبر الجانب الشرقي من الحديقة إلى حيث شرفة كبرى مفتوحة تحتل مركز الجانب الجنوبى وفتح بابها ودلفنا إلى حجرة حيث يوجد عدة أشخاص يجلسون حول مائدة الشاى .

قال كولمان : " أهلاً يا رفاق ها هى الممرضة ليذرين ! "

كانت هناك سيدة تجلس على رأس المائدة ، وقامت وتوجهت نحوى لتلقي التحية لى .

كانت هذه أول مرة أرى فيها " لويز ليدنر "

الفصل ٥

تل ياريمجا

لا أمانع فى الاعتراف بأن انطباعى الأول لدى رؤية السيدة ليدنر كان الدهشة الغامرة ؛ فالمرء يتخيل الشخص الذى يتحدث عنه الآخرون كثيرًا ، وترسخ فى ذهنى أنها سيدة شريرة وسمراء اللون ولا ترضى بأى شىء وعصبية جداً ، والحقيقة لقد توقعت أنها قد تكون ـ حسناً لكى أكون صريحة ـ وقحة إلى حد ما .

لكنها لم تشبه الصورة التى كانت فى خيالى مطلقاً ! فى البداية ، وجدتها بيضاء البشرة جداً ، لم تكن سويدية كزوجها , لكنها كانت تبدو كذلك إن رأيت ملامحها . كان بياض بشرتها يبدو مثل شقراوات إسكندنافيا وهو نوع نادر من البشرة قلما تراه ، ولم تكن امرأة شابة بل كانت بين الثلاثين والأربعين من عمرها , وكان وجهها يبدو شاحباً , لكنَّ عينيها جميلتان ، وهى العيون الوحيدة التى صادفتها وأصفها بأنها بنفسجية ، كانت عيناها كبيرتين ولهما ظلال طفيفة تحتهما ، وكان

قوامها نحيفاً ويبدو ضعيفاً ويبدو عليهـا التعـب والإجهـاد الحـاد ، ويبـدو أنهـا كانـت مفعمـة بالحيويـة فـى نفس الوقت ، ربما يبدو كلامـى هـراء ـ لكـن هـذا هـو شعورى نحوها . شعرت أيضاً أنها سيدة مجتمع بحق ، وهـذا لـه تقديره حتى اليوم ـ حتى فى أيامنا هذه .

مـدت لى يـدها بالمـصافحة , وابتـسمت وكـان صـوتها منخفضاً وهادئاً وناعما بلكنة أمريكية .

" أنا سعيدة بقـدومك أيتهـا المرضـة ، هـلا احتـسيت بعـض الـشاى ، أم أنـك تفـضلين الـذهاب إلى حجرتـك أولاً ؟ "

قلـت لهـا إننـى أفـضل احتـساء قـدح مـن الـشاى ، وقدمتنى للأشخاص الجالسين حول المائدة .

" هـذه الآنـسة جونـسون , والـسيد رايـتر ، والـسيدة ميركادو , والـسيد إيمـوت , وهـذا رجـل الـدين لافينـى . سيعود زوجى بعد فترة قصيرة . اجلسى هنـا بـين الآنـسة جونسون ورجل الدين لافينى "

فعلت ما أمرتنى به وبدأت الآنـسة جونـسون تتحـدث إلىّ وتسألنى عن رحلتى وما إلى ذلك .

أعجبت بالآنسة جونـسون ، وكانـت تـذكرنى بكـبيرة المرضات التى أشرفت على عملى تحت التمرين , وكانت المرضات كلهن معجبات بهـا ويعملـن بكـل جهـد إرضـاءً لها .

كانت الآنسة جونسون عانساً على مشارف الخمسين في تقديرى ، ومظهرها رجولى إلى حد ما ، وشعرها رمادى قصير ، وكان لديها صوت حاد لكنه لطيف ، وله رنة عميقة ، وكان وجهها مجعدا وقبيحاً وأنفها معقوفاً لأعلى يثير السخرية وكانت من عاداتها أن تحكه بعصبية عندما تتضايق أو ترتبك . كانت ترتدى معطفاً وتنورة وكأنها رجل يرتدى زيًا نسائيًا ، وقالت لى فى الحال إن مسقط رأسها هو يوركشاير في إنجلترا .

كان رجل الدين لافينى مزعجاً قليلاً ، كان رجلاً طويلاً ولديه لحية سوداء كبيرة ونظارة بعدسة واحدة . كنت قد سمعت السيدة كليزى تقول إن هناك رجل دين فرنسياً هنا ، لكن رأيت رجل الدين لافينى يرتدى زيًا من الصوف الأبيض ؛ مما أدهشنى لأننى كنت أعتقد دائماً أن رجال الدين لا يبرحون أماكنهم مطلقاً .

تحدثت معه السيدة ليدنر بالفرنسية لمعظم الوقت لكنه كان يتحدث إلىّ بإنجليزية لا بأس بها ، ولاحظت عيونه التى تلاحظ وتراقب كل شىء بدقة ، وتنتقل بسرعة من وجه لآخر .

كان أمامى ثلاثة أشخاص آخرون . السيد رايتر كان رجلاً أشقر وقوى البنية ويرتدى نظارة ، وكان شعره طويلاً ومجعداً ، ولديه عينان مستديرتان وزرقاوان ، وكأنه كان لطيفاً وهو صغير ، لكنه الآن له مظهر لا يسر ! كان يشبه الخنزير الصغير فى الواقع , والرجل

الشاب الآخر كان لديه شعر قصير جداً ووجه طويل ويبدو عليه المرح وأسنانه سليمة وناصعة البياض ، ويبدو جذاباً عندما يبتسم . كان لا يتحدث كثيراً ، لكنه يومئ برأسه إن تحدث له أحد أو كان يجيب بإجابات مقتضبة قصيرة ، وكان أمريكى الجنسية مثل السيد رايتر . آخر شخص هنا هى السيدة ميركادو ، لم أتمكن من أن أتفرس فى وجهها جيداً لأننى كنت كلما نظرت باتجاهها وجدتها تحدق نحوى بنظرة متفحصة كانت مزعجة لى جداً ، وكأن نظرتها تقول لى إن الممرضات كائنات غريبة ، يا لها من قلة ذوق !

كانت هذه السيدة شابة ـ لا يزيد سنها عن ٢٥ عاماً ـ وتبدو سمراء ونحيلة ، إن فهمتم قصدى ؛ كان مظهرها جميلاً جذاباً , لكن كانت مثيرة للشك والريبة ومتكلفة فى زينتها . كانت ترتدى سترة زاهية الألوان وطلاء أظافر من نفس اللون , كان وجهها صغيراً يشبه وجه العصفور , وعيناها كبيرتين , وتبتسم ابتسامة ضيقة تثير الشك .

كان الشاى رائعاً جداً ـ توليفة قوية ورائعة ـ ليس ضعيفاً كشاى الصين التى كانت تقدمه السيدة كليزى دائماً , الذى كان احتساؤه بمثابة عذاب كبير بالنسبة لى .

كان مع الشاى خبز محمص ومربى وطبق من الكعك والحلوى . كان السيد إيموت المهذب يمرر لى هذه الأشياء بكل أدب ، وكان يبدو هادئاً جداً , لكنه كان يلاحظ دائماً كلما أفرغت طبقي فيملؤه لى من جديد .

دخل السيد كولمان وجلس بجوار الآنسة جونسون ولم يؤثر على أعصابه أى شيء , وكان لا يزال كعادته يثرثر كثيراً .

تنهدت السيدة ليدنر مرة واحدة ونظرت بشك وإجهاد نحوه لكنه لم يتأثر ، وحتى السيدة ميركادو التى كان يوجه إليها معظم حديثه كانت ترد عليه بإجابات وردود مصطنعة لتبدو أنها تشاركه الحوار , لكنها لا تزال تتفرس في وجهى طوال الوقت ومنشغلة بذلك تماماً .

بمجرد انتهاء الحوار والشاى جاء د. ليدنر والسيد ميركادو من موقع الحفر الأثرى .

ألقى د. ليدنر التحية لى بشكل لطيف ورأيت عينيه تجولان بقلق نحو وجه زوجته , ثم انفرجت أسارير وجهه ارتياحاً مما رآه , ثم جلس فى الطرف الآخر من المائدة وجلس السيد ميركادو على المكان الخالى بجوار السيدة ليدنر . كان السيد ميركادو رجلاً طويلاً نحيفاً ويبدو حزيناً ، وأكبر سناً من زوجته كثيراً ، ووجهه شاحب ولحيته ناعمة وكثة وغير مهذبة . وقد سعدت بقدومه ؛ لأن زوجته كفت عن التحديق نحوى ونقلت انتباهها إليه ، وكانت تتطلع إليه بنفاد صبر وقلق يدعون للشك والريبة . وقد كان يقلب الشاى بعدم انتباه ولم يقل أى شيء , وظلت قطعة الكعك فى طبقه ولم يتناولها .

كان لايزال هناك مقعد شاغر ، ثم انفتح الباب فجأة وجاء رجل إلى الداخل .

لحظة رؤيتي لــ " ريتشارد كـارى " شعرت أنـه مـن أوسم الرجال الذين رأيتهم منذ فترة طويلة ـ لكنى شككت فى وسامته ، من التناقض الغريب أن أقول إنه وسيم وفى نفس الوقت يبدو وكأنه رجل ميـت ، كـان رأسـه وجلـده الممتد بـضيق علـى عظامـه ـ لكـن عظـام وجهـه جميلـة ـ ويوحيان بأنه يحتضر ، وعظام الصدغ والفك بـارزة وكأنـه تمثال من البرونز وعيناه زرقـاوان وبراقتـان لم أر مثلـهما , وكان طوله ست أقدام , وسـنه كمـا تخيلـت أقـل مـن ٤٠ عاماً .

قال د. ليدنر : " هذا هو السيد كارى المهنـدس أيتهـا المرضة "

تمتم بشىء ما بـصوت إنجليـزى لطيـف وغـير مـسموع وجلس بجوار السيدة ميركادو .

قالت السيدة ليدنر : " أخشى أن الشاى بارد قليلاً يـا سيد كارى " .

قال لها " لا بأس يا سيدة ليدنر ؛ لقد تأخرت وهذا خطئـى , لقـد أردت الانتهـاء مـن رسـم وتخطـيط بعـض الحوائط " .

قالت السيدة ميركادو : " هـل تريـد بعـض المربـى يـا سيد كارى ؟ " .

وقام السيد رايتر بتمرير الخبز التوست .

تذكرت ما قاله السيد بنيمان : " ***كلهم يمررون الزبد على المائدة لبعضهم البعض بشكل مهذب زيادة عن اللازم*** " .

نعم كان هناك شيء مريب وغريب هنا ...

جو رسمى زائد عن الحد ...

ربما تقول إنهم مجموعة من الغرباء ـ ليسوا أناساً يعرفون بعضهم البعض ـ على الأقل بعضهم ـ لعدة سنوات !

الفصل ٦

الليلة الأولى

بعد الشاى اصطحبتنى السيدة ليدنر لحجرتى .

ربما سأصف فى إيجاز هنا هذه الحجرة وترتيبها . كان هذا الوصف سيصبح أبسط وسهل الفهم إذا نظرنا إلى الرسم التخطيطى للمنزل .

على جانبى المدخل الكبير المفتوح كانت هناك أبواب تؤدى لأكبر حجرتين رئيسيتين ، وكانت الحجرة على اليمين تؤدى إلى حجرة السفرة حيث تناولنا الشاى . أما الباب الذى على الجانب الآخر فقد كان يؤدى إلى حجرة مماثلة تماماً (أطلقت عليها اسم حجرة المعيشة) وكانت حجرة للجلوس وورشةٍ غير رسمية ـ أى كان المهندسون يرسمون بها كثيراً (رسومات هندسية) وكانت هناك أجزاء كثيرة من الفخار الرقيق يجب لصقها معاً . وعبر حجرة المعيشة يستطيع المرء أن يمر إلى حجرة التحف ؛ حيث يوجد كل ما عثر عليه من التنقيب عن الآثار , وكانت تلك الأشياء مخزنة فى أرفف وعيون داخل

الجدران , كما كان يتم وضعها على موائد خشبية كبيرة . ولم يكن هناك مدخل لحجرة التحف سوى من حجرة المعيشة .

بعد حجرة التحف عبر باب يؤدى للحديقة ، كانت حجرة نوم السيدة ليدنر , ومثل باقى حجرات هذا الجانب من المنزل ، كان لها نافذتان مدعمتان بأعمدة حديدية تطل على الريف والحقول المحروثة ، وبجوار حجرة السيدة كانت تقع حجرة د. ليدنر , ولم يكن هناك باب يؤدى إليها , وكانت أولى حجرات الجانب الشرقى من المبنى ، وبعدها حجرتى , وبجوارها حجرة الآنسة جونسون , وبعدها حجرة السيدة ميركادو , ثم حجرة السيد ميركادو وبعد ذلك حجرتا حمام .

(عندما قلت إنها ليست كالحمامات العادية سخر منى د. رايلى وقال إن الحمام إما يبدو كحمام أو ليس كذلك ! لكن عندما يعتاد المرء على الصنابير والسباكة الجيدة لن يطلق على حجرة غريبة طينية بها بانيو من القصدير وماء فى سطل من عبوات الكيروسين *حماماً* !) .

كل هذا الجانب من المنزل أضافه د. ليدنر للمنزل العربى الأصلى ، وحجرات النوم كلها متشابهة ، كل منها به نافذة وباب يؤدى للحديقة ، وعلى الجانب الشمالى مكتب ومعمل وحجرة تحميض الأفلام الفوتوغرافية .

وبالعودة إلى الشرفة ، فإن ترتيب الحجرات متشابه على الجانب الآخر ، وكانت حجرة الطعام تؤدى للمكتب حيث تحفظ الملفات وتتم عمليات الفهرسة والكتابة . وأمام حجرة السيدة ليدنر كانت حجرة رجل الدين لافينى ، وكانت له أكبر حجرة نوم ، وكان يستخدمها لفك شفرات الألواح .

وفى الركن الجنوبى الغربى كان هناك سلم يؤدى للسطح وعلى الجانب الغربى هناك قسم المطبخ و ٤ حجرات نوم صغيرة للشباب : كارى وإيموت ورايتر وكولمان .

وفى الركن الشمالى الغربى كانت تقع حجرة مظلمة لتحميض الصور , وبجوارها المعمل والمدخل الوحيد ذو القبة الكبيرة الذى دخلنا منه ، وبالخارج حجرات نوم للخدم المحليين من أهل البلاد ، ومبنى الحرس والجنود وإسطبل الخيول ... إلخ . كان المكتب إلى يمين الباب الكبير , ويحتل باقى الجانب الشمالى .

لقد ذكرت تفاصيل المنزل بمزيد من الإطناب لأننى لا أريد ذكرها لاحقاً .

كما قلت ؛ فقد اصطحبتنى السيدة ليدنر بنفسها حول المبنى وتركتنى فى حجرتى وهى تتمنى لى أن أكون مرتاحة ولدىَّ كل ما أحتاج إليه .

كانـت الحجـرة مفروشـة بأثـاث قليـل لكنـه مـريح وجميـل , فقـد كـان بهـا سـرير وأدراج ملابـس وحـوض اغتسال ومقعد .

قالت السيدة ليدنر : " سيأتى لك الخدم بمـاء سـاخن قبـل الغـداء والعـشاء ـ وفـى الـصباح البـاكر بـالطبع . إن أردت الماء الـساخن فـى أوقـات أخـرى , اذهبـى للخـارج وصـفقى ثـلاث مـرات , وعنـدما يـأتى الخـادم قـولى لـه بالعربيـة : " أحـضر مـاء حـاراً " , هـل تظـنين أنـك ستتذكرين هذه العبارة باللغة العربية ؟ "

قلت لها إننى سأتذكرها ورددتها ببطء .

قالت لى " لقد قلتها بشكل سليم , لكن كونى واثقـة من نفسك وصيحى بها ؛ لأنهم هنا لا يفهمون الإنجليزيـة بلهجتنا السريعة " .

قلت لها : " اللغات شيء مضحك حقاً ، لـماذا تتعـدد وتختلف اللغات فى العالم ؟ " .

ابتسمت السيدة ليدنر وقالت :

" هناك دار العبادة فى فلـسطين تكتـب فيهـا الأدعيـة بتسعين لغة مختلفة أو أكثر على ما أظن "

قلـت لهـا : " يـاه سـأكتب رسـالة لعمتـى العجـوز وسأخبرها بذلك ولكم ستكون مندهشة ! "

أشارت الـسيدة ليـدنر للإبريـق والحـوض بـلا اكـتراث ورفعت حامل الصابون لأعلى بمقدار بوصة أو اثنتين .

قالت لى : " أتمنى أن تكونى سعيدة هنا ولا تشعرى بالملل "

قلت لها مؤكدة : " لا أشعر بالملل أبداً ؛ فالحياة ليست طويلة جداً ليشعر المرء فيها بالملل "

لم تجبنى ، لكنها ظلت تعبث بالحوض وهى شاردة الذهن .

فجأة حدقت بعينيها البنفسجيتين الداكنتين فى وجهى .

" ما الذى أخبرك به زوجى بالضبط أيتها المرضة ؟ " .

حسناً دائماً هناك إجابة واحدة للأسئلة من هذا النوع .

قلت لها بثقة مصطنعة " فهمت منه أنك مرهقة قليلاً , وهذا كل شيء يا سيدة ليدنر , وإنك بحاجة لمن يرعاك ويريحك من القلق " .

أحنت رأسها ببطء وهى تمعن التفكير .

ثم قالت : " نعم ـ هذا يكفى "

كان هذا غامضاً قليلاً ، لكننى لم أتناقش معها وقلت بدلاً من ذلك : " أتمنى أن تدعينى أساعدك فى أى شيء فى المنزل ولا تدعينى بلا عمل " .

ابتسمت قليلاً .

" شكراً لك أيتها المرضة " .

ثم جلست على الفراش , واندهشت لأنها بدأت تستجوبنى بدقة . أدهشنى ذلك لأننى منذ رأيتها شعرت

بأنها سيدة مجتمع إنجليزية بالفعل ، وسيدة المجتمع نادراً ما تظهر الفضول عن الشئون الخاصة بغيرها .

لكن السيدة ليدنر بدت قلقة ومتلهفة على معرفة كل شيء يمكن معرفته عني . أين تدربت ولأى مدى ؟ من جلبني إلى الشرق ؟ ولماذا رشحني د. رايلي ؟ وسألتني حتى عما إذا كنت قد ذهبت لأمريكا ؟ وإذا ما كان لدى أقارب هناك أم لا ؟ بدا سؤال أو اثنان بلا أهمية حينئذ , لكني فهمت مغزى الأسئلة لاحقاً .

ثم تغير سلوكها فجأة وابتسمت بدفء ـ وقالت برقة بالغة إنها سعيدة بقدومي وإنها متأكدة من أنني سأكون مساعدة ممتازة لها .

قامت من الفراش وقالت : " هل تحبين الصعود للسطح لمشاهدة الغروب ؟ إنه جميل هذه الأيام "

وافقت وأنا سعيدة .

عندما خرجنا من الحجرة قالت لي : " هل كان هناك أناس آخرون على القطار من بغداد ؟ أى رجال ؟ "

قلت لها إنني لم ألاحظ أى شخص على وجه الخصوص ، وكان هناك رجلان فرنسيان في عربة الطعام ليلة أمس , وثلاثة رجال علمت من حوارهم أنهم يعملون في خط البترول .

أومأت برأسها وصدر منها صوت خافت كتنهيدة ارتياح وكأنها تنفست الصعداء .

صعدنا إلى السطح معاً .

كانت السيدة ميركادو هناك تجلس على سور السطح ، و د. ليدنر ينحنى لفحص كمية كبيرة من الحجارة وقطع الفخار التى كانت مرصوصة فى صفوف . وكان هناك أشياء كبيرة كالبلطة والفأس الحجرى ومطحنة يدوية ويد الهاون وقطع محطمة من الفخار عليها أشكال غريبة لم أرها لأول وهلة .

صاحت السيدة ميركادو : " تعالوا إلى هنا ، أليس منظراً جميلاً ؟ " .

كان الغروب حقاً جميلاً وتبدو الحسنية فى الأفق مدينة خيالية تغرب الشمس خلفها , ونهر دجلة يتدفق وسط الضفتين الواسعتين كنهر خيالى فى حلم وليس نهراً حقيقياً .

قالت السيدة ليدنر : " أليس المشهد جميلاً يا إيريك ؟ "

همس الطبيب وهو ينظر لأعلى وهو شارد الذهن : " رائع ، رائع " , وكأنه يقولها بشكل آلى وعاد لفحص وفرز قطع الفخار .

ابتسمت زوجته وقالت : " لا ينظر علماء الآثار إلا إلى ما تحت أقدامهم ، ولا وجود للسماء فى عالمهم "

ضحكت السيدة ميركادو .

قالت : " إنهم أناس غرباء ـ سرعان ما ستعرفين *ذلك* أيتها المرضة " .

ثـم توقفـت وقالـت : " نحـن سـعداء بمجيئـك ، كنـا قلقين بـشأن الـسيدة ليـدنر العزيـزة ، ألـيس كـذلك يا لويز ؟ "

" هل قلقت حقاً ؟ " .

لم يكن صوتها مشجعاً .

" أوه ، حقاً ، كان حالها سيئاً جداً أيتهـا المرضـة ، كل أنواع الإزعاج والقلق ، كل من حولى كانوا يقولون مجـرد أعـصاب مـضطربة " , كنـت أقـول لهـم : " مـاذا سيكون *أسوأ* ؟ " , الأعصاب هى مركز كيان الإنسان أليس كذلك ؟ " .

قلت لنفسى : " هراء "

قالت السيدة ليـدنر بجفـاء : " حـسناً لا داعـى للقلـق بشأنى بعد الآن يا مارى ، المرضة ستعتنى بى "

قلت لها بمرح : " بكل تأكيد "

قالـت الـسيدة ميركـادو : " أنـا متأكـدة مـن أنـك ستحدثين فارقاً كبيراً ، لقد شعرنا أنهـا يجـب أن تـذهب للطبيـب أو تفعـل أى شـىء . أعـصابها كانـت سـتتحطم وتتمزق إرباً , أليس كذلك يا لويز العزيزة ؟ "

" جداً لدرجة أننى أزعجتك وجعلت أعصابك مضطربة بسبب أعصابى المضطربة ، هـلا تحـدثنا عـن شـىء أكثـر إثارة من مرضى المزعج اللعين ؟ " .

فهمت أن السيدة ليدنر من نوع النـساء الـذى يكتـسب أعداء بسهولة . كان هناك وقاحة باردة فى صوتها ونبرتـه

(ولا ألومها) وقد كانت تجعل خدود السيدة ميركادو تتورد خجلاً رغم أنها خدود رفيعة ونحيلة ، وهمست بتلعثم بشيء ما لكن السيدة ليدنر قامت وانضمت لزوجها في الطرف الآخر من السطح ، وأشك في أنه سمع قدومها نحوه لأنها وضعت يدها على كتفه فنهض بسرعة ، وكان وجهه يمتلئ بالحماس والحب والفضول نحوها .

أومأت السيدة ليدنر برقة برأسها , ووضعت ذراعها متأبطة ذراعه , وتجولا لأقصى سور السطح , وفي النهاية هبطا السلم معاً .

قالت السيدة ميركادو : " إنه يكرس حياته لها ومتيم بها أليس كذلك ؟ "

وكانت تنظر نحوي بنظرة غريبة بتحفز .

قلت لها " نعم من اللطيف رؤية ذلك "

قالت لي وهي تخفض صوتها : " ما مرضها في رأيك أيتها الممرضة ؟ " .

قلت لها بمرح : " لا أظن حالتها سيئة ، ربما مجهدة عصبياً فقط كما أظن "

ظلت عينها مركزة وثابتة نحوي كما كانت أثناء تناول الشاي , وقالت فجأة : " هل أنت ممرضة نفسية ؟ "

قلت لها " ياه ، كلا ، لماذا تظنين ذلك ؟ "

صمتت لبرهة وقالت : " هل علمت بمدى غرابة تصرفاتها السابقة ؟ ألم يخبرك د. ليدنر ؟ "

أنا لا أثق فى الثرثرة عن مرضاى , ولكن من ناحية أخرى فخبرتى مع التمريض تخبرنى بأنه من الصعب معرفة حقيقة الأمر من الأقارب ، وإلى أن تعرف الحقيقة ستتخبط فى الظلام ولن تؤدى عملك كما يجب فى البداية . بالطبع عندما يتواجد الطبيب المسئول يختلف الأمر ؛ لأنه يخبرك بما هو ضرورى معرفته ، لكن فى هذه الحالة لم يتواجد طبيب مسئول . كما أن د. رايلى لم يتول الحالة بشكل رسمى ، وفى ذهنى لا أظن د. ليدنر أخبرنى بكل ما فعله ويعرفه ؛ فمن طبيعة الزوج أن يكون قليل الكلام ـ حفظاً لشرفه على ما أظن . لكن على أية حال كلما عرفت يكون ذلك أفضل لاتخاذ خطة علاج مناسبة . السيدة ميركادو (التى أظنها سيدة حقودة وشريرة) متلهفة جداً كما هو واضح للحديث فى هذا الموضوع , وبصراحة على المستوى المهنى والإنسانى , فقد أردت أن أستمع لما تريد قوله . يمكنك القول بأنى فضولية بطبعى .

قلت لها : " إننى أتفهم أن السيدة ليدنر ليست على ما يرام ولا على طبيعتها فى الفترة الأخيرة " .

ضحكت السيدة ميركادو بلا شفقة وقالت :

" طبيعتها ؟ لا أقول ذلك ، إنها تخيفنا حتى الموت . فى إحدى الليالى كانت تطرق بأصابعها على النافذة فى حجرتها ، ثم وجدت يداً بدون ذراع ملتصقة بالنافذة ؛ ثم ظهر وجه شاحب مضغوط على النافذة ـ وعندما هرعت

نحو النافذة لم تجد شيئاً ـ كانت تتخيل فقط بعد أن أفزعتنا كلنا "

قلت لها : " ربما كان أحدهم يخدعها ويمازحها "

" كلا ، كانت تتخيل كل ما حدث ، ومنذ ثلاثة أيام على مائدة العشاء كان هناك من يطلق الرصاص فى القرية ـ على بعد ميل تقريباً ـ فقفزت وصرخت ـ وأرعبتنا وأفزعتنا حتى الموت . بالنسبة للدكتور ليدنر فقد اندفع وهرع نحوها وتصرف بحماقة وظل يقول : " لم يحدث شيء يا حبيبتى ، اهدئى " , وأنا أعتقد أيتها المرضة أن الرجال أحياناً يتصرفون بشكل يشجع النساء على التخيلات الهيستيرية ، إنه لأمر مؤسف لأنه أمر سيئ . فلا يجب تشجيع الأوهام "

قلت لها بجفاء : " إن كانت أوهامًا حقاً ! "

" وماذا ستكون سوى ذلك ؟ "

لم أجب لأننى لم أعرف ماذا أقول . كان الأمر كله سخيفاً . الرصاص والصراخ شيء عادى وطبيعى ـ أعنى لأى شخص فى حالة عصبية . لكن قصة الشبح على النافذة مختلفة ، وقد بدا لى إما أن السيدة ليدنر قد اختلقت القصة (كالطفل الذى يخترع قصصاً لأمور لم تحدث ليكون محور انتباه الآخرين) أو خدعة مدبرة أو مزحة متعمدة . ربما تكون حيلة , كما أظن , تفتقت عن ذهن رجل غير خيالى مثل كولمان . قررت مراقبته بدقة عن

قـرب ؛ لأنـه لا يجـب إرهـاب ذوى الحـالات العـصبية بمزحة سخيفة .

قالت السيدة وهى تنظر نحـوى مـن جانـب عينيهـا " إنـها تبدو رومانسية أيتها المرضة ألا تظنين ذلك ؟ إنهـا نـوع مثـالى مـن النـساء , ومـن الطبيعـى أن يحـدث لهـا ذلك "

قلت لها : " هل حدث لها أشياء كثيرة ؟ "

" حسناً قُتل زوجها الأول فى الحرب وكانت هى فـى العشرين ربيعاً مـن عمرهـا ، وأظـن أن ذلـك يـدعو للرثـاء والشفقة أليس كذلك ؟ "

قلت لها بجفاء : " لا داعى لتجميل الواقع " .

" يـاه أيتهـا المرضـة ! يـا لـه مـن تعليـق غريـب جداً ! "

لكنه حقيقى ، كثير من النساء يقلن : " لو كـان فـلان (أياً كان الاسم) قـد عـاش " . وأنـا أظـن أنـه لـو عـاش لكان سيصبح زوجاً قوياً غير رومانسى وعصبياً فى منتصف العمر .

بـدأ الليـل يظلـم واقترحـت عليهـا النـزول فوافقـت , وسألتنى إن كنت أرغـب فـى رؤيـة المعمـل ؛ وأضـافت " سيكون زوجى هناك ـ يعمل "

وافقت بحماس وسرنا إلى المعمـل ، كـان المكـان مـضاء بمصباح واحد وكـان فارغـاً . أظهـرت لى الـسيدة ميركـادو

بعض الأجهزة والزينة النحاسية التى يتم معالجتها فى المعمل وبعض العظام المغطاة بالشمع .

قالت السيدة ميركادو : " ترى أين زوجى جوزيف ؟ "

بحثت عنه في حجرة المكتب حيث كان كارى يعمل وبالكاد نظر نحونا عندما دخلنا , واندهشت من مظهر التعب الكبير والإعياء على وجهه . خطر ببالى أن هذا الرجل كان قد قارب صبره على النفاد وسرعان ما سينفجر شيء ما , وأتذكر أن أحد الموجودين لاحظ توتره الشديد .

وبينما كنا نخرج مرة أخرى , أدرت رأسى ونظرت نحوه . كان منكباً على الورق وشفتاه مغلقتان بشدة ورأسه الذى يشبه " رأس الميت " بعظامه البارزة غريب للغاية ، ربما كان هذا المنظر من نتاج خيالى ، لكنى ظننت أنه يبدو كفارس من العصور الوسطى سيذهب فى معركة يعلم أنه سيقتل فيها .

مرة أخرى شعرت بمدى قوة جاذبيته اللاشعورية الغريبة .

وجدنا السيد ميركادو فى حجرة المعيشة وكان يشرح فكرة عملية جديدة للسيدة ليدنر ، وكانت جالسة على مقعد خشبى وتطرز زهوراً من الحرير واندهشت مرة أخرى من مظهرها الغريب الرقيق وكأنها ليست كائنة أرضية ؛ بدت كجنية وليست من بنى البشر من لحم ودم .

قالت السيدة ميركادو بصوت عال له رنين مزعج : " ياه ، ها أنت يا جوزيف ، ظننا أنك فى المعمل "

قفز من المفاجأة وبدا مرعوباً ومضطرباً ، وكأن دخولها قد أفسد جواً جميلاً ساحراً بالنسبة له ، وقال متلعثماً " يجب ـــ يجب أن أذهب الآن ؛ فأنا فى منتصف ... منتصف ـــ "

ولم يكمل عبارته واستدار نحو الباب .

قالت السيدة ليدنر بصوتها الناعم ولكنتها الجميلة " يجب أن تنهى حوارك معى لاحقاً ؛ لقد كان مثيراً "

ثم نظرت نحونا وابتسمت برقة وبشكل غريب وكأنها لا تنتمى لهذا العالم , وانحنت منكبة على التطريز مرة أخرى .

بعد دقيقة أو اثنتين قالت : " هناك بعض الكتب أيتها المرضة ، لدينا مجموعة جيدة جداً , اختارى أحدها واجلسى "

ذهبت لمكتبة الكتب وظلت السيدة ميركادو لدقيقتين ثم استدارت فجأة ، وعندما مرت بجوارى رأيت وجهها ولم تعجبنى نظرة الغضب العارم به .

رغماً عنى تذكرت بعضاً مما قالته السيدة كليزى تلميحاً وتصريحاً عن السيدة ليدنر . لم أكن أحب أن أصدق أنه حقيقى ؛ لأننى أحببت السيدة ليدنر لكنى مع ذلك تساءلت عن مدى صحة ما سمعته .

لم أظـن أن الأمـر خطؤهـا ، لكـن الحقيقـة ظلـت أن الآنسة جونسون القبيحة والسيدة ميركـادو الممتلئـة بـنيران الحقد لا تضاهيان السيدة ليدنر فـي جمالهـا وجاذبيتهـا . وعلى أية حال ، فالرجال لا يـتغيرون فـي أي مكـان فـي العالم ، وأرى ذلك من خلال عملي كثيراً .

السيد ميركادو رجل مغلوب على أمره ولا أظن الـسيدة ليدنر تكترث بإعجابه بها - لكن زوجته تهتم بـالأمر . لـو لم أكن مخطئة فهـي تفكـر تفكـير الـسوء وتـرفض معاملـة زوجهـا للـسيدة ليـدنر , وقـد ترغـب فـي إيـذائها إن استطاعت .

نظرت إلى السيدة ليدنر وهي تجلس وتمـارس التطريـز لزهورها الجميلة ، وهي بعيدة عن الواقـع وكأنهـا منعزلـة في برج عاجي . شعرت بأنني يجب أن أحـذرها ، ربمـا لا تعرف كيـف يمكـن أن تكـون الغـيرة والكراهيـة عميـاء وعنيفة ولا يمكن التحكم فيها - فربما تشتعل غيرة المرأتين من أقل شيء .

ثم قلت لنفسي : " يا لي من حمقـاء ؛ فالـسيدة ليـدنر ليـست بهـذا الـضعف أو الجـبن ، فهـي علـى مـشارف الأربعين وتعرف عن الحياة كل شيء يمكن معرفته "

لكنى شعرت أنها لا تعلم شيئاً .

تبدو وكأنها بريئة وساذجة بشكل مريب .

تـساءلت عـن شـكل حياتهـا الـسابقة . علمـت أنهـا تزوجت من السيد ليدنر منذ عامين فقط ، ووفقاً لمـا قالتـه

السيدة ميركادو ، فقد توفى زوجها الأول منذ خمسة عشر عاماً .

أتيت وجلست بجوارها ومعي كتاب , وبعد فترة قصيرة ذهبت وغسلت يدى استعدادا للعشاء . كانت وجبة فاخرة - بها مسحوق وبهارات " الكارى " الممتازة . ذهب الجميع للنوم مبكراً وأسعدنى ذلك لأننى كنت متعبة .

جاء د. ليدنر لحجرتى ليرى أن لدى كل ما يلزمنى .

وصافحنى بود وحرارة وقال بحماس :

" زوجتى تحبك أيتها المرضة من أول مرة تراك , أغرمت بك , وأنا سعيد جداً لذلك ، وأشعر أن كل شيء سيكون على ما يرام الآن "

كان حماسه كالأطفال .

شعرت أن السيدة ليدنر تحبنى فعلاً وأسعدنى ذلك .

لكنى لم أشاركه هذه الثقة ، وشعرت إلى حد ما أن هناك أمراً مريباً لا يعرفه هو نفسه .

هناك شيء غامض لا أستطيع الوصول إليه , لكنى أشعر به .

كان فراشى مريحاً ولكنى لم أتمكن من النوم جيداً وحلمت بكوابيس مزعجة طوال الليل .

ظلت تنتابنى ذهنياً كلمات قصيدة للشاعر " كيتس " كنت أحفظها وأنا طفلة , وأكرهها لأننى لا أتمكن من حفظها ولأنها كانت مفروضة علىّ سواء رغبت أم لا . لكن

لسبب ما استيقظت في الظلام ورأيت جمال هذه القصيدة لأول مرة .

" *أخبرنى ما يؤلمك أيها الفارس شاكى السلاح وأنت وحدك و* ... (لا أذكر باقي الشطر) ... *تتنزه وحدك ووجهك شاحب* .... *؟* " ورأيت هذا الفارس له وجه السيد كارى ـ نحيف وكئيب وحاد ومتوتر ويشبه البرونز مثل الفقراء الشبان ممن أتذكر أننى رأيتهم وأنا فتاة صغيرة أيام الحرب ... وشعرت بالأسى من أجله ـ ثم نمت ورأيت أن " السيدة الجميلة بلا رحمة " فى قصيدة كيتس بهذا العنوان هى السيدة ليدنر , وهى تميل جانباً بالحصان ومعها الورود المطرزة الجميلة ـ ثم وقع الحصان وصار كل المشهد مغطى بالعظام المغطاة بالشمع واستيقظت وأنا أرتعش وأتصبب عرقاً , وأخبرت نفسى فى هذه الليلة أن هذا بسبب تناول توابل " الكارى " على العشاء .

الفصل ٧

الرجل فى النافذة

من الأفضل أن أوضح من البداية أنه لن يكون فى هـذه الرواية أى إشارة للحياة فى بلاد ما بين النهـرين ولا عـن المكان من حولى ؛ فأنا لا أعلم أى شىء عن علم الآثـار ولا أرغـب فـى ذلـك , وأنـا لا أحـب الاخـتلاط مـع : نـاس وأماكن مدفونة وسط التراب . كان السيد كـارى قـد اعتـاد أن يقول لى إنه ليس لدىَّ حس أثرى , وأرى بلا شـك أنـه محق .

فى أول صباح لى بعد وصولى , سألنى الـسيد كـارى إن كنت أحب الذهاب لرؤية القصر الذى ***يخطط*** رسمـه . لا أفهم كيف يرسم خريطة لمكان بنى منـذ عـصور سـحيقة ! وللحق قلت إننى أرغب فى ذلك وكنـت أشعر بالإثـارة ، وقـد كـان عمـر القـصر حـوالى ٣٠٠٠ عـام كمـا تـبين ، وتـساءلت عـن شـكل أنـواع القـصور فـى هـذا الـزمن التاريخى ، وهل تشبه الـصور التـى رأيتهـا لأثـاث مقـبرة توت عنخ آمون . لم يكـن هنـاك مـا أراه سـوى ***الطين*** !

شيء لا يصدقه عقل ! حوائط طينية قذرة ارتفاعها قدم - وهذا كل شيء ! اصطحبني السيد كارى إلى هناك وظل يشرح لى أموراً تاريخية - هنا كانت قاعة ملكية عظيمة وهنا حجرات , وهنا مخزن علوى وحجرات أخرى تفتح على قاعة البلاط الملكى ، لكن كيف عرف ؟ بالطبع كنت مهذبة ولم أسأله . لقد أصبت بخيبة أمل ! كل منطقة الحفر تبدو مجرد طين فقط لى - لا يوجد رخام أو ذهب أو أى شيء جميل - منزل عمتى فى " كريكلوود " كالأطلال الأكثر جمالاً ! كيف كان الآشوريون القدماء - أو أياً كان اسمهم - يطلقون على أنفسهم ملوكاً . بعدما أرانى السيد كارى " القصور " القديمة , سلمنى لرجل الدين لافينى ، الراهب الأجنبى صاحب الصوت العميق . لكنه كان طيباً معى جداً - لكنه غامض ومبهم إلى حد ما . أحياناً شعرت أن المكان لا يعنى له شيئاً مثلى .

شرحت لى السيدة ليدنر لاحقاً أن رجل الدين لافنى لا يهتم سوى بالوثائق المكتوبة - كما كانت تسميها . كانوا يدونون كل شيء على الطين والصلصال بخط غريب كالبدائيين , وكانت الكلمات ممتلئة بالعلامات لكنها لها معنى لمن يفهم لغة الآشوريين , كما كان هناك ألواح مدرسية أيضاً - درس المعلم على جانب وعمل الطالب على الجانب الآخر . وأعترف أن هذا أثار اهتمامى - فقد بدا لى شيئاً إنسانياً إن فهمتم قصدى .

سار رجل الدين لافينى حول العمل معى وأظهر لى مكان القصور والمعابد والمنازل الخاصة ، وجبانة الأكاديين ، وكان يتحدث بشكل مضحك ومتشنج ويلقى بمعلومة جزئية كل فترة ثم يعود لموضوعات أخرى .

قال لى " من الغريب أنك حضرت إلى هنا . هل السيدة ليدنر مريضة حقاً ؟ " .

قلت له بحرص : " ليست مريضة تماماً " .

قال : " إنها امرأة غريبة الأطوار وخطيرة على ما أعتقد "

قلت له

" ماذا تعنى بذلك ؟ ما مدى خطورتها ؟ " .

هز رأسه مفكراً " أعتقد أنها قاسية وبلا رحمة تماماً "

قلت له : " عفواً ، اسمح لى ؛ لكن ما تقوله هراء "

هز رأسه بالنفى :

" أنت لا تعلمين عن النساء ما أعرفه أنا " .

كان ذلك مثيراً للسخرية ككلام على لسان رجل دين . لكنى فكرت أنه استمع لاعترافات نساء كثيرات , لكن ذلك أصابنى بالحيرة ؛ لأنه يتحدث عنها بشكل قاس .

قال مفكراً : " نعم إنها بلا شفقة أو رحمة وأنا متأكد تماماً من ذلك ، ولكن رغم قسوتها ـ مثل الحجر أو الرخام ـ فهى خائفة من شيء ما ، ما هو ؟ " .

هذا ما كنا جميعاً نريد معرفته !

ربما من الممكن أن زوجها يعرف لكن الآخرين لا يعلمون .

حدق رجل الدين نحوى بعينيه السوداوين البراقتين فجأة .

قال : " الجو هنا غريب ، هل تجدينه كذلك أم طبيعى للغاية ؟ " .

قلت له وأنا أفكر : " ليس طبيعياً تماماً ؛ فهو مريح بالنسبة للترتيبات ـ لكن الشعور غير مريحٍ بالمرة " .

قال لى : " لكنى غير مرتاح تماماً ولدى فكرة " ـ وأصبح فجأة غريب الأطوارٍ ـ " إن هناك شيئاً على وشك الحدوث . د. ليدنر أيضاً ليس كسابق عهده وليس على طبيعته . ربما يقلقه شيء ما أيضاً "

" ربما صحة زوجته ؛ أليس كذلك ؟ " .

" ربما يكون هناك المزيد . هناك ـ كيف أقولها ؟ ـ شعور عام بالقلق والتوتر "

هذا كان كل شيء ـ توتر عام .

لم نقل المزيد ؛ لأن د. ليدنر جاء نحونا وأظهر لنا مقبرة طفل اكتشفوها للتو . كم كان ذلك مؤثراً ـ عظام صغيرة ـ وإناء أو اثنان وقطع غريبة . قال لى د. ليدنر إنها عقد من الخرز .

كان العمال يثيرون بداخلى الرغبة فى الضحك . كانوا كل فترة وهم يذهبون من وإلى الموقع يحملون سلال الطين , يبدءون فى الغناء ـ أو هكذا كنت أظنه غناء ـ نوع

من الغناء الممل الرتيب الذى يظل يتكرر مراراً , وكنت أفكر فى مدى بؤسهم عندما قال لى د. ليدنر : " إنهم مجموعة عمال رائعون ، أليس كذلك ؟ " . وظننت أنه عالم غريب لأن اثنين مختلفين ينظرون لنفس الشيء من منظورين مختلفين تماماً . لم أعبر عن ذلك جيداً لكنكم تفهمون قصدى .

بعد قليل قال د. ليدنر إنه سيعود للمنزل ليتناول كوب شاى منتصف النهار ، فسرت معه نحو المنزل وقال لى عدة أشياء . عندما وضح لى بعض الأمور كانت الرؤية مختلفة واتضحت كلها ـ كيف كان الحال سابقاً ـ الشوارع والمنازل , وأرانى المواقد وكيفية صناعة الخبز وكيف يستخدم العرب أفراناً من نفس النوع حالياً .

عدنا للمنزل ووجدنا السيدة ليدنر قد استيقظت وكانت تبدو أفضل حالاً اليوم ـ ليست نحيلة أو هزيلة أو متعبة . جاء الشاى فى الحال وأخبرها د. ليدنر ما حدث هذا الصباح فى موقع الحفر ، ثم عاد للعمل وسألتنى السيدة ليدنر ما إذا كنت أحب رؤية بعض ما اكتشفوه من آثار حديثاً . بالطبع وافقت واصطحبتنى لغرفة التحف . كان هناك عدد كبير من الأشياء الملقاة المبعثرة ـ معظمها أوان فخارية مكسورة , وبعضها كانت قطعاً ملصقة معًا ، لكنها كانت كلها ملقاة ومبعثرة .

قلت لها : " يا عزيزتى ، من المؤسف أن كلها مكسورة ، أليس كذلك ؛ هل تستحق الاحتفاظ بها حقاً ؟ "

ابتسمت قليلاً وقالت : " لا يجب أن يسمعك زوجى إيريك ؛ فالأوانى الفخارية تهمة أكثر من أى شىء آخر وهى أقدم الآثار لدينا ـ ربما عمرها أكثر من سبعة آلاف عام " . وشرحت لى كيف أن بعضها تم التنقيب عنه فى أعماق الجبل وأسفله ، وكيف أنها منذ آلاف السنين كسرت وتم إصلاحها بالقار وكيف كان ذلك يوضح تقدير القدماء للأشياء على عكس الناس الآن .

ثم قالت : " والآن سنريك شيئاً أكثر إثارة "

وأحضرت صندوقاً من الرف وأظهرت لى خنجراً جميلاً من الذهب ويده مطعمة بأحجار كريمة زرقاء داكنة اللون .

صحت من الدهشة والاستمتاع .

وضحكت السيدة ليدنر .

" نعم ، كل الناس تحب الذهب عدا زوجى ! "

" لماذا لا يحب زوجك الذهب ؟ "

" حسناً ؛ لأنه غال ويجب دفع مكافأة للعامل الذى يكتشفه وزن الشىء ذهباً "

صحت : " يا إلهى ! لماذا ؟ "

" حسناً إنها عادة فى هذه البلاد ؛ حتى يمنعهم ذلك من السرقة ، لأنهم إن سرقوا سيسرقون القيمة التاريخية

للآثار وليس القيمة المادية فقط ؛ فقد يذيبون الذهب ولذلك نسهل عليهم الطريق ليكونوا أمناء "

جلبت صينية أخرى وأظهرت لى كأساً ذهبية جميلة وعليها تمثال رأس التيس .

مرة أخرى صحت فى دهشة وإعجاب .

" نعم إنه جميل أليس كذلك ؟ جاءت هذه الكأس من مقبرة أمير ، ووجدنا مقابر ملكية أخرى لكن معظمها تمت سرقته ، وهذه الكأس هى أفضل ما اكتشفناه ، وهى أجمل كأس وجدناها فى أى مكان ؛ فهى فريدة من نوعها وتعود لعصر الأكاديين الأول "

فجأة عبس وجهها وقربت الكأس من عينيها وكشطت بحرص بظفرها الكأس .

" يا له من شيء عجيب ، هناك بالفعل طبقة شمع على الكأس ، لابد أن من فحصها كان معه شمعة " , ثم كشطت وفصلت جزءًا صغيراً من الشمع ووضعت الكأس مكانها .

بعد ذلك أظهرت لى بعض التماثيل الصغيرة من الخزف ـ لكن معظمها كانت لأناس عراة ؛ ففكرت فى نفسى أنه ربما كان القدماء وقحين حقاً .

عندما عدنا للبوابة كانت السيدة ميركادو جالسة وتقوم بطلاء أظافرها ، وتمسكها أمامها لتعجب بجمال الطلاء ، وقلت لنفسى إنها اختارت أسوأ لون ممكن لأظافرها وهو الأحمر البرتقالى .

أحضرت السيدة ليدنر معها من حجرة التحف طبقاً رقيقاً صغيراً مكسوراً إلى عدة أجزاء ، وجاءت به لتحاول لصق أجزائه مرة أخرى . راقبتها لدقيقتين ثم سألتها إن كانت تحتاج إلى المساعدة .

قالت : " نعم هناك المزيد من الأطباق الفخارية المكسورة " ؛ ثم جلبت كمية كبيرة من الفخار المكسور وبدأنا نعمل على لصقها كالبازل . سرعان ما تمكنت من ذلك ومدحت قدراتى فى إصلاح الأطباق . أعتقد أن معظم المرضات ماهرات فى الأشغال اليدوية .

قالت السيدة ميركادو : " كم ينشغل الجميع هنا ! هذا يشعرنى بالملل والفراغ جداً ، بالطبع أنا أشعر بالفراغ "

قالت السيدة ليدنر : " لن تشعرى بالفراغ إن اخترتِ عكس ذلك "

وكان صوتها ينم عن عدم الاكتراث .

فى الساعة الثانية عشرة ظهراً كان موعد الغداء ، وبعد ذلك نظف د. ليدنر والسيد ميركادو بعض الفخار بوضع محلول حمض الهيدروكلوريك عليه ، وكان لون أحد الآنية الفخارية قد تحول إلى لون وردى جميل ، وكان هناك طبق آخر عليه نمط مرسوم لقرون ثور . كان الأمر يبدو كالسحر حقاً . كل الطين الجاف الذى لم يكن ليزيله أى غسيل فجأة تحرك وبالسخونة الحمضية تلاشى من على الآثار .

خرج كولمان وكارى لموقع التنقيب وذهب رايتر لحجرة تحميض الصور .

قال د. ليدنر لزوجته : " ماذا ستفعلين يا لويز ، هل سترتاحين قليلاً ؟ "

فهمت أن زوجته عادة ما تخلد للراحة يومياً فى فترة ما بعد الظهيرة .

" سأرتاح لمدة ساعة تقريباً ، ثم ربما سأتمشى لبرهة من الوقت "

" رائع ، ستصطحبك المرضة بالطبع , أليس كذلك ؟ "

قلت له " بلى " .

قالت السيدة ليدنر : " كلا ، كلا ، أحب التمشية بمفردى ، لا يجب أن تشعر المرضة أن مهمتها مراقبتى طوال الوقت لدرجة ألا أكون بعيداً عن نظرها لبعض الوقت " .

قلت لها : " لكنى أود التمشية معك حقاً "

قالت بحزم وكأنها تمنع شيئاً بقوة : " كلا ، حقاً لا أحب أن تأتى معى ، أحب الخلوة والانفراد بنفسى كل فترة ؛ فهذا ضرورى لى "

بالطبع لم أصر ، وغفوت لبرهة قصيرة ، وشعرت بغرابة موقفها بأنه على الرغم من حالات ذعرها العصبية ترضى بأن تسير بمفردها بلا حماية .

عندما خرجت من حجرتى الساعة الثالثة والنصف عصراً كان الفناء خالياً من الناس عدا خادم صغير يغسل الأوانى الفخارية فى حوض نحاسى كبير والسيد إيموت الذى يفرزها ويرتبها . وبينما كنت أسير فى اتجاههما جاءت السيدة ليدنر من خلال المدخل ذى القبة وبدت مفعمة بالحيوية أكثر من أى مرة رأيتها فيها من قبل ، كانت عيناها تلمعان وبدت منفرجة الأسارير ومرحة وروحها المعنوية عالية .

خرج د. ليدنر من المعمل وانضم إليها وأخذ يريها طبقاً كبيراً مزيناً برسوم رءوس الثيران .

قال لها " مستويات ما قبل التاريخ كانت منتجة للغاية ، هذا الموسم جيد جداً حتى الآن ، واكتشاف هذه المقبرة فى البداية كان حظاً رائعاً ، الوحيد الذى يشكو هو رجل الدين لافينى ، بالكاد نجد له ألواحاً ليترجمها " .

قالت السيدة ليدنر بجفاء : " إنه حتى لم يبذل عملاً كثيراً فى المجموعة القليلة التى حصل عليها ، ربما هو مفسر رموز وطلاسم ممتاز ، لكنه كسول ويقضى عصر كل يوم فى النوم "

قال د. ليدنر : " نحن نفتقد بيرد ، هذا الرجل غريب الأطوار جداً ـ لكنى لست أهلاً للحكم فى ذلك ، لكن ترجماته للغة القديمة كانت مدهشة ، وهذا أقل ما يقال عنها . بالكاد أصدق ، مثلاً ، إنه محق بشأن ترجمته

للحجر المدون عليه بعض الكتابات ، لكنه كفء في عمله "

بعد الشاى سألتنى السيدة ليدنر إذا ما كنت أحب التمشية على ضفاف النهر . فكرت فى أنها ربما تظن أن رفضها لاصطحابى لها سابقاً قد جرح مشاعرى .

أردت أن أؤكد لها أننى لست من النوع الذى يستاء بسرعة , فقبلت عرضها على الفور .

كانت ليلة رائعة , وكان هناك طريق بين حقول الشعير وأشجار الفاكهة المزهرة سرنا فيه حتي وصلنا لضفة نهر دجلة ، وفى الحال كان على يسارنا التل ويعمل فيه العمال ويغنون أناشيدهم الرتيبة . كان على اليمين ساقية كبيرة تصدر صوتاً مزعجاً مكتوماً ، كانت تجعل أسنانى تصطك من الرعب فى البداية ، لكن فى النهاية اعتدت عليها وأحببتها وأحببت تأثير صوتها المهدئ اللطيف على نفسى ، وخلف الساقية , كانت تقع القرية التى جاء معظم العمال منها .

قالت السيدة ليدنر : " الجو جميل جداً أليس كذلك ؟ "

قلت لها : " وهادئ جداً ، ومن الغريب أن نبتعد عن كل أماكن العمران "

قالت السيدة ليدنر : " نبتعد عن كل الأماكن ، نعم على الأقل نتوقع الأمان هنا " .

نظرت نحوها بحدة ، لكنى ظننتها تتحدث لنفسها وليس لى ، ولا أظنها تدرك ما توضحه كلماتها لى .

ثم بدأنا فى العودة للمنزل .

فجأة أمسكت ذراعى بشدة وبعنف وكدت أصرخ .

" من هذا أيتها الممرضة ؟ ماذا يفعل ؟! "

على مسافة أمامنا فى الطريق للمنزل كان هناك رجل واقف يرتدى ملابس أوربية ويبدو واقفاً على أصابع قدمه ويحاول النظر عبر إحدى النوافذ .

وبينما كنا نراقبه , استدار ولمحنا وعلى الفور واصل السير نحونا ، وشعرت بقبضة السيدة ليدنر تزيد ضغطاً على يدى .

همست لى : " أيتها الممرضة ... "

قلت لها لتهدئتها " كل شىء على ما يرام يا عزيزتى لا داعى للقلق " .

جاء الرجل ومر عبرنا ، وكان أحد العراقيين ، وبمجرد أن رأته السيدة ليدنر هدأت وتركت ذراعى وتنفست الصعداء .

وقالت لى : " إنه رجل عراقى من الأهالى "

استكملنا طريقنا ونظرت إلى النوافذ بينما كنا نمر . لم تكن النوافذ عليها أعمدة حديدية فحسب ، بل كانت عالية جداً عن الأرض ، ولا تسمح لأحد بأن ينظر من خلالها من الخارج ؛ لأن مستوى الأرض كان أقل من مستوى الأرض داخل الحديقة .

قلت لها : " ربما كان فضولياً فقط " .

أومأت لى بالموافقة على رأيى .

" هذا كل ما فى الأمر ولكننى فكرت لدقيقة أن ــ "

واستمرت فى مشيها .

قلت لنفسى : " الآن ماذا تظنين ؟ هذا ما أردت معرفته ، ما رأيك ؟ " .

علمت شيئاً واحداً الآن ـ أن السيدة ليدنر كانت تخاف من شخص محدد من لحم ودم وليس شبحاً .

الفصل ٨
إنذار الليل

من الصعب قليلاً معرفة ماذا أكتب بالضبط عن الأسبوع الذى أعقب وصولى إلى تل ياريمجا . عندما أنظر للماضى من مكانى الآن فى الحاضر وما علمته أرى علامات ودلالات صغيرة كنت غافلة عنها حينئذ .

لكن لكى أسرد القصة كما يجب أعتقد أننى ينبغى أن أحاول استعادة وجهة النظر التى كنت أتبناها وقتها - كنت محتارة ومضطربة ومتوترة وزاد وعيى أنه ثمة خطأ يحدث .

ولكن كان هناك شىء واحد أكيد ، وهو أن الشعور الغريب بالتوتر والضيق والقلق لم يكن من نسج خيالى بل كان حقيقياً . حتى بيل كولمان الذى ليس لديه أى ذوق أو حس علق على ذلك .

قال ذات مرة : " هذا المكان بدأ يرعبنى ، هل الناس هنا تخيم عليهم الكآبة دائماً ؟ "

كان يتحدث إلى " ديفيد إيموت " المساعد الآخر الذى أعجبت به ، وتأكدت من أن كونه قليل الكلام لا يدل على أنه غير ودود . كان هناك فيه ما يدل على أنه مخلص وأمين ومطمئن فى جو يشك فيه الجميع فى بعضهم البعض فى مشاعرهم وتفكيرهم .

قال للسيد كورمان : " كلا ، كان الجو مختلفاً العام الماضى "

لكنه لم يستطرد فى الكلام فى هذا الموضوع ، ولم يزد بقول أى عبارة أخرى .

قال كولمان بصوت حزين : " ما لا يمكننى فهمه هو لماذا يحدث ذلك هنا ؟ وما الأمر ؟ " .

هز إيموت كتفيه بلا اكتراث ولم يحر جواباً .

تحدثت بحوار كشف لى الكثير مع الآنسة جونسون . أصبحت أحبها كثيراً ؛ فلقد كانت ذات كفاءة وعملية وذكية ، وتكن كل الحب والتقديرٍ للدكتور ليدنر وكأنه فارس أحلامها ، وكان ذلك واضحاً جداً .

وفى هذا الحوار أخبرتنى بقصة حياته منذ شبابه كانت تعرف كل مواقع الحفر التى نقب فيها عن الآثار ونتائج كل تنقيب ، وأكاد أقسم إنها تحفظ مقاطع من خطبه التى ألقاها ، كانت تعتبره كما قالت لى ، أهم عالم آثار ميدانى .

قالت لى : " وهو رجل بسيط ومتواضع تمامًا ، ولا يعرف الغرور أبداً ، وهذا تواضع العظماء والعلماء "

قلت لها : " لديك حق ، العظماء والكبار ليسوا بحاجة لإظهار الغرور " .

" وهو مرح أيضاً جداً ، لا يمكنني إخبارك بمدى المتعة التي كنا نقضي أوقاتنا فيها فيما مضى - هو وريتشارد كاري وأنا - في أولى سنواتنا هنا . كنا مجموعة سعيدة ، كان يعمل كاري معه في فلسطين بالطبع ، وقد استمرت صداقتهما عشر سنوات أو أكثر ، وأنا أعرفه منذ سبعة أعوام " .

قلت لها : " يا لوسامة السيد كاري ! " .

قالت بجفاء واقتضاب : " عندك حق - أعتقد ذلك " .

" لكنه هادئ أكثر من اللازم أليس كذلك ؟ " .

قالت بسرعة : " لم يعتد على ذلك سابقاً ، لكنا منذ ـــ "

توقفت فجأة .

قلت لها : " منذ ماذا ؟ "

هزت كتفيها بالحركة المعتادة وقالت : " حسناً ، تغيرت أمور كثيرة هذه الأيام بالطبع "

لم أجبها ، وتمنيت أن تواصل حديثها - وهذا ما فعلته - وكانت تبدأ حوارها بضحكة بسيطة للإقلال من أهمية تعليقاتها .

" أخشى أن أكون امرأة عجوزاً محافظة ، لكن أرى أنه في حالة عدم اهتمام زوجة عالم الآثار بعمله يجب أن

تكون حكيمة ولا تصحبه فى بعثته الاستكشافية ؛ لأن هذا يؤدى لمشاكل "

قلت لها : " لكن السيدة ميركادو ــــ "

نحت الآنسة جونسون ذكرها جانباً " هى ! أنا لا أفكر فيها بل فى السيدة ليدنر ؛ فهى امرأة ساحرة - وبإمكان المرء أن يفهم كيف وقع د. ليدنر فى حبها كما يقولون . لكنى أشعر أنها لا تجد نفسها في هذا المكان - فهي تسبب حالة عدم استقرار "

إذن كانت الآنسة جونسون تتفق مع السيدة كليزى في الرأى بأن السيدة ليدنر كانت السبب في جو التوتر . لكن من أين تأتى مخاوفها العصبية ؟

قالت الآنسة جونسون بصراحة " إنها سبب عدم استقرار د. ليدنر ، بالطبع قد أبدو كالحيوان الأليف المخلص لكن الغيور ، ولا أحب رؤيته قلقاً جداً ومنهكاً ، يجب أن يركز كل ذهنه في عمله وليس زوجته ومخاوفها السخيفة ! إنها تخشى الذهاب للأماكن غير المطروقة ، ويجب أن تعود لأمريكا ، ولا أصبر أنا على الناس الذين يأتون لمكان ما ولا يفعلون شيئاً سوى التذمر والقلق والشكوى "

ثم بدت وكأنها تخشى أن تكون قد قالت أكثر مما كانت تريد ، فقالت : " بالطبع أنا معجبة بها جداً ؛ فهى جميلة وساحرة فى سلوكها إن أرادت إظهار ذلك "

ثم توقفنا عن الكلام فى هذا الموضوع .

فكرت فى نفسى أن النساء يغرن من بعضهن البعض كلما اجتمعن فى مكان واحد وهذا أمر حتمى . من الواضح أنها لا تحب زوجة رئيسها (وهذا يبدو لى طبيعياً) وإذا لم أكن مخطئة فإن السيدة ميركادو تكرهها للغاية .

كما أن شيلا رايلى تكره السيدة ليدنر أيضاً ، وجاءت لموقع الحفر مرتين فى السيارة ، ومرة بصحبة شاب على الحصان ـ أعنى على حصانين بالطبع ، وجال بخاطرى أنها تحب الأمريكى الصامت دوماً ؛ إيموت . عندما كان يعمل فى موقعٍ الحفر كانت تظل تتحدث معه ، وأعتقد أنه كان معجباً بها أيضاً .

فى يوم ما بدون مقدمات علقت السيدة ليدنر على ذلك على الغداء .

قالت وهى تضحك : " شيلا مازالت تسعى وراء ديفيد ، يا لديفيد المسكين ، إنها تطارده حتى فى موقع الحفر ! يا لحماقة البنات ! "

لم يحر إيموت جواباً لكن تحت سمرة وجهه , احمر وجهه خجلاً ، ورفع عينيه ونظر إلى عينى السيدة ليدنر بتعبير غريب ـ نظرة ثابتة ومباشرة فيها تحد .

ابتسمت برقة وبساطة وابتعدت ببصرها عنه .

سمعت رجل الدين لافينى يهمس بشىء ما ، وعندما قلت له : " أرجو المعذرة لم أسمعك " , هز رأسه بالنفى ولم يكرر تعليقه .

في عصر ذلك اليوم قال السيد كولمان لى " فى الواقع لم أحب السيدة ليدنر فى البداية ، كانت تمطرنى بوابل من الهجوم كلما فتحت فمى ، لكنى بدأت فى فهمها بشكل أفضل الآن ؛ فهى من أفضل وأكرم النساء اللاتى قابلتهن ، وتجد نفسك أمامها تبوح بكل ما فى داخلك ، وهى تكره شيلا رايلى ؛ لكن شيلا تحدثت إليها بوقاحة عدة مرات . وشيلا تفتقر إلى الأخلاق فعلاً وهى عصبية للغاية ! " .

أنا أصدق ذلك لأن د. رايلى بالغ فى تدليلها .

" بالطبع هى مغرورة لأنها تشعر بأنها الشابة الوحيدة هنا ، لكن هذا ليس عذراً لكى تتحدث مع السيدة ليدنرٍ وكأنها جدتها ، وخاصة أن السيدة ليدنر ليست عجوزا بل جميلة جداً كالجنيات فى المزارع ، وحولها أنوار مغرية ومخيفة ، لكن شيلا لا تغرى أحداً ، بل تثبط عزيمة الرجال من حولها "

تذكرت حدثين لهما أهمية خاصة .

أحدهما عندما ذهبت للمعمل لإحضار بعض من حمض الآسيتون لتنظيف أصابعى من الفخار اللزج عندما كنت أصلحه . كان السيد ميركادو يجلس فى أحد الأركان ورأسه لأسفل وخلته نائماً ، ثم خرجت بالزجاجة ومضيت فى طريقى .

فى هذه الليلة اندهشت عندما قامت السيدة ميركادو باستجوابى .

" هل أخذت الزجاجة من المعمل ؟ " .

" نعم ، لماذا ؟ " .

" تعلمين أن هناك زجاجة صغيرة دائماً نحتفظ بها فى حجرة التحف "

وبدت غاضبة جداً .

" أحقاً ؟ لم أكن أعرف " .

" بل كنت تعرفين ! بل كنت تتجسسين كما تفعل الممرضات " .

حدقت إليها فى غضب .

قلت بكرامة : " لا أعلم عما تتحدثين يا سيدة ميركادو ، بالتأكيد لم أكن أتجسس على أحد " .

" أحقاً ؟ ألا تعلمين أننى أعلم سبب مجيئك إلى هنا ؟ "

للحظة ظننتها مغيبة بفعل الشراب ، فابتعدت عنها بدون أن أنطق بكلمة واحدة ، لكنى فكرت فى مدى غرابة الموقف .

الموقف الآخر لم يكن مهماً جداً . كنت أحاول استمالة كلب صغير بقطعة خبز لألاعبه لكنه كان جباناً ككل الكلاب ـ ومقتنعاً بأننى أنوى له كل سوء ، فهرب وتبعته ـ عبر المدخل ذى القبة وحول أحد أركان المنزل قبل أن أدرك أننى كنت على وشك الارتطام برجل الدين لافينى وهو يجلس مع رجل غريب لا أعرفه ـ وفى لحظة أدركت

مكتبة الرمحي أحمد

أنه الرجل الذى كنت أنا والسيدة ليدنر قد رأيناه يحاول التلصص من النافذة .

اعتذرت وابتسم رجل الدين لافينى وودع الرجل الآخر وعاد للمنزل معى .

قال لى : " أنا محرج جداً ، أنا طالب فى اللغات الشرقية ولا يفهمنى أحد من الرجال المحليين ؛ إنه لأمر مهين أليس كذلك ؟ كنت أحاول التدريب على اللغة العربية بالتحدث مع هذا الرجل ، وهو من أهل المدينة ؛ لأرى هل تحسنت أم لا - لكنى لم أنجح تمامًا ، وتقول السيدة ليدنر إن لغتى العربية فصيحة ورسمية جداً ولا يفهمونها "

كان ذلك كل شيء ، وفكرت كم هو غريب أن يحوم هذا الرجل حول المنزل مرة أخرى .

حدث موقف مفزع هذه الليلة .

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وأنا نومى خفيف كما هو الحال مع كل المرضات ، واستيقظت وجلست على الفراش ، وانفتح باب حجرتى فجأة .

" أيتها المرضة ! "

كان صوت السيدة ليدنر منخفضاً ويدل على العجلة .

أشعلت عود ثقاب وأنرت الشمعة .

كانت تقف على الباب برداء نوم أزرق طويل وتبدو متصلبة كالتمثال ومرتعبة للغاية .

" هناك ــ هناك شخص ـــــ فى الحجرة المجاورة لى ... سمعته يخدش الحائط " .

قفزت من الفراش وذهبت إليها .

قلت لها " لا بأس ، أنا هنا ، كل شىء على ما يرام ، لا تخافى يا عزيزتى "

همست لى قائلة " أريد زوجى إيريك "

أومأت لها وجريت نحو غرفته وطرقت الباب وجاءنا فى خلال دقيقة ، وكانت السيدة ليدنر جالسة على فراشي وتشهق بصوت عال .

قالت : " لقد سمعته ـ يخدش الحائط "

صاح د. ليدنر : " هل يوجد شخص فى حجرة التحف ؟ "

ثم ركض بسرعة ـ وفكرت فى اختلاف رد فعل كلا الزوجين . كان خوفها شخصيًّا ، وخوفه هو على الكنوز الثمينة .

صاحت هى : " غرفة الأنتيكات ! بالطبع ! يا لغبائى ! "

ثم قامت وسحبت رداءها حولها ، وأمرتنى بالمجىء معها ، واختفت كل آثار خوفها وفزعها .

وصلنا إلى حجرة التحف ووجدنا د . ليدنرٍ ورجل الدين لافينى . كان الأخير قد سمعِ الضجيج أيضاً ، وقام ليتفقد الأمر وتخيل أنه رأى ضوءا فى حجرة التحف ، وقد تأخر ليرتدى الحذاء ويأتى بالمصباح الكهربى

(البطارية) ولم يجد أحداً ، وكان الباب مغلقاً كما يجب بإحكام كما هى العادة ليلاً .

وبينما كان رجل الدين لافينى يتأكد بنفسه من عدم سرقة أى شىء من الحجرة كان د. ليدنر يساعده .

لم نعرف المزيد عن ذلك . كان باب المدخل مغلقاً ، وقد أكد الحرس عدم دخول أحد من الخارج ، وكانوا نائمين مما لا يؤكد صحة كلامهم . لم يكن هناك علامات على أى دخيل حاول الاقتحام ولم يسرق أى شىء .

كان من الممكن أن يكون ما أفزع السيدة ليدنر هو ضجيج رجل الدين لافينى عندما كان يفحص الصناديق من الأرفف ليتأكد من ترتيبها .

ومن ناحية أخرى ، كان رجل الدين لافينى متأكداً من أمرين (أ) لقد سمع خطوات تمر عبر نافذته (ب) رأى ضوءاً متراقصاً كلهب الشعلة فى حجرة التحف .

لم ير أحد أى شىء أو يسمع أى شىء آخر .

ولهذا الحدث أهميته ؛ لأن السيدة ليدنر ستفشى بكل مكنون صدرها لى فى اليوم التالى .

الفصل ٩

قصة السيدة ليدنر

فرغنا للتو من تناول الغداء ، وذهبت السيدة ليدنر لحجرتها طلباً للراحة كالعادة ، وأجلستها على فراشها مع وسائد كثيرة وكتابها الذى كانت تقرؤه ، وهممت بمغادرة الحجرة عندما صاحت لى لكى أعود إليها .

" لا تذهبى أيتها الممرضة ؛ هناك شيء أريد أن أقوله لك "

عدت للحجرة على الفور .

" أغلقى الباب "

أطعت أوامرها .

نهضت من الفراش وبدأت تسير فى الحجرة جيئة وذهاباً . رأيت أنها تهم بفعل شيء ما ولم أرغب فى مقاطعة تفكيرها . كانت تفكر بكل جدية فى قرار ما .

فى النهاية بدأت تستجمع شجاعتها حتى الحد المطلوب ، ثم اتجهت نحوى وقالت فجأة :

" اجلسى "

جلست بجوار المائدة فى هدوء تام ، وبدأت تحكى بعصبية " لابد أنك تتساءلين ماذا يحدث هنا ؟ "

أومأت فى صمت بالإيجاب .

" لقد قررت إخبارك - بكل شىء ! يجب أن أخبر أحداً وإلا فإننى سأجن ! "

قلت لها : " حسناً لا مانع عندى ، ليس من السهل معرفة أفضل ما نفعله عندما نجهل ما يحدث حولنا "

توقفت عن سيرها العصبى وواجهتنى .

" هل تعرفين مم أخاف ؟ " .

" رجل ما " .

" نعم , لكنى لم أقل ممن " .

انتظرت إلى أن تكمل حوارها .

قالت لى : *" اخشى ان يكون هناك من يسعى لقتلى ! "* .

حسناً لقد انكشف السر الآن . ولم أظهر قلقاً خاصاً فى تلك اللحظة ؛ لأنها كانت على وشك الانهيار فى حالة هيستيريا .

قلت لها : " يا عزيزتى ! أهذا كل شىء ؟ "

ثم بدأت تضحك بشدة حتى سالت الدموع على خديها .

" لقد قلت ذلك بطريقة مضحكة ! عن الطريقة التى قلت بها ... "

قلت لها بحدة : " لن ينفع هذا الحوار الآن " , ثم دفعتها لتجلس على المقعد ، وذهبت للحوض وأحضرت إسفنجة باردة مبللة وغسلت جبهتها ومعصميها .

قلت لها " كفى عن الهراء وأخبرينى بهدوء وتعقل عما يحدث "

وقد منعها هذا من الدخول فى نوبة هيستيريا وجلست منتصبة القامة وتحدثت بصوتها الطبيعى .

قالت لى : " أنت كنز أيتها المرضة ، أنت تجعليننى أشعر وكأنى طفلة فى السادسة من عمرى ، سأخبرك بكل شىء "

قلت لها " هذا جيد ، تمهلى وخذى وقتك "

بدأت تتحدث بعمق وببطء .

" عندما كنت فى العشرين من عمرى تزوجت من شاب فى الوزارة عام ١٩١٨ "

قلت لها : " أعرف وأخبرتنى السيدة ميركادو بذلك وأنه قتل فى الحرب "

لكن السيدة ليدنر هزت رأسها بالنفى .

" هذا ما تظنه هى والآخرون . الحقيقة مختلفة تماماً . كنت فتاة وطنية متحمسة مليئة بالمثاليات أيتها المرضة ، وبعد زواجى بشهور قليلة علمت ـ بالصدفة البحتة ـ أن زوجى جاسوس لألمانيا . علمت أن المعلومات التى أمد الألمان بها أدت مباشرة لغرق سفينة أمريكية عابرة للقارات وموت المئات ، ولا أعلم ما فعله باقى الناس ... لكننى

سأخبرك بما فعلته أنا ؛ فلقد ذهبت لأبى الذى كان يعمل فى وزارة الحربية وأخبرته بكل شىء . وقد مات فريدريك فى الحرب ـ هذا ما يعلمه الجميع ـ لكنه قتل فى أمريكا كجاسوس وهذا كان عقابه "

قلت لها : " يا إلهى ! كم هذا فظيع ! " .

قالت لى : " نعم ، شىء فظيع ، كان زوجاً رائعاً أيضاً ـ لقد كان رقيقاً وطيباً .. طوال الوقت ... لكنى لم أتردد فى الإبلاغ عنه أبداً ... ربما كنت مخطئة " .

قلت لها : " من الصعب تحديد ذلك ، لو كنت مكانك لا أعرف ماذا كنت سأفعل "

" ما أقوله لك لم يعرفه أحد خارج نطاق وزارة الخارجية ، وما يعلمه الآخرون أن زوجى قتل فى ميدان المعركة فى الجبهة ، وتعاطف معى الجميع كأرملة شهيد حرب " .

كان فى صوتها مرارة ، وأومأت لها دلالة على أنى أتفهم الموقف .

" أراد الكثيرون التقدم للزواج منى ، لكنى رفضت ، كانت صدمتى عنيفة ولم *اثق* بأحد "

" نعم ؛ أتفهم ذلك "

" ثم أحببت شاباً وترددت ، وحدث شىء مدهش ! جاءنى خطاب بلا توقيع من فريدريك ـ قال فيه إن تزوجت برجل آخر فسيقتلنى ! " .

" من زوجك الراحل ؟ " .

" نعم ، وفى البداية ظننت أننى أحلم أو ربما جننت ، وفى النهاية ذهبت لوالدى وأخبرنى بالحقيقة . لم يتم إعدام زوجى ؛ فقد هرب ـ وهروبه لم يفده فى شيء ، وتورط فى تدمير قطار لاحقاً بعد أسابيع وتم العثور على جثته ضمن غيرها من الجثث . أخفى والدى عنى حقيقة هروبه , وبعد موت زوجى لم ير أى سبب لإخبارى إلا بعد أن ذكرت له موضوع الخطاب .

" لكن الخطاب الذى تلقيته يفتح الباب لاحتمالات جديدة تماماً ، هل لا يزال على قيد الحياة ؟ " .

" فحص أبى الموضوع بحرص شديد وأعلن أن الجثة التى دفنت هى جثة فريدريك ، كانت مشوهة تماماً ، وكلام والدى بالتالى ليس مؤكداً مائة بالمائة ، لكنه كرر اعتقاده الصارم أن فريدريك قد مات ، وأن الخطاب خدعة دنيئة ملعونة وقاسية " .

وقد حدث نفس الشيء أكثر من مرة ؛ فكنت كلما ارتبطت عاطفياً بأى رجل , أتلقى خطاباً به تهديد بالقتل "

" هل الخط فى الخطابات خط زوجك ؟ "

قالت ببطء : " من الصعب معرفة ذلك ؛ فلم أر خطابات له من قبل ، وذكراه ضعيفة فى ذاكرتى الآن " .

" هل هناك كلمات وتلميحات خاصة تشير إلى أنها خطابات من زوجك ؟ " .

" كلا ـ بل مجرد كلمات محددة ـ كأسماء التدليل مثلاً ـ وهى خاصة بيننا فقط وإن تم استخدامها لكنت قد تأكدت من هوية من أرسل الخطابات " .

قلت لها وأنا أفكر : " نعم ، هذا شيء غريب ، ربما لا يبدو أنها من زوجك ، لكن ممن تكون ؟ "

" هناك احتمال ؛ فلدى فريدريك أخٍ أصغر كان عمره بين عشرة أعوام واثنى عشر عاماً عندما تزوجت فريدريك ، وكان يحب أخاه الأكبر وكان فريدريك مغرماً به . لا أعلم ماذا حدث لهذا الأخ وكان اسمه ويليام . ربما بسبب حبه لأخيه ظن أننى سبب وفاته ؛ فقد كان دائماً يغار منى وربما خطط لذلك كعقاب لى "

قلت لها " ربما يكون ذلك ممكناً ، من المدهش قدرة الأطفال على التذكر بعد تلقى الصدمات " .

" أعلم ذلك ، ربما كرس هذا الفتى حياته للانتقام "

" أكملى سرد حكايتك من فضلك "

" لم يتبق الكثير لأرويه . قابلت إيريك منذ ثلاثة أعوام وقررت عدم الزواج ، لكنه جعلنى أغير رأيى وانتظرت وصول خطاب تهديد يوم زواجى لكن لم يحدث ، وقلت إن من يرسل الخطابات إما أن يكون قد مات أو كف عن مزاحه الثقيل ، *ولكن بعد زواجى بيومين جاءنى الخطاب !* " .

جاءت بحقيبة الأوراق من على المائدة وفتحتها وجاءت بالخطاب لى لأقرأه .

كان الحبر قد بدأ يبهت لونه ، وكان الخط مائلاً ويشبه خط النساء .

" لقد عصيت اوامرى . لن تتمكنى من الهرب الآن . يجب ان تكونى زوجة فريدريك بوسنر فقط ا ستقتلين حتماً " .

" أصابتنى حالة رعب شديدة ـ لكن ليست شديدة فى البداية كما هى الآن . لقد جعلنى زواجى من إيريك أشعر بالأمان ، لكن بعد شهرين من زواجى جاءنى خطاب ثان :

" لم انس تهديدى . انا اخطط لقتلك . يجب ان تموتى . لماذا عصيت اوامرى ؟ " .

" هل زوجك على علم بكل هذا ؟ "

قالت السيدة ليدنر ببطء :

" إنه يعلم أننى مهددة بالقتل ، وأريته الخطابين عندما جاء الخطاب الثانى . كان يميل للتفكير بأن كليهما خدعة سخيفة من شخص يريد ابتزازى بالادعاء أولاً بأن زوجى الأول على قيد الحياة ... "

صمتت لبرهة ثم قالت

" بعد أيام قليلة من تلقى الخطاب الثانى نجونا بأعجوبة من الموت بسبب التسمم بالغاز . دخل أحدهم الشقة أثناء النوم وفتح أنابيب الغاز ، لكنى لحسن الحظ استيقظت وشممت الغاز فى الوقت المناسب . فقدت أعصابى بعد ذلك وأخبرت زوجى بكل ما حدث طوال

السنوات الماضية ، وقلت له إن الرجل المجنون المجهـول صاحب الخطابات كان يريد قتلى . بدأت أظن لأول مـرة أن الفاعل هو فريدريك لأنه كان بـلا رحمـة ورقتـه تخفـى قسوة قلبه .

ظل إيريـك أقـل انزعاجـاً كمـا ظننـت ، وأراد إبـلاغ الشرطة ، وبالطبع رفضت ، وفى النهايـة اتفقنـا علـى أن أصحبه إلى هنا ، ومن الحكمة ألا نعـود لأمريكـا ، ونظـل صيفاً فى لندن وباريس .

نفذنا الخطة وسار كل شىء علـى مـا يـرام ، وشـعرت بالأمان لأن بينى وبين عدوى نصف الكرة الأرضية .

بعد ذلـك ، منـذ ٣ أسـابيع ـ تلقيـت رسـالة أخـرى ـ وعليها طابع عراقى "

ثم أعطتنى الرسالة الثالثة :

" ***ظننت أنك ستهربين ؛ أنت مخطئة . لن تخوننى وتظلـين على قيد الحياة ، لطالما أخبرتك بذلك . ستموتين فى أسـرع وقت*** " .

" ومنذ أسبوع ـ تلقيت خطاباً آخر ! كان علـى المائـدة ولم يأت بالبريد " .

تناولت منها الخطاب ، وكان به عبارة واحدة :

" ***لقد وصلت*** " .

وحدقت نحوى :

" هل فهمت ؟ سيقتلنى ـ ربما يكون فريدريك أو أخاه ويليام ـ ***لكنه سيقتلنى*** "

ارتفع صوتها وتهدج وارتعش ، فأمسكت بمعصميها لكى تهدأ .

قلت لها " اهدئى الآن ولا تستسلمى ، سنعتنى بك . هل لديك دواء مهدئ ؟ " .

أومأت وأشارت نحو حوض الاغتسال فأعطيتها جرعة مناسبة ، ثم قلت لها : " هذا أفضل " , وبدأ وجهها يعود إلى لونه الطبيعى .

" نعم ، أنا أفضل حالاً الآن . لكن أيتها الممرضة ، أرأيت لماذا أنا فى هذه الحالة ؟ عندما رأيت الرجل العراقى ينظر من نافذتى قلت لنفسى : " لقد جاء القاتل ... " حتى وصولك إلى هنا شككت فيه ... ظننتك القاتل متنكراً ــــ "

" يا له من أمر غريب ! " .

" أعلمِ أن هذا يبدو سخيفاً ، لكن ظننتك شريكة القاتل مثلاً ـ ولست ممرضة أساساً "

" لكن هذا هراء ! " .

" نعم ، ربما أكون قد فقدت عقلى "

جاءتنى فجأة فكرة ، فقلت لها : " هل إن رأيت زوجك الأول ستعرفينه ؟ "

قالت ببطء : " لا أظن ذلك ، مضى على ما حدث خمسة عشر عاماً ، وقد لا أعرف وجهه "

ثم ارتعشت من الرعب .

" رأيته مرة واحدة ذات ليلة وكان وجهه *ميتاً* ، وكان هناك طرق على نافذتى ، ثم رأيت وجهه الميت المرعب يبتسم ابتسامة شريرة عبر خشب النافذة ، فصرخت بأعلى صوتى ... وقالوا لى لم يكن أحد هناك "

تذكرت قصة السيدة ميركادو .

قلت لها بتردد : " ألا تظنين أنك كنت *تحلمين* ؟ "

أنا متأكدة أننى لم أكن أحلم ! " .

لم أكن بمثل تأكدها . هذه الكوابيس من المحتمل جداً أن تحدث فى هذه الظروف ، ويخيل إليها أن ذلك كان حقيقة لا كابوساً ، ولكنى لا أعارض المرضى أبداً ، بل هدأت من روعها قدر الإمكان ، وأشرت إلى أن وصول أى غريب فى المنطقة سنعرفه بالتأكيد .

تركتها وهى هادئة إلى حد ما وبحثت عن د. ليدنر وأخبرته عما دار بيننا من حوار .

قال ببساطة " أنا سعيد لأنها أخبرتك ؛ لقد أقلقنى الأمر كثيراً . أنا متأكد أن حادثة الغريب الذى نقر على النافذة من نسج خيالها . لم أعرف ماذا أفعل إزاء ذلك . ما رأيك فى الأمر كله ؟ "

لم أفهم نبرة صوته كاملة ، لكنى أجبته بسرعة :

" من الممكن أن تكون الرسائل خدعة دنيئة وحقيرة " .

" نعم ، هذا محتمل جداً ، لكن ماذا نفعل ؟ إنها على وشك الجنون ، ولا أعلم ماذا أفعل "

أنا أيضاً لا أعرف ، جال بخاطرى أن هناك امرأة وراء ذلك ، وخاصة الشك يحوم حول السيدة الحقود ميركادو .

ربما بالصدفة علمت أمر الزواج الأول للسيدة ليدنر ، وبالتالى تشبع رغبتها وحقدها بترويع هذه السيدة .

لم أرغب فى التلميح بذلك للدكتور ليدنر ؛ لأننى لا أضمن رد فعله وهل سيقبل ذلك أم لا ؟!

قلت له بمرح : " حسناً ، لنأمل فى الأفضل ، أعتقد أن السيدة ليدنر أسعد حالاً عندما تحدثت معى ، هذا يفيد دائماً كما تعلم الآن ؛ فالكتمان يؤذى الأعصاب "

كرر ما قاله لى : " أنا سعيد لأنها أخبرتك ، إنها علامة جيدة تدل على أنها تحبك وتثق بك . كنت أضرب أخماساً فى أسداس لأعرف ما أفضل الأمور التى يجب أن أفعلها لأساعدها "

كنت على وشك سؤالى له إذا ما كان يجب إخطار البوليس المحلى أم لا ، لكن بعد ذلك سعدت لعدم قولى هذا الكلام .

هذا كان ما حدث : فى اليوم التالى ذهب السيد كولمان لإحضار رواتب العمال من الحسنية ومعه خطاباتنا ليرسلها بالبريد .

وكانت الخطابات تلقى فى صندوق خشبى فى صالة الطعام على النافذة من الأسفل . وكان آخر شئ فى هذه

الليلة هو أن السيد كولمان أخذ الخطابات من الصندوق وفرزها وصنفها إلى مجموعات ووضع حولها شريطاً مطاطياً .

ثم فجأة صاح بأعلى صوته .

سألته " ما الأمر ؟! "

أعطاني خطاباً وهو يبتسم :

" إنها لويز الجميلة ـ لقد جنت المرأة ! لقد وجهت خطابها إلى شخص ما في عنوان بالشارع رقم ٤٤ ، باريس ، فرنسا . لا أظن أن ذلك صحيح ، أليس كذلك ؟ هل تتفضلين الخطاب لها وسؤالها ماذا تقصد ؟ لقد ذهبت للفراش للتو "

أخذت منه الخطاب وهرعت إليها وقامت بتعديل الخطاب وعنوانه .

كانت أول مرة أرى فيها خط السيدة ليدنر ، وبدا لى مألوفاً جداً على نحو غريب .

فجأة جالت بخاطرى فكرة رهيبة في منتصف الليل !

عدا أن خطها كان أكبر وأقل نظاماً وتنسيقاً ، ***لكنه كان يشبه على نحو غريب جداً الخط فى رسائل التهديد مجهولة المُرسل !***

انتابتنى أفكار جديدة وأخذت تدور فى رأسى .

هل كتبت السيدة ليدنر هذه الخطابات لنفسها بشكل مقنع ؟

وهل كان د. ليدنر يشك نسبياً فى هذه الحقيقة ؟

الفصل ١٠

يوم السبت عصراً

كانت السيدة ليدنر قد أخبرتني بقصتها يوم الجمعة .

فى صباح يوم السبت كان هناك جو يخلو قليلاً من التوتر .

مالت السيدة ليدنر إلى التعامل معى رسمياً وتجنبت عن عمد أى فرصة حوار جانبى معى علىٍ انفراد . حسناً هذا لا يدهشنى ! حدث لى ذلك مراراً وتكراراً . يخبر السيدات ممرضاتهن بأمور فى لحظة ثقة واندفاع ، ثم لا يرتحن بعد ذلك لهذا ويتمنين ألا يكن قد فعلن ذلك ! إنها طبيعة البشر .

حرصت جداً ألا ألمح لها أو أذكرها بأى طريقة بما قالته لى ، وجعلت حوارى معها عادياً قدر الإمكان .

استعد السيد كولمان للذهاب للحسنية فى الصباح ، وقاد الشاحنة مع الخطابات فى جوال ، وكان معه أيضاً أمران يؤديهما للبعثة وأعضائها . كان يوم دفع أجور العمال ، ويجب أن يذهب للبنك ويجلب المال فى شكل

عملات صغيرة القيمة ، وهذا أمر يحتاج لوقت طويل ، ولم نتوقع عودته حتى عصر السبت . شككت فى أنه قد يتناول غداءه مع شيلا رايلى .

لم يكن العمل على أشده فى موقع الحفر يوم دفع الأجور عصراً ، لأن دفع الأجور يبدأ فى الساعة الثالثة والنصف .

ظل الغلام الصغير عادل الذى كان عمله هو غسيل الآنية الفخارية جالساً وسط الحديقة , ومرة أخرى كالعادة ظل يغنى بهذا الغناء الأنفر الغريب الذى سمعته من قبل ، وكان د. ليدنر وإيموت سيعملان فى الأوانى الفخارية حتى وصول السيد كولمان , وكان كارى قد ذهب لموقع التنقيب .

ذهبت السيدة ليدنر لحجرتها طلباً للراحة ، وجلست معها حتى خلدت للنوم ، وذهبت إلى حجرتى ومعى كتاب لأقرأه لأننى لم أشعر بالنعاس . كانت الساعة ٤٥ ١٢ ومرت ساعتان فى هدوء . قرأت قصة مثيرة هى " Death in a Nursing Home " ـ على الرغم من عدم دراية المؤلف بكيفية إدارة بيوت التمريض ! لم أعرف بيت تمريض مثل الموصوف فى القصة ! شعرت بالرغبة القوية أن أكتب رسالة للمؤلف وأصحح له بعض النقاط .

عندما توقفت عن القراءة وتركت الكتاب أخيراً (كان الجانى هو الخادمة ذات الشعر الأحمر ، ولم أشك فيها

مطلقاً !) نظرت إلى ساعتى واندهشت لأن الوقت كان ٤٠ ٢ عصراً !

ونهضت وهندمت ردائى وذهبت للحديقة .

كان عادل مازال ينظف طوال الوقت ويغنى غناءه الحزين ، وديفيد إيموت يقف بجواره يفرز الآنية الفخارية ويضع المكسور منها فى الصناديق تمهيداً لإصلاحها . سرت نحوهما وجاء فجأة د. ليدنر من السلم المؤدى للسطح .

قال بمرح " يا له من وقت جيد ! لقد نظمت ورتبت الأمور هنا . ستسعد زوجتى لويز ، لقد شكت مؤخراً من عدم وجود مكان للحركة بحرية هنا ، سأخبرها بالأنباء السارة "

سار نحو باب حجرة زوجته وطرق الباب ودخل .

خرج بعد دقيقة ونصف تقريباً ، وبالصدفة كنت أنظر نحو الباب لحظة خروجه ، كان الأمر كالكابوس ، لقد تركنا كرجل مرح وسريع الحركة وخرج يترنح كالمخمور ـ ووجهه ترتسم عليه علامات الذهول الغريبة .

صاح بصوت أجش وغريب : " أيتها المرضة ! "

فهمت على الفور أن ثمة ما يسوء ، وركضت نحوه ، وبدا مظهره بشعاً ـ شحب كل وجهه وأخذ يتشنج وكأنه على وشك الانهيار فى أى لحظة .

صاح : " زوجتى ... زوجتى ... يا إلهى ... "

مررت بجواره مندفعة إلى الحجرة ، ثم شهقت بشدة .

كانت السيدة ليدنر مستلقية على الفراش ، وكانت متكومة بشكل مريع .

انحنيت فوقها ووجدتها ميتة ـ منذ ساعة على الأقل . كان سبب الوفاة واضحاً تماماً ـ ضربة قوية على جبهة الرأس على الصدغ الأيمن . لابد أنها قامت من الفراش وضربت حيث وقفت بجوار الفراش .

لم أرعها حق الرعاية للأسف .

جلت ببصرى فى أرجاء الحجرة لمعرفة إذا ما كانت هناك أدلة على الجانى ، لكن كل شيء كان فى ترتيبه وكل شيء فى مكانه . كانت النوافذ مغلقة وموصدة ولا يوجد مكان لاختباء الجانى ، لابد أنه قد غادر المكان منذ وقت طويل .

خرجت من الحجرة وأغلقت الباب خلفى .

انهار د. ليدنر تماماً الآن ، وكان معه ديفيد إيموت ، وشحب لون وجهه ، ونظر نحوى وكأنه يستفهم منى عما حدث .

أخبرته بأقل الكلمات عما حدث .

كما كنت أخمن عنه ؛ فهو نوع من البشر من الطراز الأول ويمكن الاعتماد عليه وقت الشدائد . كان هادئاً تماماً ومتماسكاً ، وكانت عيناه الزرقاوان مفتوحتين عن آخرهما ، وغير ذلك لم يظهر أى علامة أخرى .

فكر لدقيقة وقال لى : " يجب إخطار الشرطة بأسرع ما يمكن . بيل سيعود فى أى لحظة ، ماذا سنفعل مع د. ليدنر ؟ "

" ساعدنى لندخله حجرته "

أومأ لى برأسه .

قال لى : " لنغلق الباب أولاً "

ثم أغلق باب حجرة السيدة ليدنر بالمفتاح ، ثم سحب المفتاح وأعطاه لى .

" احتفظى بهذا المفتاح أيتها الممرضة " .

ثم حملنا د. ليدنر معًا حتى حجرته وجعلناه يستلقى على الفراش ، وذهب إيموت بحثاً عن بعض العطر وعاد ومعه الآنسة جونسون .

كان وجهها شاحباً وقلقاً لكنها كانت هادئة ومتماسكة وشعرت بالرضا ؛ لأننى سأترك د. ليدنر فى حمايتها ورعايتها .

أسرعت نحو الحديقة ووصلت للتو عربة المحطة عبر المدخل وصدمنا لرؤية بيل بوجهه المورد المرح وصاح وقفز ليحيينا كعادته " أهلاً بالجميع ! " , وقال بمرح : " لم أتعرض للسرقة على الطريق و ... " ، ثم توقف عن الكلام فجأة : " ما الأمر ؟ ما خطبكم جميعاً ؟ تبدون وكأن القطة أكلت عصفورِ الكناريا " .

قال إيموت : " لقد قُتلت السيدة ليدنر ! "

تغير وجهه المرح بسرعة تدعو للسخرية " ماذا ؟! " ، وحدق فينا مذهولاً وكانت عيناه تجحظان بشدة : " ماتت الأم ليدنر ! أنتم تمزحون معى وتخدعوننى ! "

صاحت السيدة ميركادو من خلفى بحدة : " ماتت ؟ هل قتلت السيدة ليدنر ؟! "

قلت لها : " نعم ، قتلت "

قالت وهى تشهق : " كلا ! لا أصدق ذلك ، ربما تكون قد انتحرت "

قلت لها بجفاء : " المنتحر لا يرتطم برأسه ، بل هى جريمة قتل يا سيدة ميركادو "

وجلست فجأة منهارة على صندوق مقلوب .

وقالت : " ياه ، هذا مريع وفظيع ... "

بالطبع كان أمراً مريعاً ، لم نكن بحاجة إليها لتقول لنا ذلك ! ربما كانت تشعر بالندم على مشاعر الضغينة التى كانت تكنها للمرأة المقتولة ، وكل العبارات المهينة الحقودة التى كانت تقولها .

بعد دقيقة أو اثنتين سألت ، وهى تتنفس بصعوبة بالغة " ماذا ستفعلون ؟ "

تولى إيموت الحوار بهدوئه المعهود :

" عد يا بيل إلى الحسنية بأسرع ما يمكن ؛ فأنا لا أعرف الإجراءات المناسبة ، وحاول الوصول إلى كابتن ميتلاند ؛ لأنه مسئول الشرطة هنا على ما أظن واذهب إلى د. رايلى أولاً وسيعرف ماذا يجب أن نفعل "

أومأ السيد كولمان وكف عن مزاحه وهزله وارتسمت الجدية على وجهه وبدا صغيراً وخائفاً وبدون أن ينطق بكلمة قفز فى عربة المحطة وانطلق .

قال السيد إيموت بعدم ثقة : " يجب أن نفحص كل المكان على ما أظن " , ثم رفع صوته بالصياح : " يا إبراهيم ! "

" نعم "

جاء الغلام الخادم وهو يركض وتحدث إليه إيموت باللغة العربية ، ودار بينهما حديث قوى بلغة غريبة لم أفهمها ، وبدا الغلام ينكر بشدة شيئاً ما .

فى النهاية قال السيد إيموت بصوت مرتبك : " إنه يقول إنه لم يظهر أى شخص هنا عصراً ، ولم يكن هناك أى دخلاء أو غرباء . ربما تسلل القاتل دون أن يراه أحد "

قالت السيدة ميركادو : " بالضبط هذا هو ما قد حدث ، تسلل ولم يره الخدم " .

كان الشك وعدم اليقين فى صوته قد جعلانى أنظر إليه مستفهمة .

رد الفتى بكل حماس بحديث طويل .

زادت درجة العبوس والحيرة على وجه السيد إيموت .

همس قائلاً : " لا أفهم ذلك أبداً ! " .

لكنه لم يقل لى ماذا كان يقصد .

الفصل ١١

الأمر الغريب

إننى متمسكة بقدر الإمكان بسرد القصة من وجهة نظرى الشخصية فى هذا الأمر . سأغفل جانب الأحداث فى الساعتين التاليتين ، حيث جاء كابتن ميتلاند والشرطة ود . رايلى وحدث هرج ومرج واضطراب عام وتم العمل الروتينى المعتاد على ما أظن .

فى رأيى بدأنا نهدأ فى حوالى الساعة الخامسة عندما استدعانى د. رايلى ليتحدث معى فى المكتب . أغلق الباب خلفه وجلس على مقعد د. ليدنر وأشار لى بالجلوس أمامه وقال بسرعة : " حسناً أيتها المرضة لننه الحوار فى هذا الأمر ، هناك أمور غريبة جداً تحدث هنا "

حركت أكمام ردائى ونظرت له مستفهمة .

وأخرج مفكرة ليدون عليها وقال لى :

" هذا لإشباع فضولى ، متى اكتشف د. ليدنر جثة زوجته بالضبط اليوم ؟ " .

" غالباً الساعة ٤٥ : ٢ " .

" كيف عرفت ذلك ؟ "

" حسناً نظرت لساعتى عندما نهضت من فراشى وكانت الساعة ٤٠ : ٢ " .

" اسمحى لى أن ألقى نظرة على ساعتك " .

خلعتها من معصمى وناولتها له .

" إنها مضبوطة تماماً ، ياالك من امرأة ممتازة ، حسناً تأكدنا من ذلك ، الآن هل لديك فكرة كم ظلت من الوقت ميتة ؟ " .

" ياه يا دكتور ، لا أحب الخوض فى ذلك "

" لا تكونى رسمية إلى هذا الحد ، أريد التحقق من أن تقديراتك تتوافق مع تقديراتى " .

" حسناً ، ماتت قبلها بساعة على الأقل " .

" تماماً ، لقد فحصت الجثة فى الساعة ٣٠ : ٤ ويمكننى أن أقول إن الوفاة تمت ما بين الساعة ١٥ ١ و ٤٥ : ١ ، أى ٣٠ : ١ مثلاً كمجرد تخمين أقرب للتأكيد " .

توقف عن الكلام وطرق المائدة بأصابعه وهو يفكر .

قال : " إنه لأمر مريب وغريب ، هل يمكنك إخبارى عنه ـ هل كنت ترتاحين فى حجرتك كما قلت ؟ هل سمعت أى شىء ؟ " .

" فى الساعة ٣٠ : ١ ؟ كلا يا دكتور ، لم أسمع أى شىء فى هذا الوقت ولا فى أى وقت آخر . ظللت مستلقية على فراشى منذ الساعة ٤٥ : ١٢ إلى ٤٠ : ٢

ولم أسمع أى شىء عدا الضجيج الهادر للغلام العربى فى الغناء ، وأحياناً كان إيموت يصيح للدكتور ليدنر على السطح " .

" الغلام العربى ـ نعم " .

ثم قطب جبينه .

فى تلك اللحظة انفتح الباب ودخل د. ليدنر والكابتن ميتلاند ، الذى كان رجلاً مزعجاً وضئيل البنية وعيناه الرمادية ممتلئتين بالخبث والدهاء .

قام د. رايلى ودفع د. ليدنر ليجلس على مقعده . " اجلس يا رجل ، أنا سعيد بمجيئك ، نحن بحاجة إليك ، هناك أمر مريب جداً " .

أحنى د. ليدنر رأسه .

قال وهو ينظر نحوى : " أعرف ذلك ، زوجتى قالت الحقيقة للمرضة ، لا داعى لإخفاء ما حدث أيتها المرضة فى هذا الظرف ، وأرجو أن تخبرى د. رايلى وكابتن ميتلاند بكل ما قالته لك زوجتى بالأمس "

ذكرت لهم الحوار بالنص قدر استطاعتي بالحرف الواحد .

كان كابتن ميتلاند يشهق كل فترة أثناء كلامى . وعندما انتهيت من سرد ما حدث ، اتجه إلى د. ليدنر قائلاً :

" كل هذا حقيقي يا ليدنر ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، كل ما قالته المرضة ليذرين صحيح " .

قال د. رايلى : " يالها من قصة عجيبة ، هل يمكنك إحضار هذه الخطابات ؟ " .

" لا شك فى أننا سنجدها وسط حاجيات زوجتى " .

قلت لهم : " لقد أخرجتها من حقيبة أوراق على المائدة " .

" غالباً لاتزال الخطابات هناك "

ثم اتجه نحو الكابتن ميتلاند وصار وجهه الهادئ عادة صارماً ومتجهماً .

قال له : " يجب التكتم على هذه القصة تماماً يا كابتن ، فالأهم هو القبض على هذا الرجل وعقابه " .

قلت له : " أتظن أن القاتل زوجها الأول حقاً ؟ "

قال الكابتن : " ألا تظنين ذلك أيتها المرضة ؟ "

قلت لهم مترددة : " الأمر كله مشكوك فيه " .

قال د. ليدنر : " على أية حال ، هذا الرجل قاتل ـ ومجنون خطير جداً أيضاً . يجب إلقاء القبض عليه يا كابتن ، ولا يجب أن يكون ذلك صعباً " .

قال د. رايلى ببطء : " ربما يكون الأمر أصعب مما تظن ... أليس كذلك يا ميتلاند ؟ " .

جذب الكابتن شاربه ولم يحر جواباً

ثم فجأة صحت أنا .

قلت لهم : " أرجو المعذرة ، فهناك شئ يجب أن أذكره " .

ثم أخبرتهم قصة العراقى الذى حاول التلصص من النافذة ، وكيف رأيته يتسكع فى المكان منذ يومين ويتحدث مع رجل الدين لافينى .

قال الكابتن : " رائع سنلاحظ ذلك ، لابد أن يتابع أفراد الشرطة هذا الخيط ، ربما يكون الرجل متورطاً فى القضية " .

قلت له : " ربما كان جاسوساً مدفوع الأجر ليعرف ما إذا كانت الساحة خالية لدخول القاتل أم لا "

حك د. رايلى أنفه بحركة تدل على الضيق وقال : " لكن هذا لغز ، فإذا افترضنا أن الساحة لم تكن خالية ... "

حدقت إليه فى حيرة .

اتجه الكابتن للدكتور ليدنر وقال :

" اسمعنى جيداً يا ليدنر ، هذا ملخص الأدلة التى عثرنا عليها حتى الآن . بعد الغداء الذى تم تقديمه فى الساعة ١٢ ظهراً وانتهى الساعة ٤٥ ١٢ ذهبت زوجتك لحجرتها لمصاحبة المرضة التى تؤكد أنها كانت ترتاح فى هذا الوقت ، ثم ذهبت أنت للسطح وقضيت به ساعتين أليس كذلك ؟ " .

" نعم " .

" هل نزلت من السطح فى أى وقت طوال هذه المدة ؟ " .

" كلا "

" هل صعد أحد إليك ؟ " .

" نعم كان إيموت يصعد كثيراً وكان ينتقل عدة مرات بينى وبين الغلام الذى كان يغسل الفخار بالأسفل " .

" هل نظرت نحو الفناء بنفسك ؟ "

" مرة أو مرتين ـ لكى أنادى على إيموت لأخبره عن شىء ما " .

" هل كان الغلام فى كل مرة يجلس ويغسل الفخار ؟ " .

" نعم " .

" ما أكبر مدة قضاها إيموت معك ولم يذهب للفناء ؟ " .

فكر د. ليدنر قليلاً .

" من الصعب القول ... لكن كانت ربما ١٠ دقائق ، وشخصياً أقول إنها كانت من دقيقتين إلى ثلاث دقائق ، لكن إحساسى بالوقت ليس جيداً عندما أنهمك فى عملى الذى أهتم به " .

نظر الكابتن ميتلاند إلى د. رايلى الذى أومأ له ثم قال : " لنبدأ الأمر " .

وأخرج الكابتن ميتلاند مفكرة وفتحها وقال :

" انظر يا ليدنر ، سأقرأ لك ما كان يفعله كل عضو فى البعثة ما بين الساعة ١ ـ ٢ ظهر اليوم " .

" لكن بكل تأكيد ــــ " .

" انتظر ، سترى ما أهدف إليه خلال دقيقة واحدة . في البداية السيد ميركادو وزوجته ، لقد قال إنه كان يعمل في المعمل وهى كانت فى حجرتها تعتنى بشعرها . وقالت الآنسة جونسون إنها كانت فى حجرة المعيشة ترسم صوراً للأقفال الأسطوانية . وقال رايتر إنه كان يحمض الصور فى الغرفة المظلمة . أما رجل الدين لافينى فقد قال إنه كان يعمل في حجرة نومه . أما باقى أعضاء البعثة كارى وكولمان ، فقد كان الأول فى موقع الحفر ، وكان كولمان فى الحسنية ، أما الطاهى الهندى الخاص بك فقد كان خارج المدخل يتحدث مع الحراس وينظف طائرين مذبوحين . إبراهيم ومنصور الغلامان الخادمان فقد جاءا للطاهى فى حوالى الساعة ١٥ ١٠ وظلا يتحدثان ويتضاحكان ويتسامران حتى ٣٠ : ٢ - *بعد أن قتلت زوجتك بالفعل* "

مال د. ليدنر إلى الأمام وقال :

" أنا لا أفهم ، أنت تحيرنى ، ماذا تقصد ؟ "

" هل هناك مدخل آخر لحجرة زوجتك عدا الباب المؤدى للفناء ؟ " .

" كلا ، هناك نافذتان موصدتان بالحديد - وكانتا مغلقتين على ما أظن " .

ونظر لى مستفهماً .

قلت بسرعة " نعم كانتا مغلقتين من الداخل بإحكام "

قال الكابتن ميتلاند : " على أية حال حتى وإن كانتا مفتوحتين لن يتمكن أحد من دخول الحجرة عن طريقهما . تأكدت ورفاقي أن ذلك مستحيل . نفس الشيء مع كل نوافذ المكان المطلة على الحقول ، لكي يدخل القاتل إلى حجرة زوجتك يجب أن يمر عبر المدخل ذى القبة في الفناء ، لكن الحارس والطاهي والغلام أكدوا عدم دخول أحد "

قفز د. ليدنر من مكانه وصاح :

" ماذا تعني بحق السماء ؟ " .

قال د. رايلي : " تماسك يا رجل ، أعرف أنها صدمة ، لكن عليك مواجهتها . إن *القاتل جاء من الداخل. ليس من الخارج . يبدو أن زوجتك قد قتلها أحد أعضاء البعثة الاستكشافية !*"

الفصل ١٢

" لم أصدق ... "

" كلا ، كلا ! " .

صاح د. ليدنر وقفز من مقعده وسار جيئة وذهاباً وهو في حالة اضطراب وهياج شديدين .

" من المستحيل أن تقول ذلك يا رايلى ، مستحيل تماماً . واحد *منا* ؟ لماذا ؟ كان كل فرد فى البعثة يحب لويز ! "

حرك د. رايلى جانبى فمه بتعبير غريب . وفى ظل هذه الظروف كان من الصعب أن يقول أى شيء ، لكن كان صمته أبلغ من الكلام فى هذه اللحظة .

قال د. ليدنر : " هذا مستحيل تماماً ، كلهم كانوا يحبونها ، كانت لويز رائعة حقاً ، ولها سحر وجاذبية خاصة شعر بها الجميع " .

سعل د. رايلى وقال :

" أرجو المعذرة يا ليدنر ، لكن هذا على أية حال رأيك الخاص ، إذا كان أحد أعضاء البعثة كان يكره زوجتك فلم يكن ليعلن لك عن هذه الحقيقة "

بدا الحزن الشديد على د. ليدنر .

" هذا حقيقى بالفعل ـ لكن على أية حال يا رايلى أظنك مخطئاً . أنا متأكد من أن الجميع كان يحب لويز "

ظل صامتاً لدقيقة أو اثنتين ثم صاح فجأة :

" فكرتك هذه بشعة ولا يصدقها أحد ! " .

قال الكابتن ميتلاند : " لا يمكن الهرب من الحقائق "

" حقائق ! إنها أكاذيب الطاهى الهندى والخدم ؛ وعلى أية حال ، أعتقد أن تخميناتك خاطئة ، لماذا لا يكون هذا القاتل الشيطان قد جاء مبكراً وأخفى نفسه فى مكان ما ؟ " .

قال د. رايلى ببرود : " لا أقول إن ذلك مستحيل ، لنفترض أن القاتل دخل بدون أن يراه أحد بطريقة ما ، سيضطر إلى أن يظل مختبئاً حتى تأتى اللحظة المناسبة ، وبالتأكيد لم يكن ليختبئ فى حجرة المجنى عليها ، فلا يوجد مكان للاختباء ، ويجازف بأن يراه أحد يدخل الحجرة ويغادرها ـ وخاصة فى وجود إيموت والغلام فى الفناء لمعظم الوقت "

قال د. ليدنر : " ياه لقد نسيت أمر الغلام ، إنه صغير وحاد الذكاء ، لكنه بالتأكيد يا ميتلاند رأى القاتل يدلف إلى حجرة زوجتى " .

" لقد استنتجنا ذلك ، كان الغلام يغسل الأوانى الفخارية طوال الوقت عدا فى حوالى الساعة ٣٠ : ١ ـ لم يعرف إيموت الوقت المحدد بالضبط سوى لهذا التخمين ـ وعاد للسطح وظل معك ١٠ دقائق ؛ أليس هذا صحيحاً ؟ " .

" نعم ، لا أعرف كم من الوقت بالضبط لكن حوالى ١٠ دقائق " .

" حسناً ، أثناء الدقائق العشرة انتهز الغلام الفرصة لكى يكف عن العمل وسار للخارج وانضم للآخرين عند البوابة ليتسامر معهم ، وعندما جاء إيموت لأسفل ، وجد الغلام غائباً ، وصاح منادياً عليه فى غضب وسأله لماذا ترك عمله ، ***أعتقد أن زوجتك قد قتلت أثناء فترة الدقائق العشرة هذه*** " .

جلس د. ليدنر وهو يصيح ضجراً وأخفى وجهه بيديه .

استكمل د. رايلى الحكاية وقال بهدوء اعتيادى ومألوف عنه :

" الوقت يؤكد الدليل الذى عثرت عليه ، لقد ماتت منذ ٣ ساعات عندما فحصتها ، ويبقى السؤال ـ من القاتل ؟ "

ساد الصمت ، وجلس د. ليدنر منتصباً على مقعده ومرر يده على جبهته .

قال بهدوء " إنني أعترف أن استنتاجك قوى يا رايلى ، يبدو أن القاتل جاء من الداخل ، لكنى أشعر أنه ثمة خطأ ما . من الممكن أن يكون كلامك صحيحًا لكنْ هناك خطأ كبير فيه ، كبداية أنت تفترض وقوع صدفة مدهشة "

قال د. رايلى : " من الغريب أن تستخدم هذه الكلمة "

واصل د. ليدنر كلامه دون أن يلتفت لكلام د. رايلى :
" تلقت زوجتى خطابات تهديد بالقتل ، وكان لديها الحق فى أن تخشى شخصاً محدداً ، ثم قتلت ، وأنت تقول لى إنها لم تقتل على يد من يهددها ، بل على يد شخص آخر تماماً ! أقول إن هذا استنتاج سخيف " .

قال د. رايلى متأملاً : " نعم ؛ إنه يبدو كذلك "

نظر د. رايلى إلى الكابتن ميتلاند : " صدفة ، أحقاً ؟ ما رأيك يا ميتلاند ؟ هل تؤيد الفكرة ؟ هل نصدق ليدنر ؟ " .

أومأ له الكابتن ميتلاند .

قال باختصار : " استمر " .

" هل سمعت من قبل عن رجل يدعى " هيركيول بوارو " يا ليدنر ؟ "

حدق إليه د. ليدنر فى حيرة تامة ، ثم قال بغموض حائر :

" أعتقد أننى سمعت هذا الاسم من قبل ، أعتقد أننى سمعت رجلاً يدعى فان ألدين يتحدث عنه ويمدحه ؛ فهو مخبر خاص ، أليس كذلك ؟ "

" نعم هو "

" لكنه يعيش فى لندن ، فكيف سيساعدنا إذن ؟ " .

قال د. رايلى : " إنه يعيش فى لندن فعلاً ، لكن هنا تأتى المصادفة ، إنه ليس فى لندن الآن بل فى سوريا وسيمر عبر الحسنية فى طريقه إلى بغداد غداً ! " .

" من أخبرك بهذا ؟ "

" جان بيرا القنصل الفرنسى ؛ لقد تعشى معنا بالأمس وتحدث عنه ، وكان يتحرى عن جريمة فى سوريا ، وسيأتى لزيارة بغداد ، وبعد ذلك سيعود لسوريا ومنها إلى لندن . يا لها من مصادفة جيدة "

تردد د. ليدنر للحظة ثم نظر معتذراً للكابتن ميتلاند :

" ما رأيك يا كابتن ميتلاند ؟ " .

قال بسرعة : " إننى أرحب بأى مساعدة وتعاون ، ورفاقى يجيدون فحص كل البلاد واستجواب المتهمين ، لكن فى الواقع يا ليدنر مسألة مقتل زوجتك أعلى من اختصاص رجالى ، ويبدو الأمر مريباً ومحيراً جداً ، وأرحب بتولى بوارو القضية "

قال د. ليدنر : " هل تعنى أن ألجأ لمساعدة بوارو ؟ لكنه قد يرفض ، أليس كذلك ؟ "

قال د. رايلى : " لن يرفض "

" كيف عرفت ؟ "

" لأنى رجل محترف فى عملى ، وإذا جاءتنى عملية جراحية معقدة مثل التهاب النخاع الشوكى فى المخ والعمود الفقرى وطُلبت للمساعدة فلن أتمكن من الرفض . هذه ليست جريمة عادية يا ليدنر "

قال ليدنر : " كلا بالطبع " ، واهتزت شفتاه من الألم المفاجئ وقال : " هلا اتصلت بهيركيول بوارو بالنيابة عنى يا د. رايلى ؟ "

" سأفعل "

أشار د. ليدنر له بالشكر والامتنان .

وقال ببطء : " حتى الآن لا أصدق أن لويز قد ماتت "

ولم أعد أتحمل أكثر من ذلك ؛ فصحت :

" ياه يا د. ليدنر ، لا يمكننى إخبارك كم أنا حزينة ، لقد أخفقت فى مهمتى تماماً ! كان عملى مراقبتها ورعايتها وإبعادها عن الأذى "

هز د. ليدنر رأسه بكل جدية وقال ببطء :

" كلا أيتها المرضة ، لا داعى لإلقاء اللوم على نفسك ؛ بل أنا يجب أن ألوم نفسى ؛ فليسامحنى الله ،

لم أصدقها طوال الوقت ... لم أعتقد طوال الوقت أنها في خطر فعلى ... "

ثم قام وتشنج وجهه .

وقال : " تركتها تسير نحو حتفها ... نعم أنا المسئول ؛ فلم أصدقها ــ "

ثم سار مترنحاً وهو يخرج من الحجرة .

نظر لى د. رايلى وقال :

" أشعر أنني أشاركه الخطأ وأستحق اللوم أيضًا ، كنت أظن أن الراحلة تتلاعب بأعصابه " .

قلت له معترفة " أنا أيضاً لم آخذ الأمر بجدية "

قال د. رايلى بجدية " نحن الثلاثة مخطئون "

قال الكابتن ميتلاند : " يبدو كذلك " .

الفصل ١٣

وصول هيركيول بوارو

لا أظننى سأنسى أول مرة رأيت فيها هيركيول بوارو . بالطبع اعتدت عليه لاحقاً ، لكن فى البداية كان الأمر بمثابة صدمة ، وأظن أن الجميع شعر بنفس الصدمة !

لا أعرف ماذا تخيلت ـ لكنى ظننته يشبه شيرلوك هولمز ـ طويل ونحيل وحاد الذكاء وتبدو على وجهه أمارات النباهة . بالطبع كنت أعلم أنه أجنبى ، لكننى لم أتوقع أن يكون أجنبيًّا إلى هذا الحد ، إن كنتم تفهمون قصدى .

بمجرد رؤيته للوهلة الأولى انتابتنى رغبة عارمة فى الضحك ! كان يشبه الناس فى الصور أو على المسرح . كبداية ، لا يتعدى طوله خمس أقدام وخمس بوصات كما أظن ـ وهو رجل غريب وممتلئ البنية وكبير فى السن وله شارب كث ورأس كالبيضة مثل مصفف الشعر فى مسرحية هزلية !

كان هذا هو الرجل الذى سيعرف قاتل السيدة ليدنر !

أعتقد أن اشمئزازى منه ظهر على وجهى ؛ لأنه قال على الفور بشكل مباشر لى وفى عينيه بريق غريب :

" أنت لا توافقين على وجودى يا أختى ؟ تذكرى أن الحلوى لا تثبت حلاوتها إلا بعد تذوقها "

ربما كان يقصد أنه يجب أن نجربه قبل أن نحكم عليه كمخبر .

إنه مثل حقيقى فعلاً ، لكنى لم أشعر بالثقة فيه !

كان د. رايلى قد جاء به فى سيارته بعد الغداء فى يوم الأحد ، وكان أول إجراء له أن طلب اجتماعنا كلنا .

اجتمعنا فى حجرة الطعام وجلسنا جميعاً حول المائدة ، وجلس بوارو على رأس المائدة مع د. ليدنر ، وجلس د. رايلى على الطرف الآخر .

وعندما اكتملنا فى النهاية ، تنحنح د. ليدنر ، وتحدث بصوت رقيق ومتردد :

" أعتقد أن كلكم قد سمعتم عن هيركيول بوارو . كان يمر بالحسنية اليوم ووافق بلطف منه على قطع رحلته لكى يساعدنا . أنا متأكد من أن الكابتن ميتلاند والشرطة العراقية يؤدون عملهم على أكمل وجه ـ لكن هذه القضية لها ظروف خاصة " ـ ثم تردد ونظر باستعطاف إلى د. رايلى ـ " أو صعوبات خاصة " . . . .

قال بوارو الضئيل الحجم : " الأمر ليس واضحاً تمامًا ـ كلا ! " إنه حتى لا يتحدث الإنجليزية كما يجب !

صاحت السيدة ميركادو : " يجب القبض على الجاني ، لا يحتمل أن يظل طليقاً ويهرب ! "

لمحت عيني بوارو تستقران عليها وكأنه يقيمها .

قال لها : " من هو الذى تقصدينه يا سيدتي ؟ "

" القاتل بالطبع "

قال بوارو : " آه ، القاتل "

وتحدث وكأن القاتل لا يعنيه ولا يهمه أساساً !

حدقنا جميعاً نحوه وحدق هو في وجوهنا واحداً تلو الآخر .

قال : " أظن أنه لم يشهد أحدكم جريمة قتل من قبل ؟ "

همهم الجميع بالموافقة .

ابتسم بوارو وقال :

" من الواضح أنكم لا تفهمون أساسيات الموقف . هناك أمور كثيرة تستوجب الاستياء ، مثل الشك مثلاً في البداية "

" الشك ؟ "

كانت هذه العبارة للآنسة جونسون ، ونظر بوارو إليها وهو يفكر ملياً ، وأعتقد أنه قد رضي عنها وبدا وكأنه يفكر : " يا لها من شخصية ذكية وعاقلة ! "

قال لها : " نعم يا آنسة ، شك ! لنستوضح الأمر أكثر . جميعكم مشكوك فيه تحت سقف هذا المنزل :

الطاهي ومساعد الطاهى ، الخدم ، الغلمان ، الحارس ، غلام الأوانى الفخارية ـ وكل أعضاء البعثة أيضاً "

نهضت السيدة ميركادو ووجهها تتحرك عضلاته ثم قالت :

" *كيف تجرؤ* ؟ كيف تجرؤ على مثل هذا القول ؟ هذا شىء بشع ـ لا يحتمل ! يا دكتور ليدنر ـ لا يمكنك الجلوس هنا وتدع هذا الرجل ـ هذا الرجل ــ " .

قال د. ليدنر بتعب : " حاولى أن تهدئى من فضلك يا مارى "

وقف أيضاً زوجها وكانت يداه ترتعشان وعيناه محمرتين من الغضب :

" أنا أوافق على ما قالته زوجتى ، إن هذه إهانة لا تغتفر ــ " .

قال بوارو : " كلا ، كلا ، أنا لا أقصد إهانتكم ، بل أطلب منكم فقط مواجهة الحقائق . *فى المنزل محل الجريمة ـ جريمة القتل ـ كل الحضور مشتبه فيهم إلى حد ما* . أريد معرفة أى دليل يشير إلى أن القاتل جاء من خارج المنزل "

صاحت السيدة ميركادو : " لكن بالطبع جاء من الخارج ! هذا هو التفسير المعقول ! " ، ثم توقفت عن الحديث هنيهة ، ثم قالت ببطء : " أى شىء آخر لا يصدقه أحد ! "

انحنى لها بوارو وقال : " بلا شك أنت على حق يا سيدتى ، لكنى أشرح طريقة التحقيق فى القضية ، فى البداية أتأكد من براءة جميع الحاضرين فى هذه القاعة ثم أسعى وراء القاتل فى مكان آخر "

قال رجل الدين لافينى بأدب ودماثة : " ألا يمكن تأجيل ذلك ، فالوقت قد تأخر اليوم ؟ "

" لقد سبقت السلحفاة الأرنب أيها الرجل الكريم "

هز رجل الدين لافينى كتفيه بلا اكتراث وقال بإذعان واستسلام : " نحن بين يديك ، فلتقنع نفسك بأسرع ما يمكن بأننا أبرياء من هذا الأمر المريع "

" بأسرع ما يمكن . إن واجبى هو توضيح الأمر وذلك حتى لا تستاءوا من جرأة أو وقاحة أى سؤال قد أطرحه عليكم "

قال رجل الدين لافينى بجدية " اسألنى أى سؤال تريده " .

" هل هذا أول موسم لك هنا ؟ " .

" نعم "

" متى وصلت إلى هنا ! "

" منذ ثلاثة أسابيع إلا يومًا واحدًا ، فى ٢٧ فبراير "

" من أين أتيت ؟ " .

" من قرطاج " .

" شكراً أيها الرجل الكريم ، هل كنت تعرف السيدة ليدنر قبل مجيئك إلى هنا ؟ "

" كلا ، لم أرها أبداً إلا عندما قابلتها هنا "

" هلا أخبرتنى ماذا كنت تفعل وقت الحادث ؟ "

" كنت أعمل فى ترجمة بعض الألواح ذات الكتابة المسمارية فى حجرتى " .

ولاحظت أن بوارو كان يحمل تحت إبطه رسمًا تخطيطيًا للمنزل .

" هذه الحجرة فى الركن الجنوبى الغربى تقابل حجرة السيدة ليدنر من الجهة المقابلة ، أليس كذلك ؟ "

" نعم "

" متى دخلت حجرتك ؟ " .

" بعد الغداء مباشرة ، الساعة ٤٠ : ١٢ تقريباً " .

" ومكثت بها حتى متى ؟ " .

" حتى الساعة الثالثة ، سمعت عربة المحطة تعود ـ ثم ترحل ، وتساءلت عن السبب فخرجت لأرى ما حدث "

" أثناء بقائك فى الحجرة , ألم تغادرها مطلقاً ؟ "

" نعم لم أغادرها أبداً ولو لمرة واحدة "

" ولم تر أو تسمع أى شيء له علاقة بالحادث ؟ "

" كلا "

" أليس لديك فى حجرتك نافذة تطل على الفناء ؟ "

" كلا ، كلا النافذتين تطل على الحقول "

" هل بإمكانك سماع ما يحدث فى الفناء ؟ "

" ليس إلى درجة كبيرة ، سمعت السيد إيموت يمر عبر حجرتى ويصعد للسطح مرة أو مرتين "

" هل يمكنك أن تتذكر متى ؟ "

" كلا ، أخشى أننى لا أتذكر ، كنت منهمكًا ومنكباً على عملى كما ترى "

ساد الصمت لبرهة ثم قال بوارو :

" هل يمكنك أن تقول أى شىء يلقى الضوء على القضية ؟ هل مثلاً لاحظت أى شىء فى الأيام التى سبقت الحادث ؟ "

بدا على رجل الدين لافينى عدم الارتياح .

وألقى نظرة متسائلة على د. ليدنر ثم قال بجدية

" إنه سؤال صعب يا سيدى ، كان من الواضح بكل صراحة أن السيدة ليدنر فى رأيى كانت تخاف جدًا من شىء أو شخص ، وتنتابها حالات عصبية بشأن الغرباء ، وربما لديها سبب لعصبيتها ـ لكنى لا أعرف شيئاً ؛ فلم تخبرنى بسرها "

تنحنح بوارو ونظر لبعض الملحوظات فى يده وقال

" لكن منذ يومين كانت هناك محاولة سرقة أثارت الذعر "

رد رجل الدين لافينى بالإيجاب ، وذكر قصة الضوء المضاء فى حجرة التحف والبحث الذى لم يُفْضِ إلى شىء .

" هل تظن أن هناك شخصًا اقتحم المبنى بدون إذن وقتئذ " .

قال رجل الدين لافينى بصراحة : " لا أعرف حقيقة ؛ لأنه لم يُسرق أى شىء ولم نجد أى فوضى ، ربما كان أحد الغلمان من الخدم ــ " .

" أو أحد أعضاء البعثة ؟ " .

" أو أحد أعضاء البعثة ، لكن فى تلك الحالة لن يكون هناك داع لعدم الاعتراف بهذا " .

" لكن ربما كان شخصاً غريباً من الخارج ؟ " .

" ربما ، أظن ذلك " .

" لنفترض أن رجلاً غريباً دخل إلى المبنى ، وأخفى نفسه بنجاح أثناء اليوم التالى حتى عصر يوم وقوع الجريمة ! " .

كان يوجه كلامه لرجل الدين لافينى ود. ليدنر ، وفكر الاثنان بدقة .

فى النهاية قال د. ليدنر على مضض : " بالكاد أظن ذلك ممكناً ، لا أرى مكاناً للاختباء ، أليس كذلك يا لافينى ؟ " .

" فعلاً ، لا يوجد مكان "

بدا كلا الرجلين وكأنهما يتقاعسان عن طرح هذه الفكرة جانباً .

توجه بوارو إلى الآنسة جونسون

" وأنت يا آنسة ؟ هل تظنين أن هذا الافتراض ممكن الحدوث ؟ " .

بعد لحظة تفكير هزت رأسها بالنفى وقالت :

" كلا ، لا أظن ذلك ؛ فأين سيختبئ الجانى ؟ كل حجرات النوم مستعملة ومشغولة وعلى أية حال فإن بها أثاثاً قليلاً جداً وحجرة تحميض الصور والمكتب والمعمل كانت حجرات مشغولة طوال الوقت - وكذلك باقى الحجرات . لا يوجد دواليب أو أركان للاختباء ، ربما تواطأ الخدم مع الجانى و ـــ "

قال بوارو : " هذا ممكن لكنه ليس محتملاً "

ثم توجه لرجل الدين لافينى وقال :

" هناك نقطة أخرى ، لقد لاحظت المرضة أنك تحدثت مع رجل بالخارج ، ولاحظت أنه نفس الرجل الذى كان يحاول التلصص على النافذة من الخارج من قبل ، وكان يبدو وكأنه يتسكع حول المكان عن عمد "

قال رجل الدين لافينى بعد تفكير عميق : " هذا ممكن بالطبع "

" هل تحدثت للرجل أولاً أم هو الذى بادرك بالحديث ؟ "

فكر رجل الدين لافينى لمدة دقيقتين ثم قال :

" أظنه هو الذى تحدث معى أولاً - أنا متأكد "

" ما الذى قاله لك ؟ "

حاول رجل الدين لافينى جاهداً أن يتذكر :

" قال شيئاً بخصوص هذا المنزل الخاص بالبعثة الأمريكية ، وكون الأمريكيين يؤجرون كثيرًا من الرجال في العمل ، ولم أفهمه جيداً وحاولت جاهداً الحوار معه لتحسين لغتي العربية ؛ فقد كنت أظن أن كونه من أهل البلدة سيجعله يفهمني أفضل من غيره في موقع الحفر "

" هل تحدثتما عن أى شيء آخر ؟ ".

" حسبما أتذكر ، قلت له إن الحسنية مدينة كبيرة ـ واتفقنا على أن بغداد أكبر ـ وسألني هل أنا أمريكي أم من بلد أجنبي آخر ـ أو شيء من هذا القبيل "

أومأ له بوارو :

" هلا وصفت لى هذا الرجل ؟ "

أخذ رجل الدين لافيني يفكر في عبوس وقال في النهاية :

" كان رجلاً قصيراً مربعاً في بنيته وأحول العين بشكل واضح وبشرته شقراء " .

اتجه بوارو نحوى وقال :

" هل هذه مواصفات الرجل الذى وصفته لى ؟ " .

قلت له مترددة : " ليس بالضبط ، بل كان رجلاً طويلاً وأسمر البشرة ، وبدا نحيلاً في بنيته ، ولم ألاحظ أنه أحول " .

هز بوارو كتفيه بلا اكتراث :

" كما يحدث دائماً ، في الشرطة يسمعون وصفاً متناقضًا من شخصين لشخص واحد ! "

قال رجل الدين لافيني : " أنا متأكد من أنه أحول , وقد تكون الممرضة على حق في النقاط الأخرى ، وبالمناسبة فقد ذكرت أنه أشقر مقارنة بباقي أهل العراق وهذا بالنسبة لها لون أسمر "

قلت له بإصرار : " بل هو أسمر جداً "

وجدت د. رايلي يعض على شفتيه ويبتسم .

رفع بوارو يده وصاح :

" لننتقل إلى نقطة أخرى ! قد يكون هذا الغريب المتسكع مهمًا ـ أو قد لا يكون كذلك . على أية حال , يجب العثور عليه ، لنواصل التحقيق الآن "

تردد للحظة ثم تفرس في وجوهنا ، ودار حول المائدة ثم اختار بإشارة سريعة السيد رايتر .

" تعال يا صديقي ؛ لنعرف ما لديك عن عصر الأمس " .

تورد وجه رايتر السمين واحمر خجلاً .

وقال : " أنا ؟ "

" نعم أنت ، في البداية , اسمك وسنك ؟ "

" كارل رايتر ، ٢٨ عامًا "

" أمريكي الجنسية ؟ "

" نعم ، من شيكاغو " .

" هذا أول موسم لك هنا ؟ " .

" نعم ، أنا مسئول التصوير هنا " .
" نعم , وهل كنت تعمل بالأمس عصراً ؟ "
" نعم ، كنت فى حجرة التحميض لمعظم الوقت "
" معظمه وليس كله ؟ "
" نعـم ، حمـضت بعـض الـصور أولاً ، ثـم أصـلحت الصور بالرتوش "
" بالخارج ؟ " .
" كلا ، داخل حجرة التصوير "
" هـل حجـرة التحمـيض تنفـذ إلى الحجـرة الخاصـة بالتصوير ؟ "
" نعم "
" وبالتالى لم تغادرها أبداً ؟ "
" نعم " .
" هل لاحظت أى شيء مريب يحدث فى الفناء ؟ "
هز رأسه بالنفى وقال : " لم ألاحظ أى شيء ، وكنت مشغولاً جداً ، وسمعت عودة السيارة ، ثم خرجت لأتسلم أى بريد جاءنى ، وسمعت الخبر المشئوم "
" متى بدأت تعمل فى حجرة التحميض ؟ "
" الساعة ٥٠ : ١٢ "
" هـل كنـت تعـرف الـسيدة ليـدنر قبـل أن تنـضم للبعثة ؟ "
هز الرجل رأسه بالنفى وقال

" كلا يا سيدى لم أرها من قبل سوى عندما وصلت إلى هنا لأول مرة "

" ألا يمكنك التفكير فى أى شىء مهما كان يبدو تافهاً ليساعدنا فى القضية ؟ "

هـز رأسـه بـالنفى وقـال بيـأس : " لا أعلـم شـيئاً يا سيدى " .

" السيد إيموت ؟ "

تحدث ديفيد إيمـوت بوضـوح ودقـة بـصوته الأمريكـى الناعم الجميل وقال :

" كنت أعمل فى الفخـار مـن ٤٥ : ١٢ إلى ٤٥ : ٢ ـ وأشـرف علـى عمـل الغـلام عـادل ، وأصـنف الفخـار ، وأذهب للسطح أحياناً لأساعد د. ليدنر "

" كم مرة صعدت للسطح ؟ "

" أربع مرات تقريباً " .

" كم من الوقت مكثت فى السطح ؟ " .

" فى كل مرة حوالى دقيقتين لا أكثر ، لكن فى إحدى المرات بعد أن عملت لمدة نصف ساعة ظللت علـى الـسطح لمدة عشر دقائق ـ لأناقش مـا سـنحتفظ بـه ومـا سـنتخلص منه "

" وعندما نزلت , هل وجدت الولد غادر مكانه ؟ "

" نعم ، وصـحت فيـه بغـضب ، وعـاد هـو مـن عنـد البوابة ، لقد ذهب للآخرين ليثرثر معهم " .

" هـذه المـرة الوحيـدة التـى تـرك فيهـا عملـه يـوم الحادث ؟ " .

" كلا ، أرسلته للسطح مرتين بالفخار " .

قال بوارو بجدية " من المهم أن أسألك يا سيد إيموت : هل رأيت أحداً يدخل أو يخرج من حجرة السيدة ليدنر أثناء هذا الوقت ؟ "

رد إيموت بسرعة قائلاً :

" لم أر أى شخص ، لم يأت أحد للحديقة أثناء الساعتين اللتين قضيتهما فى العمل " .

" وغبت عن الحديقة فى تقديرك أنت والغلام الساعة ٣٠ : ١ ؟ "

" ابتعدت لهذا الوقت تقريباً ، وبالطبع ليس *بالضبط* ! "

اتجه بوارو إلى د. رايلى :

" هل هذا يوافق تقديرك لوقت الوفاة أيها الطبيب ! "

" بكل تأكيد "

جذب بوارو شاربه الضخم وقال بجدية " أعتقد أنه يمكن القول بأن السيدة ليدنر قد لقت حتفها أثناء هذه الدقائق العشر "

الفصل ١٤

واحد منا ؟

ساد الصمت هنيهة ـ ثم اجتاحت موجة من الرعب أرجاء الحجرة .

هذه كانت أول لحظة أصدق فيها نظرية د. رايلى عن الحادث .

شعرت أن القاتل فى هذه القاعة ، يجلس معنا وينصت ـ واحد منا ...

ربما شعرت السيدة ميركادو بهذا أيضاً ؛ لأنها صاحت فجأة بصرخة قصيرة حادة .

بكت وانتحبت قائلة " لا أصدق ذلك ؛ إنه لأمر بشع ! "

قال زوجها : " تحلى بالشجاعة يا مارى "

ونظر إلينا ليلتمس العذر وقال :

" إنها حساسة جداً وتتأثر بسرعة وبشدة "

قالت السيدة ميركادو : " كنت ـ كنت مغرمة بها جداً ؛ لويز عزيزتى "

لم أعرف ما إذا كانت مشاعرى ظهرت على وجهى أم لا ، لكن فجأة وجدت بوارو ينظر نحوى ويبتسم ابتسامة خافتة تتراقص على شفتيه .

نظرت نحوه ببرود ، وعلى الفور واصل هو تحقيقه :

" أخبرينى يا سيدتى ، كيف قضيت عصر الأمس ؟ "

قالت وهى تنتحب وتجهش بالبكاء : " كنت أغسل شعرى ، ومن المؤسف أننى لا أعلم شيئاً عن الجريمة ؛ فقد كنت سعيدة ومنهمكة فى ذلك " .

" هل كنت فى حجرتك ؟ " .

" نعم " .

" هل غادرتها ؟ " .

" كلا ، إلا عندما سمعت وصول العربة ، فخرجت وسمعت الخبر المشئوم ، كان أمراً *فظيعاً* ! "

" هل فوجئت بالأمر ؟ " .

كفت السيدة ميركادو عن البكاء وقالت وهى تفتح عينيها باستياء :

" ماذا تعنى يا سيد بوارو ؟ هل تلمح أن ـــ ؟ "

" وماذا أقصد يا سيدتى ؟ لقد أخبرتنى للتو بأنك كنت مغرمة بالفقيدة ، وربما باحت بسرها لك "

" آه فهمت .. كلا ـ كلا , لويز لم تخبرنى بأى شىء أبداً ـ أعنى أى شىء محدد . بالطبع كنت أرى كم هى قلقة جداً وعصبية ، وحدثت أمور وأحداث غريبة ـ مثل الطرق على نافذتها وغير ذلك " .

قلت لها فجأة ولم أعد أطيق الصمت : " أتذكرُ أنكِ قلتِ لنا خيالات "

وأسعدنى أنها بدت عليها الحيرة والاضطراب مؤقتاً .

مرة أخرى شعرت بعينى بوارو المستمتعتين البراقتين تحدقان فى اتجاهى ويبتسم .

أنهى بوارو التحقيق معها بشكل رسمى :

" إذن يا سيدتى كنت تغسلين شعرك ـ لم تسمعى أو ترى شيئاً . هل تحبين أن تقولى أى شىء يفيد التحقيق بأى طريقة " .

لم تأخذ فرصة للتفكير وقالت بسرعة :

" كلا ، لا يوجد أى شىء . إنه لغز عميق وغامض جداً ! لكن لاشك تماماً فى أن القاتل جاء من الخارج ؛ لأن هذا أقرب إلى المنطق "

اتجه بوارو بالحوار إلى زوجها :

" وأنت يا سيدى ، ماذا لديك لتخبرنا به ؟ "

فزع ميركادو بعصبية واهتز وجذب لحيته بشكل عشوائى وقال :

" لابد أن القاتل جاء من الخارج ، فمن منا يحب أن يلحق بها الأذى ؟ كانت رقيقة وجميلة وطيبة جداً ، ومن قتلها لابد أنه شيطان ! "

" وكيف قضيت عصر الأمس يا سيدى ؟ " .

قال بغموض وحيرة : " أنا ؟ " .

قالت زوجته بسرعة : " لقد كنت في المعمل يا جوزيف "

" ياه ، نعم كنت في المعمل أؤدي عملي المعتاد "

" متى ذهبت إلى المعمل ؟ "

بدا بلا حول ولا قوة ونظر باستفهام إلى زوجته .

" الساعة ٥٠ : ١٢ يا جوزيف " .

" آه ، نعم ، ٥٠ : ١٢ "

" ألم تخرج للفناء مطلقاً ؟ " .

" كلا ـ لا أظن ذلك ، بل أنا متأكد "

" متى سمعت بالحادث الأليم ؟ "

" جاءت زوجتي وأخبرتني ، كانت صدمة مروعة وفظيعة ، وبالكاد صدقت ما حدث ، حتى الآن لا أصدق أن هذا الحادث قد وقع فعلاً "

ثم بدأ يرتجف ويرتعش فجأة .

" ياله من أمر مريع ـــ مريع ! "

جاءت زوجته بهدوء إلى جواره وقالت :

" نعم يا جوزيف كلنا نشعر بنفس الشيء ، لكن لا يجب أن نستسلم لأن هذا يزيد من سوء حالة د. ليدنر المسكين ووقته العصيب الآن " .

وجدت رجفة ألم تسري عبر وجه د. ليدنر ، وخمنت أن الجو الانفعالي ليس سهلاً عليه ، وحملق هو في بوارو وكأنه يستعطفه ، فاستجاب بوارو بسرعة :

" الآنسة جونسون ما رأيك ؟ " .

قالت : " أخشى أننى لا أعرف سوى القليل " , وكان صوتها الهادئ المثقف المهذب يهدئ الجو بعد صوت السيدة ميركادو الحاد المزعج . واصلت كلامها قائلة " كنت أعمل فى حجرة المعيشة وآخذ صورًا مجسمة بالصلصال للأقفال الأسطوانية " .

" وهل رأيت أو لاحظت أى شيء مريب ؟ "

" كلا "

حملق إليها بوارو بسرعة ، والتقطت أذنه ما التقطته أذنى ـ نبرة خافتة من التردد .

" هل أنت متأكدة يا آنسة ؟ هل هناك شيء مبهم يعود لذاكرتك ؟ "

" كلا ـ لا شيء حقاً ـــ "

" أعنى أى شيء مريب لاحظته بدون تركيز ونسيته "

قالت بحزم : " كلا ، بكل تأكيد " .

" إذن هل سمعت أى شيء أو شعرت أنك سمعته ولست متأكدة ؟ "

ضحكت الآنسة جونسون ضحكة خافتة تنم عن الضيق وقالت :

" أنت تضغط علىّ بشدة يا سيد بوارو ، وكأنك تشجعنى على القول بأننى أتخيل أو أتوهم "

" إذن هناك شيء ـ لنقل إنك تخيلته ؟ "

قالت الآنسة جونسون ببطء وهي تـزن كلماتهـا بـشكل متعمد " لقد تخيلت أنه في وقت ما في عصر هذا اليوم سمعت صرخة خافتة .... وأنـا أقـول إننـى أجـزم بـأننى سمعت صرخة . كل نوافذ حجرة المعيـشة كانـت مفتوحـة ويسمع المرء كل الأصوات بأنواعها من الناس الذين يعملون في الحقول ـ لكن كما ترى ، ليس لدىَّ فكرة عما حدث ـ أى لا أعـرف هـل كانـت صـرخة الـسيدة ليـدنر أم لا ممـا أحزننـى ؛ لأننـى لـو علمـت أنهـا صـرختها لجريت نحو حجرتها ـ ربما لو وصلت في الوقت المناسب لكنت ــ " .

تدخل د. رايلى بشكل سلطوى :

" كفى عن الشعور بالذنب بلا طائل ، ليس لدى شـك في أن الراحلة (وسامحنى يا د. ليدنر) قد قتلت بـضربة واحدة من القاتل بمجرد دخوله الحجرة ، ولم يحـدث أن ضربها مرتين ، وإلا كان سيتوفر لديها الوقت للصياح طلباً للنجدة " .

قالت الآنسة جونسون : " لكن ربما أمكننـى الإمـساك بالقاتل "

قـال بـوارو : " متـى تم ذلـك يـا آنـسة ؟ حـوالى ٣٠ ١ ؟ " .

قالـت وهـيٍ تفكـر قلـيلاً : " نعـم ـ حـوالى الواحـدة والنصف تقريباً "

قال بوارو : " هذا يتوافق مع ما قيل ، ألم تسمعى أى شىء آخر مثل صوت فتح أو غلق الباب مثلاً ؟ "

هزت الآنسة جونسون رأسها وقالت :

" كلا ، لا أتذكر أى شىء من هذا القبيل "

" أعتقد أنك كنت جالسة على المائدة ، ما الذى كان فى مواجهتك ؟ الفناء ؟ حجرة التحف ؟ الشرفة ؟ أم الحقول المكشوفة ؟ " .

" بل جلست بمواجهة الفناء "

" هل كان باستطاعتك رؤية الغلام عادل يغسل الآنية الفخارية من مكانك ؟ "

" نعم ، إذا نظرت لأعلى ، لكنى كنت منهمكة فى عملى وانتباهى كان لما أفعله " .

" هل كنت تلاحظين من يمر عبر النافذة ؟ " .

" بكل تأكيد "

" ولم يمر أحد ؟ "

" كلا " .

" لكن إن سار أحد مثلاً عبر منتصف الفناء هل كنت ستلاحظين ذلك ؟ "

" ربما ـ ربما لا ، إلا إذا كما قلت من قبل كنت أنظر لأعلى أو من النافذة مصادفة "

" هل لاحظت الغلام " عادل " وهو يترك عمله وينضم لباقى الخدم ؟ "

" كلا "

قال بوارو متأملاً : " تلك الدقائق العشر القاتلة " .

ساد الصمت لبرهة من الوقت .

رفعت الآنسة جونسون رأسها فجأة وقالت : " يا سيد بوارو ، اعتقدت أننى كنت سأضللك دون قصد ، بعد أن فكرت فى الأمر ، لا أظن أن الصرخة كانت من حجرة السيدة ليدنر ؛ لأن بينى وبينها حجرة التحف ، وكانت نوافذ حجرتها مغلقة كما قيل لى "

قال بوارو لها بلطف : " على أية حال لا تزعجى نفسك يا آنسة ؛ فالأمر ليس بهذه الأهمية " .

" بالطبع لا ، أنا أفهم ذلك ، لكنه أمر مهم لى لأننى أشعر أننى كان يجب أن أقدم المساعدة "

قال د. ليدنر بحب : " لا تنزعجى يا آن العزيزة ، كونى عاقلة ، ربما سمعت أحد أهل البلدة يصيح من على مسافة فى الحقول "

احمر وجهها خجلاً من لطف نبرة صوت د. ليدنر ، ورأيت الدموع فى عينيها ، وأشاحت بوجهها بعيداً ، وقالت بصوت أجش غير معتاد :

" ربما ، لكن بعد الأحداث المأساوية عادة قد تتخيل أشياء لم تكن موجودة أصلاً " .

كان بوارو يلقى نظرة على ملاحظاته فى الدفتر . وقال : " لا أظن أنه تبقى المزيد لكى يقال يا سيد كارى ؟ " .

تحدث ريتشارد كارى ببطء ـ بشكل آلى ـ وقال :

" أخشى أننى لن أضيف ما يفيد التحقيق ، كنت فى عملى فى موقع الحفر وجاءنى الخبر " .

" ألا يمكنك معرفة أو ذكر شىء مفيد قد وقع قبيل الحادث بأيام ؟ "

" لا شىء ألبتة "

" والسيد كولمان ؟ " .

قال كولمان : " كنت خارج الأمر تماماً " , وكانت نبرة صوته بها ندم خفيف ، ثم قال : " كنت فى الحسنية بالأمس منذ الصباح لإحضار نقود أجور العمال ، وعندما عدت أخبرنى إيموت بما حدث ، وعدت للسيارة لإحضار د. ريلى والشرطة " .

" وقبل ذلك ؟ " .

" كما تعلم يا سيدى كانت الأمور فى حالة فوضى - موقف حجرة التحف قبل الحادث بيومين - والوجوه والأيدى التى ظهرت عبر النافذة - كما تعرف يا سيدى " , وتوجه بكلامه إلى د. ليدنر الذى أومأ برأسه بالموافقة . ثم أضاف : " أعتقد أن القاتل جاء من الخارج ، وقد يكون محتالاً بارعاً " .

فكر بوارو لدقيقة أو اثنتين فى صمت ، ثم قال فى النهاية : " هل أنت بريطانى الجنسية يا سيد كولمان ؟ "

" نعم يا سيدى ، هذا صحيح ، بريطانى حتى النخاع "

" هذا موسمك الأول هنا ؟ " .

" نعم ، صحيح تماماً " .

" وهل تحب علم الآثار جداً ؟ " .

سبب السؤال حرجاً كبيراً للسيد كولمان ، واحمر وجهه خجلاً ، ونظر بنظرات طالب مدرسة يشعر بالذنب تجاه د. ليدنر .

وقال وهو يتلعثم : " بالطبع ـ مهتم جداً به ـ أعنى لست عالماً كبيراً فيه لكن ... "

ثم ترك جملته بلا انتهاء مما زاد الحرج ، ولم يصر بوارو على مواصلة الحوار .

بل ظل يطرق وهو يفكر على المائدة بطرف قلمه ثم عبث بعلبة الحبر أمامه .

قال : " هذا يكفى حالياً ، إذا تذكر أحد منكم شيئاً ما قد نسيه من ذاكرته فلا يتردد فى إخبارى به ، والآن أريد أن أتحدث مع د . ليدنر ، و د. رايلى على انفراد "

كانت عبارته إشارة لفض المجلس ، وقمنا جميعاً وخرجنا فى صف واحد من الباب ، وعندما كنت على وشك الخروج نادانى صوت :

قال بوارو : " ربما ستتفضل علينا الممرضة ليذرين بالبقاء قليلاً ، ومساعدتها لنا ستكون محل كل تقدير واحترام " .

عدت إليهم ، وجلست مرة أخرى على مقعدى على المائدة .

الفصل ١٥

اقتراح بوارو

قام د. رايلى من مقعده ، وعندما رحل الجميع أغلق الباب ثم ألقى نظرة استفهامية على بوارو وأغلق كل النوافذ التى تطل على الفناء . كانت باقى النوافذ مغلقة بالفعل ، ثم عاد للجلوس على مقعده على المائدة .

قال بوارو : " رائع ! نحن الآن وحدنا ولن يزعجنا أحد ، ويمكننا أن نتحدث بحرية ، سمعنا أفراد البعثة وما قالوه لنا ـ لكن ما رأيك يا عزيزتى ؟ "

احمر وجهى خجلاً ، لم أنكر أن عيون هذا الرجل القصير الغريب حادة ويشع منها الذكاء ، لقد رأى الأفكار التى تجول بخاطرى ـ ربما كان وجهى قد أفصح عما بداخلى بكل وضوح !

قلت له بتردد : " أوه ، لا شىء ـــ " .

قال د. رايلى : " هيا أيتها المرضة ، لا تدعى المخبر الخاص ينتظر " .

قلت بسرعة : " لا شيء حقاً ، جال بذهنى فقط أنه لن يكون من السهل معرفة أى شىء يعرفه أو يشك فيه أحد الموجودين أمام الجميع ـ أو حتى أمام د. ليدنر "

اندهشت جداً لأن بوارو أومأ بشدة متفقاً معى فى الرأى وقال :

" بالضبط ، بالضبط ، هو ما قلته للتو ، لكنى سأشرح لكم . هذا الاجتماع الصغير لديه هدف خطير . فى إنجلترا قبل السباق يكون لديكم استعراض للخيول ، أليس كذلك ؟ حيث تذهب الخيول أمام المدخل الكبير ليجد الجميع الفرصة لرؤيتها والحكم عليها . هذا هدف اجتماعنا . لقد أجريت " بلغة الرياضة " استعراضًا لكل المتسابقين أمام عينى " .

صاح د. ليدنر بعنف : " لا أظن ولو للحظة واحدة أن القاتل أحد أفراد بعثتى ، ولا حتى أن أحدهم متورط فى الجريمة ! " .

ثم توجه إلىّ وقال بلهجة آمرة : " أيتها المرضة ، يسعدنى أن تخبرى بوارو بما قالته زوجتى لك منذ يومين "

بهذا الطلب سردت قصتى مباشرة بدون توقف ، وحاولت قدر الإمكان أن أتذكر بالضبط كل الكلمات التى قالتها لى السيدة ليدنر .

عندما انتهيت من السرد قال بـوارو : " رائـع جـداً ، إن عقلـك مـنظم للغايـة ، وستـساعدينا بخـدمات جليلـة هنا "

ثم قال للدكتور ليدنر :

" هل معك خطابات التهديد ؟ "

" نعم ، معى هنا ، لقـد اعتقـدت أنـك تريـد فحـصها أولاً "

تناولها بـوارو وقرأهـا ثـم حـدق فيهـا جيـداً ولم يرفـع البـصمات ؛ ممـا أصـابنى بالإحبـاط ولم يفحـصها حتـى بمجهر أو عدسة مكـبرة ـ لكنـى أدركـت أنـه لـيس شـابا وطرق فحصه قد لا تكون حديثة ، قرأ الرسـائل كمـا يقـرأ أى شخص خطابًا عاديًّا .

بعد أن قرأ الرسائل تركها على المائدة وتنحنح وقال :

" لنسرع بترتيب الحقائق التى حـصلنا عليهـا . تلقـت زوجتك أول الخطابات بعد زواجها منك بفترة قـصيرة فـى أمريكا . كان هناك غيرها لكنها تخلصت منها . الخطـاب الثانى جاء بعد الأول ، وبعده نجوتما من موت محقق مـن التسمم بالغاز ، ثم قضيتما عامين هنا بدون خطابات ، ثم جاء الخطاب الأخير فى بداية موسم هذا العام ـ منذ ثلاثة أسابيع ، أليس كذلك ؟ "

" تماماً "

" أظهرت زوجتك كل أعراض الفزع وبعد استشارة د. رايلى عينت المرضة ليذرين لتصاحب زوجتك وتهدئ مخاوفها " .

" نعم " .

" حدثت وقائع محددة ـ الأيدى التى تطرق على النافذة ووجه الشبح وضجيج فى حجرة التحف ـ هل شهدت إحداها بنفسك ؟ " .

" كلا " .

" لا أحد سوى زوجتك ؟ "

" رأى رجل الدين لافينى الضوء فى حجرة التحف " .

" نعم ، لقد نسيت ذلك "

صمت لمدة دقيقتين ثم قال : " هل كتبت زوجتك وصيتها ؟ " .

" لا أعتقد ذلك " .

" لماذا ؟ " .

" لم تكترث للأمر من وجهة نظرها " .

" ألم تكن ثرية ؟ "

" نعم ، كانت ثرية وترك لها والدها مبلغًا ضخمًا فى البنك ولم تصرفه ، وكانت تركتها ستئول لأطفالها ـ إن كانت قد أنجبت ـ وفى حالة عدم وجود أطفال تئول الثروة إلى متحف بيتستاون "

نقر بوارو على المائدة وهو يفكر :

" إذن نستبعد القتل بهدف الميراث . الدافع هو أول ما تبحث عنه . *من يستفيد من موت الفقيدة* ؟ في هذه الحالة هو المتحف . كونها تموت بلا وصية وتملك ثروة يكون السؤال عن الوريث - أنت أو زوجها السابق . والصعوبة هي أن الزوج الأول يجب أن يقوم من الموت ليطالب بحقه ، وقد يتعرض لخطر الاعتقال لأنه بالكاد يتوقع حكم الإعدام بعد مرور سنوات بعد الحرب ، لكن هذه التكهنات ليست ممكنة الآن . انتهينا من أمر المال . الخطوة التالية هي أننا نشك غالباً في زوج القتيلة ! في هذه الحالة في المقام الأول هناك دليل على أنك لم تغادر السطح وقت وقوع الجريمة ولم تقترب من حجرة زوجتك . في المقام الثاني ستخسر بموتها ولن تكسب أي شيء ، وفي المقام الثالث ــ "

ثم توقف عن الكلام .

ثم قال ببطء : " في المقام الثالث أقدر حبك لها ؛ لأني أقدر الحب عندما أراه . أعتقد أن حبك لها كان العاطفة التي تحكم حياتك ، أليس كذلك ؟ "

قال د. ليدنر ببساطة " نعم " .

أومأ له بوارو .

قال بوارو : " إذن لنواصل التحقيق " .

قال د. رايلي وقد نفد صبره : " هيا ندخل في الموضوع " .

ألقى بوارو إليه نظرة عتاب .

" لا تفقد صبرك يا صديقى ؛ ففى قضية كهذه يجب تناول كل شيء بالترتيب والمنهج . هذه قاعدتى لكل القضايا فى الواقع . بعد استبعاد الاحتمالات المحددة بعينها ، من المهم أن نقترب من النقطة المهمة . من الضرورى كما تقولون أن نفرش كل الورق على المائدة ـ لا يجب إخفاء أى شيء " .

قال د. رايلى : " تماماً "

قال بوارو : " لهذا أطالب بمعرفة الحقيقة الكاملة "

نظر إليه د. ليدنر فى دهشة بالغة .

" أؤكد لك يا سيد بوارو أننى لم أخف عنك شيئاً ، وأخبرتك بكل ما أعرفه ولا يوجد ما أخفيه "

" على الرغم من كل شيء ، على أية حال ، لم تخبرنى بكل شيء "

" لا أظن أن هناك أية تفاصيل فاتتنى "

بدا على د. ليدنر الاستياء الشديد .

هز بوارو رأسه بلطف وقال

" كلا ، لم تخبرنى مثلاً لماذا جلبت المرضة ليذرين للمنزل "

بدت الحيرة التامة على د. ليدنر .

" لكنى شرحت لك ذلك ، كان من الواضح أنه نظراً لعصبية زوجتى ومخاوفها .... "

مال بوارو إلى الأمام ببطء وحرك إصبعه لأعلى ولأسفل .

" كلا ، كلا ، هناك أمر غير واضح . كانت مهددة بالقتل وفى خطر ـ ولم ترسل لمخبر سرى خاص أو للشرطة بل *لممرضة* ! هذا غير معقول ! "

قال د. ليدنر : " أنا ـ أنا ـ " ـ ثم توقف فجأة واحمرت وجنتاه وقال : " أعتقد أن ... " ، ثم توقف فجأة بلا سبب .

قال بوارو ليشجعه : " ها قد وصلنا ، ما الذى فكرت فيه ؟ "

لاذ د. ليدنر بالصمت ، وبدا منزعجاً ويرفض الكلام .

قال بوارو بلهجة مشجعة " هيا أخبرنى ، أنت على وشك الكلام ، لماذا جلبت *ممرضة* ؟ هناك سبب ، نعم ، هناك سبب واحد ـ *لم تصدق أن زوجتك فى خطر* " .

حينئذ صاح د. ليدنر وانهار : " فليرحمنى الله ! لم أصدقها ! "

راقبه بوارو باهتمام مثل القطة التى تقبع أمام جحر الفأر منتظرة أن تنقض عليه وقت ظهوره .

قال بوارو : " ما الذى *كنت* تظنه حينئذ ؟ "

" لا أعرف ... لا أعرف " .

" بل تعرف تماماً ، ربما سأساعدك ـ بمجرد تخمين . *هل يا دكتور ليدنر كنت تشك أن زوجتك قد كتبت هذه الخطابات بنفسها ؟* " .

لم يكن بحاجة إلى جواب . كان تخمين بوارو صحيحًا ولا يحتاج لدليل ؛ فلقد رفع د.ليدنر يده فى صلاة وتضرع وكأنه يطلب الرحمة ؛ مما يؤكد تخمين بوارو .

التقطت نفساً عميقاً ، كان تخمينى المبدئى صحيحًا ! تذكرت اللهجة الغريبة التى طلب بها منى د. ليدنر أن أخبره برأيى عن الخطابات . أومأت برأسى ببطء وفكرت طويلاً وفجأة تنبهت ووجدت عَيْنَى بوارو متمركزة نحوى .

" هل ظننت مثله يا سيدتى ؟ "

قلت بحق : " جالت الفكرة ببالى "

" لماذا ؟ "

شرحت له مدى التشابه بين خط الخطاب وخط الراحلة الذى رأيته مع السيد كولمان .

أشار بوارو إلى د.ليدنر وقال :

" هل لاحظت هذا التشابه ؟ "

أحنى د. ليدنر رأسه فى ألم وقال :

" نعم ، كان الخط صغيرًا ومائلاً وليس كبيرًا وواسعًا مثل خط لويز ، لكنَّ عددًا كبيرًا من الخطابات كان بنفس الطريقة ، وسأظهر لك كيف ذلك "

ومن جيبه الداخلى ، أخرج د. ليدنر بعض الخطابات واختار إحدى الأوراق منها ، وأعطاه لـ " بوارو " ، وكانت جزءًا من خطاب من السيدة ليدنر لزوجها ، وقارن بوارو بدقة بينه وبين خطابات التهديد .

همس قائلاً : " نعم ، هناك تشابه كبير ـ وخاصة حرف (S) وحرف (e) . أنا لست خبيراً فى الخطوط ـ لا يمكننى أن أقول ذلك على وجه التأكيد (وحتى خبراء الخطوط لا يتفقون على أى شىء) لكن على الأقل يمكن أن تقول إن التشابه بين الخطين كبير . ربما كتبتها الراحلة فعلاً ، لكن هذا ليس *مؤكداً* . يجب الأخذ فى الاعتبار كل الاحتمالات " .

تراجع إلى الخلف في مقعده وقال وهو يفكر جيداً :

" هناك ثلاثة احتمالات . الأول أن تشابه الخطين صدفة محضة ، والثانى أن السيدة ليدنر كتبتها لسبب مجهول وغامض ، والثالث *هناك من كتبها وهو يتعمد تقليد خطها* . لماذا ؟ لا يوجد سبب يدعو إلى ذلك ، واحتمال واحد من الثلاثة هو الصحيح " .

فكر لدقيقتين ثم قال للدكتور ليدنر بشكل مرح كما لو كان استعاد عادته المألوفة : " متى واتتك نظرية أن زوجتك هى التى كتبت هذه الرسائل ؟ "

هز د. ليدنر رأسه بالنفى وقال :

" لقد طرحت هذه الفكرة جانبًا بأسرع ما يمكن لأنى شعرت بأنها خدعة حقيرة "

" هل بحثت عن تفسير لهذا ؟ " .

قال متردداً : " حسناً ، تساءلت إذا ما كان التفكير الطويل المستمر فى الماضى قد أثر على عقلها قليلاً ، وربما

كتبت هذه الخطابات لنفسها دون أن تكون على وعى بذلك . أليس هذا ممكناً " ، ونظر إلى د. رايلى .

ذم د. رايلى شفتيه وقال بغموض :

" المخ البشرى قادر على أى شىء تقريباً "

لكنه ألقى نظرة خاطفة على بوارو ، وكأن الأخير تلقى الإشارة فكف عن الخوض فى هذا الموضوع .

قال بوارو : " الخطابات نقطة مهمة ، لكن يجب أن نركز على القضية ككل ، وهناك فى رأيى ثلاثة حلول ممكنة "

" ثلاثة ؟ "

" نعم الحل الأول هو أبسط الحلول ، وهو أن يكون زوج الراحلة الأول مازال على قيد الحياة وهددها ونفذ تهديده . إن قبلنا صحة هذا الافتراض يجب أن نعرف كيف دخل وخرج دون أن يراه أحد "

" الحل الثانى هو أن تكون الراحلة قد كتبت هذه الخطابات لنفسها بسبب لا يفهمه رجل عادى بل طبيب نفسى ، ورتبت أمر الغاز (لأنها أيقظتك لأنها شمت الغاز) ، ولكن إن كانت هى من كتبت هذه الخطابات ، فلا يمكن أن تكون فى خطر من مجهول . وبالتالى يجب أن نبحث عن القاتل فى مكان آخر . يجب أن نبحث وسط طاقم البعثة " . هم د. ليدنر بالاعتراض لكن بوارو قال : " نعم ، هذا هو الاستنتاج المنطقى الوحيد ، قد يحقد عليها أحدهم بما يكفى لقتلها ، وربما كان القاتل

على دراية بأمر الخطابات ـ أو على أيـة حـال يعـرف أن الراحلة كانت تخاف أو تتظاهر بالخوف من شخص مـا ، وبالتالى كان قتلها عملية آمنة لـه ولـن ينكـشف أمـره مـن وجهة نظره ؛ لأن الشبهة ستحوم حول غريب مجهـول ـ كاتب رسائل التهديد "

" الحـل البـديل للحـل الثـانى هـو أن القاتـل كتـب الخطابات بنفسه ويعرف ماضى الراحلة ، لكن يبقى الأمر غامضاً فى أنه قلد خطها ؛ لأن ذلـك ضـد مـصلحته التـى تقتضى أن يكون من كتب الرسائل شخص غريب "

" الحل الثالث هو ما يثير خيالى ، وهو أن الخطابـات حقيقيـة وكتبهـا زوج الراحلـة الأول (أو أخـوه الأصـغر) *الذى يعتبر أحدهما الآن واحدًا من أعضاء البعثة"* .

الفصل ١٦
المشتبه فيهم

قفز د. ليدنر فى مقعده وصاح :

" مستحيل ! مستحيل تماماً ! الفكرة سخيفة للغاية ! " .

نظر إليه بوارو بهدوء لكنه لم يقل شيئاً .

" أتعنى أن زوج زوجتى الأول *أحد أعضاء البعثة ولم تتعرف عليه ؟* " .

" بالضبط . فكر قليلاً فى الحقائق . منذ ١٥ عاماً عاشت زوجتك مع هذا الرجل بضعة شهور ، هل ستتعرف عليه بعد كل هذه السنوات ؟ لا أظن ذلك . سيكون وجهه قد تغير وبنية جسمه ـ وصوته قد لا يتغير كثيراً لكن هذا أحد التفاصيل التى يمكنه تغييرها بنفسه . *وتذكر أنها لن تبحث عنه من ضمن أهل البيت* ؛ فهى تتخيله كغريب من الخارج . لا أظن أنها كانت ستتعرف عليه . وهناك احتمال آخر وهو أن يكون الأخ الأصغر للزوج ـ الطفل الذى كان يحب أخاه الأكبر بشدة وصار

رجلاً الآن . هل كانت ستتعرف عليه بعد أن كبر بعد خمسة عشر عاماً ، لو كان عمره ١٠ ـ ١٢ عاماً حينئذ فلابد أنه فى الثلاثين من عمره الآن . نحن بصدد القاتل ويليام بوسنر . تذكر أنه يظن أن أخاه بطل وليس خائنًا ، ومات فى سبيل الوطن ـ ألمانيا . فى رأيه أن السيدة ليدنر هى الخائنة ـ لأنها الوحش الذى أرسل أخاه الحبيب للموت ! طفل حساس مثله قد تتمكن منه مشاعر الولع بالبطل أخيه ، وتتملكه رغبة عارمة فى الانتقام تظل معه حتى عندما يكبر "

قال د. رايلى : " هذا صحيح تمامًا ، والطفل لا ينسى بسرعة كما يقول المثل ؛ فكثير من الناس قد تظل أفكار الطفولة مسيطرة عليهم حتى بعد أن يكبروا "

" رائع ، لدينا احتمالان فقط . فريدريك بوسنر الذى قد يكون فى الخمسينات من عمره الآن إن كان على قيد الحياة ، وويليام بوسنر الذى شارف على الثلاثين الآن . لنفحص أعضاء البعثة من هذين المنظورين "

همس د. ليدنر : " هذا جنون ! أعضاء بعثتى ! "

قال بوارو بجفاء : " وبالتالى سنجد المشتبه فيهم من وجهة نظر مفيدة ، لنبدأ ! من **لا** يمكن أن يكون فريدريك أو ويليام ؟ "

" النساء "

" طبيعى ، بهذا نستبعد الآنسة جونسون والسيدة ميركادو . وماذا عن الباقين ؟ "

" نستبعد كارى الذى ظل يعمل معى منذ سنوات قبل زواجى من لويز ــــ "

" وعمره لا يتطابق مع المشتبه فيهما لأن سنه ٣٨ أو ٣٩ ؛ فهو بذلك أصغر من فريدريك وأكبر من ويليام . أما الباقون ؛ فقد بقى رجل الدين لافينى والسيد ميركادو ، أيهما فريدريك بوسنر ؟ "

صاح د. ليدنر فى مزيج من الدهشة والغضب : " لكن يا سيدى الفاضل ، رجل الدين لافينى معروف على مستوى العالم كخبير خطوط قديمة ، وكان ميركادو يعمل لعدة سنوات فى متحف شهير فى نيويورك . من *المستحيل* أن يكون أحدهما من تبحث عنه ! "

أشار بوارو بيده له لكى يتوقف وقال :

" " مستحيل " ـ لا أثق فى شىء اسمه المستحيل ، بل أفحصه بدقة ! لكننا سندع هذا الأمر الآن مؤقتاً . من لدينا من الآخرين ، كارل رايتر شاب له اسم ألمانى وديفيد إيموت ــــ "

" ظل معى لموسمين كما تذكر " .

" إنه يتحلى بميزة الصبر ، إن ارتكب جريمة ، فلا داعٍ للاستعجال من جانبه ؛ لأن كل شىء معد جيداً " .

أشار د. ليدنر إشارة توحى باليأس .

قال بوارو : " وأخيرًا ويليام كولمان "

" إنه بريطانى الجنسية " .

" لم لا ؟ ألمٍ تقل السيدة ليدنر إن الفتى ترك أمريكا ولم يترك أثرا وراءه ؟ يمكن أن يكون قد نشأ في بريطانيا " .

قال د. ليدنر : " لديك رد جاهز على كل شيء "

كنت أفكر بكل قواى ، منذ البداية وأنا أشك في أن سلوك السيد كولمان يبدو كممثل مسرحي أو في رواية وليس سلوك رجل شاب مفعم بالحيوية . هل كان يمثل طوال الوقت دورًا مسرحيًا علينا ؟

كان بوارو يدون ملاحظاته في دفتره وقال :

" لنتابع الأمر بالترتيب : من ناحية ، يوجد رجل الدين لافيني والسيد ميركادو ، ومن ناحية أخرى يوجد كولمان وإيموت ورايتر " .

" دعونا الآن نلجأ لميزان " الوسيلة والفرصة " ـ من *لديه الوسيلة والفرصة ليرتكب الجريمة ؟* كان كاري في موقع الحفر وكولمان في الحسنية ، وأنت يا ليدنر كنت على السطح ، ويتبقى رجل الدين لافيني والسيد ميركادو وزوجته وديفيد إيموت وكارل رايتر والآنسة جونسون والمرضة ليذرين " .

صحت قائلة : " أوه ! " ، ثم ملت نحو طرف المقعد .

نظر بوارو نحوى بعينين براقتين .

" نعم ، أخشى أننا سنضمك لقائمة المشتبه فيهم يا أختى ، قد يكون من السهل أن تذهبى وتقتلى السيدة

ليدنر بينما كان الفناء خاليًا . لديك القوة والعضلات ولن تفيق الضحية من نومها حتى لحظة ضربها بآلة حادة ! " .

كنت غاضبة لدرجة تمنعنى من الكلام ولاحظت أن د. رايلى يبدو مستمتعاً بما قيل .

وهمس قائلاً : " القضية المثيرة للممرضة السفاحة التى تقتل مرضاها ! "

نظرت إليه بحدة لأول مرة !

كان د. ليدنر يفكر فى أمور أخرى مختلفة تماماً .

صاح ليدنر : " ليس إيموت يا سيد بوارو ، ولا تجعله من المشتبه فيهم ، كان على السطح معى أثناء الدقائق العشر " .

" ومع ذلك سنشمله ولن نستثنيه ، ربما نزل ودخل حجرتها مباشرة وقتلها ، ثم استدعى الغلام ، أو قتلها عندما أرسل الغلام إليك "

هز د. ليدنر رأسه وهمس : " ياله من كابوس مزعج - مريع وفظيع ! "

وما أثار دهشتى أن بوارو وافقه الرأى .

" نعم ، هذا صحيح ، إنها جريمة مروعة وغريبة جداً لم أصادف مثلها . غالباً ما تكون جرائم القتل بشعة - وبسيطة ، لكن هذه جريمة غريبة جداً وغير مألوفة ... ربما كانت زوجتك امرأة غير عادية "

قال عبارة دقيقة جداً فى الصميم لدرجة أننى وقفت قفزاً .

سأل قائلاً : " هل هذا حقيقى أيتها المرضة ؟ "

قال د. ليدنر بهدوء : " أخبريه كيف كانت لويز أيتها المرضة ؛ لأنك لن تكونى متحيزة "

تحدثت بكل صراحة .

" كانت محبوبة وجميلة ، ولا يكون بوسع المرء سوى الإعجاب بها وتلبية رغباتها ، ولم أقابل شخصية مثلها من قبل "

قال د. ليدنر : " شكراً لك " ، وابتسم لى .

قال بوارو بأدب : " هذه شهادة قيمة من شخص غريب عنها . دعونا نواصل التحقيق . تحت خانة الوسيلة والفرصة لدينا ٧ أسماء : المرضة ليذرين والآنسة جونسون والسيدة ميركادو وزوجها ورايتر وإيموت ورجل الدين لافينى " .

مرة أخرى تنحنح ولاحظت أن كل الأجانب دائمًا ما يصدرون أصواتًا غريبة .

" دعونا نفترض مؤقتاً أن النظرية الثالثة صحيحة ، أى إن القاتل هو فريدريك أو ويليام بوسنر ، وأنه أحد أعضاء البعثة . بمقارنة القائمتين سنقلل عدد المشتبه فيهم إلى أربعة أفراد : رجل الدين لافينى وميركادو ورايتر وإيموت "

قال د. ليدنر بحسم : " رجل الدين لافينى خارج مستوى الشبهات ؛ لأنه من قرطاج "

تدخلت قائلة : " ولحيته حقيقية " .

قال بوارو : " يا أختى ، قاتل من الدرجة الأولى مثل الذى نتعقبه لا يرتدى لحية مزيفة ! "

قلت بلهجة تمرد : " كيف علمت أنه قاتل من الدرجة الأولى ؟ " .

" لأنه لو لم يكن كذلك لاتضح الأمر لى على الفور - وهذا ليس الحال هنا " .

قلت لنفسى : " أنت مغرور جداً " .

وقلت له : " على أية حال لابد أن لحيته أخذت وقتاً طويلاً فى النمو "

قال بوارو : " تلك ملحوظة عملية "

قال د. ليدنر بغضب : " لكنه سخف - سخف كبير وهراء ، هو وميركادو من المشاهير فى عالم الآثار منذ سنوات طويلة "

اتجه بوارو نحوه وقال :

" ليس لديك نقطة جيدة ولا تقدر النقطة الأهم . إن كان فريدريك بوسنر لم يمت فما الذى كان يفعله طيلة هذه السنوات ؟ ربما غير اسمه وصار يعمل فى مجال مختلف " .

قال د. رايلى متشككاً : " يعمل كرجل دين ؟ "

قال بوارو : " يبدو الأمر غريباً لكن لن نستبعد رجل الدين لافينى ، كما أنه هناك احتمالات أخرى "

قال رايلى : " الشباب ؟ إن سألتنى رأيى ، هناك أحد المشتبه فيهم قد يكون هو الجانى " .

" من هو ؟ "

" كارل رايتر . لا يوجد شيء ضده لكن سنه مناسبة ولديه اسم ألمانى ، وهذا موسمه الأول ولديه فرصة جيدة ؛ يخرج فقط من معمل التحميض ويعبر الفناء ويرتكب جريمته ويعود مسرعًا أثناء خلو الفناء من الآخرين للمعمل . إن دخل أحد المعمل لقال إنه كان فى حجرة التصوير . لا أقول إنه القاتل لكن الشبهات تحوم حوله أكثر من أى شخص آخر " .

لم يبد على بوارو أنه كان منصتاً ، بل أومأ بجدية وبشك أيضاً

قال بوارو : " نعم ، هذا ممكن ، لكن الأمر ليس بهذه البساطة . لنكتفِ بهذا القدر ، أريد فحص الحجرة التى وقعت فيها الجريمة " .

قال د. ليدنر : " بكل تأكيد " ، وفحص جيوبه بحثاً عن المفتاح ونظر إلى رايلى .

قال د. ليدنر : " أخذه منى الكابتن ميتلاند "

قال رايلى : " لقد أعطاه لى لأنه ذهب لحسم مشكلة بين أهل البلدة " .

ثم أخرج المفتاح من جيبه .

قال د. ليدنر بتردد : " هل تمانع فى أن ـــ ربما المرضة ـــ "

قال بوارو : " لا بأس ، أنا لا أريد أن أسبب أى مشاكل أو ألم لك بلا داعٍ ، يسعدنى أن ترافقنى المرضة ؛ أليس كذلك يا أختاه ؟ "

قلت له : " بكل تأكيد "

الفصل ١٧

البقعة على الحوض

كانت جثة السيدة ليدنر قد نقلت إلى مشرحة الحسنية ليفحصها الطبيب الشرعى ، وخلاف ذلك ظلت حجرتها كما هى بالضبط ، وفحصتها الشرطة بدقة فى كل أركانها .

إلى يمين الباب يقع السرير ، وكانت النافذتان المصنوعتان من الحديد مقابل الباب تطلان على الريف والحقول ، وبينهما مائدة بسيطة من البلوط لها درجان كانا للراحلة بمثابة التسريحة . على الحائط الشرقى كان هناك خط من الخطاطيف للملابس ويحميها أكياس قطنية ، ودولاب له أدراج كثيرة . على اليسار مباشرة كان يوجد الحوض وفى منتصف الحجرة مائدة كبيرة من البلوط ومنشفة حبر ودواة حبر وحقيبة أوراق صغيرة كانت السيدة ليدنر تخفى بها خطابات التهديد . كانت الستائر عبارة عن قطع طولية من القماش المحلى - بيضاء وبها خطوط برتقالية . كانت الأرضية من الحجر وعليها

سجاجيد من جلود الماعز ، ثلاث سجاجيد بنية طويلة عليها خطوط بيضاء أمام النافذتين والحوض ، وواحدة كبيرة نوعها أفضل بيضاء ولها خطوط بنية بين الفراش وطاولة الكتابة .

لم يكن هناك أى فتحات فى الحائط أو دواليب أو ستائر طويلة ـ لا يوجد مكان للاختباء تماماً . كان الفراش من الحديد الصلب وله غطاء من القطن المطبوع بالألوان ، والأثر الوحيد للترف من الحجرة كان عبارة عن ثلاث وسائد فاخرة ناعمة من أفضل أنواع حشو الوسائد من الريش والزغب . لم يكن لدى أحد منا وسائد مثل وسائد السيدة ليدنر .

شرح د. رايلى بإيجاز مكان جثة المجنى عليها ـ فى كومة على السجادة بجوار الفراش .

وليوضح ما شرحه أشار لى بالتقدم نحوه وقال : " هلا تقدمت إلى هنا أيتها الممرضة ؟ " .

أنا لا أخاف أو أشمئز ولست متشائمة ، وجلست على الأرض كما قال لى وجعلت جسمى كما كانت الجثة بالضبط .

قال د. رايلى : " رفع ليدنر رأسها عندما وجدها ، لكنى سألته بدقة وقال إنه لم يغير وضع الجثة " .

قال بوارو : " يبدو الأمر واضحاً جلياً ، كانت مستلقية على الفراش نائمة أو مسترخية ـ وفتح القاتل الباب فنظرت نحوه وقامت ـــ " .

قال الطبيب متمماً له العبارة : " فضربها على رأسها ، والضربة أفقدتها الوعى ثم وافتها المنية بسرعة فى وقت قصير ، كما ترون ــــ " .

وشرح الإصابة فى الرأس بلغة طبية .

قال بوارو : " لهذا لا يوجد دماء ؟ "

" النزيف كان داخلياً فى المخ " .

قال بوارو : " حسناً ، هذا يبدو واضحاً جلياً ـ عدا شيء واحد . إن كان القاتل غريبًا ، لماذا لم تَصِح السيدة ليدنر طلباً للنجدة ؟ لو كانت صرخت لسمعها الجميع ، وخاصة المرضة ليذرين وإيموت والغلام " .

قال د. رايلى بجفاء : " هذا إجابته سهلة ؛ ***لأن القاتل لم يكن شخصاً غريباً*** " .

أومأ له بوارو وقال متأملاً :

" نعم ربما فوجئت برؤيته ولكنها لم تخف منه ، ثم عندما ضربها ربما صرخت صرخة خافتة ـ بعد فوات الأوان " .

" الصرخة التى سمعتها الآنسة جونسون ؟ " .

" نعم ، إن كانت سمعتها حقاً ، لكنى أشك فى الأمر ؛ فالحوائط سميكة والنوافذ كانت مغلقة " .

سار بوارو نحو الباب .

سألنى قائلاً : " تركتها وهى مستلقية على الفراش ؟ "

شرحت له ما فعلته .

" هل كانت تستعد للنوم أو للقراءة على الفراش ؟ " .

" أعطيتها كتابين ـ واحدًا صغيرًا وآخر كبيرًا عن مذكرات شخصية شهيرة ، وقد كانت معتادة على القراءة لفترة ثم تغفو إغفاءة قصيرة " .

" وكانت على ما أظن هادئة كالمعتاد ؟ " .

فكرت قليلاً وقلت :

" نعم بدت طبيعية وروحها المعنوية مرتفعة ، ربما شاردة الذهن قليلاً فقط ؛ ربما لأنها أسرت لى بمكنون نفسها بالأمس ، فهذا قد يجعل البعض مضطرباً قليلاً أحياناً "

برقت عينا بوارو .

قال : " نعم ، أعرف ذلك تمامًا "

وفحص الحجرة بعينيه .

" عندما دخلت الحجرة بعد الحادث ، هل كان كل شيء في مكانه ؟ "

نظرت حولى وقلت : " نعم ، أظن ذلك ، لا يوجد شيء مختلف "

" لا يوجد أثر لأداة الجريمة ؟ "

" نعم لا يوجد "

أشار بوارو إلى د. رايلى وقال : " ماذا تعتقد أن تكون فى رأيك ؟ "

قال د. رايلى على الفور :

" أداة الجريمة شيء بشع ضخم الحجم وبدون أى حافة حادة ، مثل قاعدة مستديرة لتمثال ـ أو ما شابه

ذلك . أنا لا أقترح عليكم أداة الجريمة ، خذ ذلك في اعتبارك ، بل نوع هذه الأداة ، التى تم توجيه الضربة بها بكل قوة "

" وجهت الضربة بذراع قوية كذراع رجل ؟ " .

" نعم ــ إلا إذا ــ "

" إلا إذا ماذا ؟ " .

قال د. رايلي ببطء " من الممكن أن السيدة ليدنر كانت جاثية على ركبتيها ـ وفى هذه الحالة فإن الضربة التى تم توجيهها من أعلى لها تأثير قوى ولا داعى لاستخدام قوة كبيرة من جانب الجانى "

قال بوارو وهو يتأمل : " جاثية على ركبتيها ، هذه فكرة ــ "

أشار الدكتور بسرعة : " لكن لا يوجد دليل يشير لذلك "

" لكنه محتمل "

" نعمٍ ، فعلىٍ أية حالِ وفيٍ ظل هذه الظروف هذا ليس أمراً خيالياً بل ممكناً جداً ، الخوف جعلها تجثو على ركبتيها لتتوسل للقاتل بأن يرحمها بدلاً من الصراخ إذا عرفت بغريزتها أنه فات الأوان ـ ولن يأتى أحد لنجدتها "

قال بوارو وهو يفكر : " نعم هذه فكرة ... "

في رأيي كانت فكرة ضعيفة ، ولا أظن ولو للحظة أن السيدة ليدنر كانت لتجثو على ركبتيها لأى شخص مهما كان .

سار بوارو ببطء حول أرجاء الحجرة ، وفتح النوافذ واختبر وفحص الأعمدة الحديدية ، ومرر رأسه عبرها واطمأن لعدم إمكانية مرور أحد عبرها .

قال : " كانت النوافذ مغلقة عندما وجدتم الجثة وعندما غادرتم الحجرة الساعة ٤٥ : ١٢ ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، كانت مغلقة دائماً عصرا ، ولا يوجد ستائر عليها كما في نوافذ حجرة الطعام وحجرة المعيشة ، ويتم إغلاقها منعاً لدخول الحشرات الطائرة والذباب " .

قال بوارو مفكراً : " وعلى أية حال لا يتمكن أحد من الهرب منها ، والحوائط صلبة جداً من الطوب الطيني - ولا يوجد مدخل سرى في الأرض أو فتحات في السقف لدخول الضوء - لا يوجد مدخل أو مخرج لهذه الحجرة سوى الباب ، ولا يوجد مدخل للباب سوى عبر الفناء ، والمدخل الوحيد للفناء عبر المدخل ذى القبة بالخارج ؛ حيث كان يقف خمسة أفراد أقوالهم متشابهة ، ولا أظنهم يكذبون ... لم يكونوا كاذبين ، ولا أظنهم تقاضوا الرشاوى ليصمتوا ، إن القاتل كان هنا ... "

لم أنبس ببنت شفة ، شعرت بنفس الشىء وأن القاتـل من المجموعة التى كانـت موجـودة عنـدما اجتمعنـا حـول المائدة .

سـار بـوارو عـبر أنحـاء الحجـرة بـبطء كـالحيوان فـى القفص ، التقط الصورة الموضوعة فى درج المجنى عليها ، وكانت لرجل عجوز له لحية قصيرة بيضاء ، ونظر نحوى مستفهماً .

أخبرته قائلة : " قالت لى إنه والدها "

وضع الصورة مكانهـا ، ونظـر للأشـياء الموضـوعة علـى التـسريحة ـ كلـها مـن أصـداف الـسلاحف غـير المزينـة ـ بسيطة وجميلة فى نفس الوقت ، ونظر للكتـب الموضـوعة على الرف وقرأ عناوينها بصوت عال .

" من هم الإغريق ؟ " ، " مقدمة لنظريـة النـسبية " ، " قـصة حيـاة هيـسترستانهوب " ، " قـصة حيـاة كـرو تـران " ، " العـودة إلى ميثلاسـلاه " " قـصة حيـاة لينـدا كوندون " ، هذه الكتب توضـح أن المجنـى عليهـا كانـت ذكية وذات عقل ناضج " .

قلت له بحماس : " أوه ، نعم ! كانـت امـرأة مـاهرة جدًا ! كانت قارئة نهمة فى مجـالات كـثيرة ، ولم تكـن امرأة عادية أبداً " .

ابتسم بوارو ونظر نحوى .

وقال : " نعم لاحظت ذلك " ، ثم ابتعد عن المكتبة ووقف للحظات عند الحوض ، ورأى مجموعة كبيرة من تشكيلة الزجاجات ومساحيق التجميل .

ثم فجأة جثا على ركبتيه وفحص السجادة .

انحنيت معه بسرعة وكذلك د. رايلى . كان بوارو يفحص بقعة بنية داكنة اللون وصغيرة ترى بالكاد على السجادة البنية . كانت مرئية بالكاد لأنها كانت على حافة شريط أبيض على السجادة .

قال : " ما رأيك أيها الطبيب ، هل هذه بقعة دماء ؟ " .

انحنى د. رايلى وفحصها وقال :

" ربما سأتأكد إن أردت ؟ " .

" سيكون هذا لطفاً منك "

فحص بوارو الإبريق والحوض . كان الإبريق على جانب من الحوض ، وكان الحوض فارغا وبجواره عبوة معدنية فارغة كان بها كيروسين ، وبها الآن ماء متسرب .

توجه بوارو لى وقال :

" هل تتذكرين أيتها المرضة ؟ هل كان الإبريق خارج أم داخل الحوض عندما غادرت الحجرة الساعة ٤٥ : ١٢ ؟ "

فكرت لبرهة وقالت : " لست متأكدة ، لكنى أظنه كان داخل الحوض " .

" ياه ؟ "

لكنى قلت بسرعة : " كما ترى ، أنا أظن ذلك لأنه عادة ما يكون كذلك . الخدم يتركونه داخل الحوض بعد الغداء ، وشعرت أننى سألاحظ لو كان خارج الحوض " .

أومأ لى وهو يقدر ما قلته له .

" نعم أفهم ذلك ، إنه تمرينك على التمريض الذى يجعلك تعرفين أنه لو ثمة شيء غير مرتب فى الحجرة سترتبينه بدون وعى وبالكاد تتذكرين ذلك . وبعد الجريمة هل كان خارج الحوض كما هو الآن ؟ "

هززت رأسى بالنفى وقلت له :

" لم ألحظ ذلك وقتها ، بل ركزت بحثى عن مكان محتمل لاختباء القاتل أو أى أثر تركه خلفه "

قال د. رايلى وهو يقف : " إنها بقعة دماء ، هل هذا مهم ؟ " .

عبس بوارو وظهرت عليه الحيرة ، وهز يده باستياء وقال :

" لا يمكننى إخبارك ، فكيف لى أن أخبرك ؟ قد لا تعنى أى شيء على الإطلاق . إن فرضنا أن القاتل لمس المجنى عليها ـ وكان هناك دم فى يده قليل جداً بالطبع لكنه دم ـ فجاء وغسل يديه . نعم حينها يكون الأمر مهمًا ، لكن لا داعى للقفز نحو الاستنتاجات ونقول إن هذا صحيح ، فقد لا تكون للبقعة أية أهمية أساساً "

قال د. رايلي بشك : " لكن سيكون هناك دماء قليلة ، ليس بكم كبير كالنزيف ، قد ينزف الجرح قليلاً إن فحص القاتل الجثة أصلاً ... " .

ارتعشت أوصالى وانتابنى ذهنياً صورة بشعة . صورة لشخص ما ـ ربما المصور صاحب الأنف الأفطس ـ يضرب السيدة الجميلة ثم ينحنى ليفحص الجثة والجرح بأصابعه كنوع من الشماتة ، وربما كان وجهه مرعباً ممتلئًا بالشراسة والجنون ...

لاحظ د. رايلى ارتجافى وقال : " ما الخطب ، أيتها المرضة ؟ "

قلت له " لا شىء ـ مجرد رعشة بسيطة "

استدار بوارو واتجه نحوى .

قال لى : " أعلم ما تحتاجين إليه ؛ عندما ننتهى من هذا سأعود مع الدكتور للحسنية ، وستأتين معنا ونقدم لك الشاى ، أليس كذلك يا د. رايلى ؟ " .

" يسرنى ذلك " .

قلت له " كلا يا دكتور ، لا أفكر أبداً فى ذلك "

ربت بوارو كتفى بشكل ودى وقال : " يا أختاه ، افعلى ما نقوله لك ، وهذا لصالحى ، أريد مناقشة الكثير من الأمور ، بدون مراعاة الآداب والسلوكيات المهذبة د. ليدنر كان يعشق زوجته وبالتأكيد الكل يشعر نحوها بنفس المشاعر ! لكن فى رأيى هذا لا يتوافق مع الطبيعة البشرية ! نريد التعامل مع القضية بدون حواجز

وتحفظات . هذا هو كل شىء ، عندما ننتهى من ذلك ستأتين معنا إلى الحسنية " .

قلت له بشك : " نعم أظن ذلك ، يجب أن أرحل على أية حال ؛ فالوضع مخجل ومحرج " .

قال د. رايلى : " لا ترحلى إلا بعد يومين ، لا يمكنك الرحيل إلا بعد الجنازة " .

قلت له " لا بأس ، لكن افترض يا دكتور أننى قتلت ! " .

قلت ذلك على سبيل المزاح وكان د. رايلى يفهمنى ، وقد جاء رده كمزاح .

لكن بوارو أصابنى بالدهشة عندما أخذ كلامى مأخذ الجد وأحاط رأسه بيديه وقال هامساً :

" ياه ، هذا ممكن جداً . إنه أمر خطير جداً ، ماذا سنفعل ؟ كيف نحترس من ذلك ؟ " .

قلت له : " يا سيد بوارو كنت أمزح فقط ! من سيرغب فى قتلى ؟ أحب معرفة ذلك ! "

قال بوارو : " أعنى قد تقتلين أنت أو غيرك " ، وقال ذلك بطريقة مرعبة لا تروق لى .

قلت له بإصرار : " لكن لماذا ؟ " .

نظر نحوى مباشرة وقال :

" أنا أيضاً أمزح يا آنستى وأضحك ***لكن لا مجال للمزاح هنا حالياً*** ، هناك أمور تعلمتها فى مهنتى منها أمر بشع ورهيب وهو أن ***القتل قد يصير عادة*** ... " .

الفصل ١٨

تناول الشاى عند د. رايلى

قبل المغادرة ، ذهب بوارو فى جولة حول أرجاء منزل البعثة والمبانى الخارجية ، وطرح بضعة أسئلة للخدم ، وكان د. رايلى يترجم له الأسئلة والأجوبة من الإنجليزية إلى العربية والعكس .

كانت هذه الأسئلة تتناول بشكل عام مظهر الشخص الغريب الذى شاهدته مع المجنى عليها يتلصص عبر النافذة ، وكان يتحدث معه رجل الدين لافينى فى اليوم التالى لرؤيتنا له .

قال د. رايلى ونحن فى العربة الخاصة به أثناء انطلاقنا نحو الحسنية : " هل تظن أن لهذا الرجل الغريب علاقة بالحادث ؟ "

قال بوارو : " أحب التحقق من كل المعلومات المتاحة "

كان بوارو يصف طريقته ومنهجه جيداً واكتشفت لاحقاً أنه لا يدع أى شاردة أو واردة مهما كانت تافهة فى

الظاهر إلا واهتم بها جيداً . الرجال عادةً لا يحبون الثرثرة .

يجب أن أعترف أننى سعدت بكوب الشاى فى منزل د. رايلى ، ولاحظت أن بوارو وضع خمس قطع سكر فى قدحه .

قلب بوارو قدحه بحرص بالملعقة وقال : " الآن يمكننا أن نتحدث عن رقم اثنين أليس كذلك ؟ ونحدد من الجانى المحتمل "

قال د. رايلى : " لافينى أم ميركادو أم إيموت أم رايتر ؟ " .

قال بوارو : " كلا ـ هذه النظرية رقم ثلاثة ، نريد التركيز على رقم اثنين الآن ـ لننح جانباً أمر الزوج الأول وأخاه القادمين من الماضى . دعونا نناقش ببساطة كيف توافرت الفرصة والوسيلة لأحد أعضاء البعثة لقتل المجنى عليها ، ومن غالباً قام بالجريمة ؟! " .

" لقد اعتقدت أنك لا تظن هذه النظرية مهمة "

قال معاتباً : " على العكس تماماً ، لكن لدى ميل طبيعى لمراعاة شعور الآخرين . كيف سأناقش فى وجود د. ليدنر الدوافع المؤدية لمقتل زوجته على يد أحد أعضاء بعثته ؟ هذا لا يراعى مشاعر الآخرين تماماً ، يجب مراعاة أسطورة أن زوجته كانت محبوبة يحبها الجميع ! " .

" لكن من الطبيعى ألا يكون هذا صحيحاً تماماً ، يمكننا أن نقول بكل صراحة وحيادية كل ما نفكر فيه . لن نراعى مشاعر أحد الآن ، وستساعدنا فى ذلك الممرضة ليذرين ؛ لأنها تلاحظ كل شىء بدقة ، وأنا متأكد من ذلك " .

قلت له : " أوه ، لست متأكدة من ذلك " .

ناولنى د. رايلى طبقًا به كعك ساخن قائلاً : " هيا غذى نفسك لتستعيدى قوتك " . كان الكعك حلو المذاق فعلاً .

قال بوارو بلهجة ودودة وكأنه يثرثر وسط أصدقاء قدامى : " هيا يا أختاه ، أخبرينا بمشاعر كل عضو من البعثة إزاء السيدة ليدنر " .

" لم أمكث معهم سوى أسبوع واحد يا سيد بوارو "

" هذا يكفى جدا لشخصية فى ذكائك ؛ لأن الممرضات يدقِقن النظر فى كل شىء ، ويصدرن الأحكام ويلتزمن بها بدون تأخير . هيا أخبرينا كبديلة عن رجل الدين لافينى مثلاً " .

" حسناً لا أعرف ماذا أقول عنه سوى أنه كان يتحدث مع السيدة ليدنر وكانا يستمتعان بالحوار ، لكنهما كانا يتحدثان بالفرنسية ولا أجيدها ، رغم أننى تعلمتها كطفلة فى المدرسة لكنى فهمت أنهما كانا يتحدثان عن الكتب غالباً "

" تعنين أنهما رفيقان فى العلم مثلاً ؟ " .

" نعم ، يمكننا أن نعتقد بصحة هذا القول ، لكن على الرغمِ من ذلك أعتقد أن رجل الدين لافينى كان يحتار جدا بشأنها ، وهذه الحيرة كانت تضايقه إن فهمت قصدى "

أخبرته بالحوار الذى دار بينى وبين رجل الدين فى موقع الحفر فى أول يوم لى هنا وأنه قال عنها " امرأة خطيرة "

قال بوارو : " هذا مثير جداً ـ وماذا كان رأيها فيه ؟ "

" من الصعب التحدث عن ذلك ، كان من الصعب معرفة رأيها فى الناس ، لكنى أظن أنه كان يحيرها ، وأذكر أنها قالت لزوجها إنه يختلف عن أى رجل دين عرفته من قبل " .

قال د. رايلى مازحاً : " نقطة ليست فى صالح رجل الدين " .

قال بوارو : " يا صديقى العزيز ، أليس لديك مرضى ترعاهم ؟ لن أبعدك عنهم لأى سبب مهما كان " .

قال د. رايلى : " المستشفى ممتلئ بهم عن آخره "

وقال وهو يضحك " اللبيب بالإشارة يفهم " ، وفهم أن بوارو يريده أن يرحل .

قال بوارو : " هذا أفضل ؛ لتكن محادثتنا على انفراد ؛ لكن تناول الكعك والشاى "

اقـترح أن أتنـاول كوبًـا آخـر وقـدم لى طبقًـا ممتلئًـا بالشطائر ، وكان سلوكه مرحاً وجذاباً ومتيقظاً جداً .

قال " الآن لنواصل حوارنا عن انطباعاتك ، من كان في رأيك لا يحب المجنى عليها ؟ "

" حـسناً ، إنـه مجـرد رأى لا داعـى لأن تطلـع عليـه أحدًا على لسانى " .

" بكل تأكيد لن أفعل ذلك " .

" أعتقد أن السيدة ميركادو كانت تكرهها ! "

" ياه ! والسيد ميركادو ؟ " .

" كان دمث الأخلاق معها ويعاملـها بكـل رقـة مبـالغ فيها . لا أظن أنه استحوذ علـى اهتمـام أى امـرأة سـوى زوجته ، والسيدة ليدنر كانت تهتم بكـل مـن حولهـا ومـا يقولونه لها ، وربما ظن المـسكين أنهـا مهتمـة بـه بـشكل خاص " .

" ولم يرق هذا لزوجته ؟ " .

" كانت الغيرة واضحة عليها ـ وهـذه حقيقـة . يجـب الاحتراس وعدم التـدخل بـين الرجـل وزوجتـه ؛ فهنـاك أمور مدهشة سأطلعك عليها . ليس لديك فكرة عن الأفكـار الغريبة التى تدور فى رأس أى زوجة عنـدما يتعلـق الأمـر بزوجها "

" لا أتشكك فى صحة ما تقولينه ، إذن كانت الـسيدة ميركادو تغار منها ، لكن هل كانت تكرهها ؟ "

" كانـت نظراتهـا تـوحى بأنهـا تـود قتلـهـا ــ يـا إلهى ! " .

استجمعت رباطة جأشى وقلت : " حقاً يا سيد بـوارو لم أقصد أن أقول ذلك ، لم أشك ولو للحظة ــ "

" كلا ، كلا أنا متفهم للأمـر تمامـاً . إنهـا زلـة لـسان لكنها مناسبة ، وهـل كانـت القتيلـة تقلـق بـشأن كراهيـة السيدة ميركادو لها ؟ " .

فكرت قليلاً وقلت : " لا أظنها كانت تكترث للأمر ، أو حتى أنها لاحظته ، فكرت مرة فى التلميح لها بذلك ـ لكنى صرفت النظر عن الأمر ؛ لأنه كلما قل الكلام سرعان ما تحل المشاكل . هذا ما أقوله دائماً " .

" أنت حكيمة بلا شك ، هلا أعطيتنى أمثلـة أظهـرت فيها السيدة ميركادو مشاعرها ؟ " .

ذكرت له حوارى معها على السطح .

" إذن لقـد ذكـرت أمـر الـزواج الأول للقتيلـة . هـل تذكرين إذا ما كانت قد نظرت إليك أثناء ذكر ذلك بطريقة توحى بأنها تريد معرفة نسخة مختلفة من القصة منـك إن كنت قد سمعتها ؟ "

" أتظنها كانت تعلم حقيقة الأمر ؟ " .

" هذا احتمال كبير ، ربما كتبت خطابـات التهديـد ـ وخططـت لكـل الحـوادث الخاصـة بطـرق النافـذة إلى آخره "

" أنا نفسى خطر ببالى كل هذا ، وكأنها أمور بسيطة تنتقم بها " .

" نعم لإرضاء شهوة الانتقام ، لكن هذا لا يكفى كدافع وشعور عارم يؤدى لجريمة قتل شنعاء بدم بارد إلا إذا ــــ "

صمت لبرهة ثم قال : " من الغريب أنها قالت لك : "*أعرف لماذا أنت هنا*" ماذا كانت تقصد ؟ "

قلت بصراحة : " لا أعرف " .

" لقد ظننت أنك هنا لهدف خفى غير الهدف المعلن . ما السبب ؟ لماذا اهتمت بالأمر ؟ شيء غريب أنها حدقت إليك طوال وقت تناول الشاى فى أول مرة حضرت فيها إلى هنا "

قلت له بحرص وأدب : " إنها ليست سيدة مجتمع مرموقة يا سيد بوارو "

" هذا عذر يا أختاه ، وليس تفسيراً " .

لم أفهم لبرهة ماذا يقصد ، لكنه واصل حواره بسرعة : " وباقى أعضاء البعثة ؟ "

فكرت لبرهة ثم قلت له

" لا أظن أن الآنسة جونسون كانت تحبها أيضاً لكنها كانت جريئة وصريحة بشأن ذلك ، وكانت سليمة النية وقالت إنها متحيزة ، وهى مخلصة للدكتور ليدنر ، وقد عملت معه لسنوات ، وبالطبع فإن زواجه لم يغير حبها له ـ لا مجال لإنكار هذا " .

قال بوارو : " نعم ، ومن وجهة نظرها كانت زيجة غير موفقة ، والأفضل كان أن يتزوجها د. ليدنر "

" نعم حقاً ، لكن لم تكن لتحلم بهذه الفرصة الضئيلة ؛ فهذه المسكينة ليست جميلة ، وكانت السيدة ليدنر جميلة حقاً ، بالطبع ليست صغيرة السن ، لكن بالطبع - لكن أوه ! أتمنى لو كنت تعرفها ، كان بها صفة لا أتمكن من وصفها ... أتذكر السيد كولمان وهو يقول إنها كالجنية أو النداهة التى تغوى الرجال فى المستنقعات . بالطبع لم يكن التشبيه مناسبًا - لكن قد تسخر منى - فقد كانت بها صفة تجعلك تشعر أنها مخلوقة غير أرضية ! "

قال بوارو : " أفهم أن لها سحرًا خاصًا وأخاذًا " .

" لم تكن علاقتها جيدة مع السيد كارى أيضاً ، كان يغار مثل الآنسة جونسون ، كان يتعامل معها بصرامة وهى كانت تبادله نفس الشعور والمعاملة ، كما تعلم ، كانت تناوله الأشياء على المائدة وتناديه بشكل رسمى : " السيد كارى " . كان صديقًا قديمًا لزوجها ، بالطبع الزوجات لا يطقن أصدقاء أزواجهن القدامى ، وكأنهن لا يطقن فكرة أن أحدًا كان يعرف أزواجهن قبلهن - أعلم أننى قلت لك ذلك بشكل محير "

" لكننى أتفهم تماماً ، تبقى لدينا ثلاثة رجال من الشباب ، كولمان كان يميل إلى مدحها أكثر من اللازم بالطبع كما ذكرتِ لنا "

لم أقاوم الضحك .

قلت له : " كان أمراً مضحكاً يا سيد بوارو ، إنه شاب عادى جداً "

" وماذا عن الشابين الآخرين ؟ "

" لا أعلم أى شيء عن السيد إيموت ؛ فهو هادئ جداً وقليل الكلام . كانت مرحة معه دائماً بشكل ودى وتناديه باسمه الأول " ديفيد " وتمزح معه بشأن علاقته بالآنسة رايلى وما إلى ذلك "

" أحقاً ؟ وهل كان يستمتع بذلك ؟ "

قلت بشك : " لا أعرف حقاً ، بل كان ينظر إليها باستغراب ولا تعرف ما الذى كان يفكر فيه "

" والسيد رايتر ؟ " .

قلت ببطء : " كانت مرحة معه دائماً ، وأعتقد أنه كان يضغط على أعصابها ، وكانت تقول له عبارات استهجان وتهكم " .

" هل كان يمانع فى ذلك ؟ " .

" كان وجهه يحمر خجلاً ، يا للفتى المسكين ! وبالطبع لم تقصد إهانته "

وفجأة جال بذهنى خاطر وانتقلت من الشعور بالأسف عليه وظننته قاتلاً محترفًا ذا دم بارد وكان يمثل علينا دوراً مسرحياً طوال الوقت .

صحت قائلة " أوه ، يا سيد بوارو ، ما الذى حدث *بالفعل* فى رأيك ؟ "

هز رأسه ببطء وهو يفكر :

" أخبرينـي أنـتِ ، هـل تخـشين العـودة إلى هنـاك ليلاً ؟ " .

" كلا ، لكنـي بـالطبع أتـذكر مـا قلتـه لى . لكـن مـن سيرغب فى قتلى ؟ "

قال ببطء : " ليس بوسع أحد أن يقتلك ، وهذا جزئياً سبب أننى كنت متلهفاً لأن تخبرينى بكل شئ ، لكنـى الآن أعتقد أنك فى أمان "

قلـت لـه : " لـو كـان أحـدهم قـد أخبرنـى فـى بغداد ـــ " ، ثم توقفت فجأة .

" هـل سمعـت أى ثرثـرة عـن القتيلـة والبعثـة قبـل مجيئك ؟ "

أخبرته عن اسم تـدليل الـسيدة ليـدنر وكـل مـا قالتـه السيدة كليزى عنها .

فى أثنـاء ذلـك فُتح البـاب ، وجـاءت الآنـسة رايلـى وكانت تلعب التنس والمضرب فى يدها .

فهمـت أن بـوارو قابلـها بالفعـل عنـدما وصـل إلى الحـسنية . ألقـت التحيـة بـبرود كعادتهـا والتقطـت ساندويتشاً .

قالت : " حسناً ، يا سيد بوارو ، كيف حـال تقـدمك فى اللغز المحلىٍ هنا ؟ "

" ليس سريعاً يا آنستى"

" أرى أنك استأثرت بالمرضة لنفسك " .

" لقد أمدتنى بمعلومات قيمة عن الضحية وأعضاء البعثة ، وعلمت منها الكثير بالمصادفة ـ عن الضحية التى هى مفتاح حل اللغز يا آنستى " .

قالت الآنسة رايلى : " هذه مهارة كبيرة منك يا سيد بوارو ، لكن إن كانت هناك امرأة تستحق القتل فإنها السيدة ليدنر ! "

صحت بها وأنا غاضبة ومصدومة : " يا آنسة رايلى ! " .

ضحكت ضحكة قصيرة قذرة .

" أخشى أنك لم تسمعى الحقيقة جيداً أيتها المرضة ليذرين ، وخُدعت كالعديد من الناس هنا . هل تعرف يا سيد بوارو أننى أتمنى ألا تنجح فى هذه القضية وألا تضاف إلى نجاحاتك ، أحب أن يهرب قاتلها ، بل إننى لطالما أردت أن أقتلها ! "

شعرت بالتقزز منها ، ولم يهتز له جفن ، بل انحنى لها وقال بلطافة :

" أتمنى أن يكون لديك مبرر لعدم تواجدك فى موقع الجريمة عصر الأمس "

ساد الصمت لبرهة وسقط مضربها على الأرض محدثاً دوياً ولم تكترث لالتقاطه ؛ لأنها مهملة مثل مثيلاتها من الفتيات العابثات ! قالت وهى تتنفس بصعوبة : " نعم ، كنت ألعب التنس فى النادى ، لكن حقاً يا سيد بوارو

أتساءل إن كنت تعرف أى شيء عن نوعية النساء مثل السيدة ليدنر ؟ " .

انحنى لها مجدداً بشكل مضحك وقال : " أخبريني يا آنسة "

ترددت قليلاً ثم قالت بلا رحمة ـ مما أثار غثيانى :

" من العادات والتقاليد ألا نذكر سيئات الموتى ؛ فهذا شيء سخيف على ما أظن . لكن الحقيقة تظل هى الحقيقة . من الأفضل أن تسكت عن الأحياء حتى لا تؤذيهم ؛ لكن الموتى لا ينطبق عليهم ذلك ، لكن الضرر الذى سببوه يعيش بعدهم أحياناً . هذا ليس قولاً مأثورًا أو مشهورًا عن شكسبير ، لكنه يوضح ما أعنيه ! هل أخبرتك المرضة عن الجو الغامض الغريب فى تل ياريمجا ؟ هل أخبرتك كم كان الجو متوترًا ؟ وكيف كان الجميع يحدقون فى بعضهم البعض كالأعداء ؟ كل هذا من أفعال لويز ليدنر . عندما كنت طفلة هنا منذ ثلاث سنوات كان الجميع سعداء جداً بأكثر مما تتخيل ؛ حتى العام الماضى كانوا سعداء أيضاً . لكن خيمت عليهم مصيبة هذا العام ـ كل هذا بسببها . إنها نوع من النساء لا يدع أحداً سعيداً ! كانت إحدى نساء هذا النوع ! أرادت تحطيم كل شيء دائماً . لمجرد أن تستمتع ـ أو لتشعر بقوتها ـ أو لأنها جبلت على هذا الطبع ، وتحب الاستحواذ على اهتمام كل الرجال من حولها ! "

صحت فيها " يا آنسة رايلى ، لا أظن كل هذا صحيحاً ، بل أنا متأكدة من عدم صحة ذلك " .

واصلت حوارها ولم تلتفت إلىَّ :

" لم يكفها الحصول على زوج يعشقها ، بل كانت تسخر من الأحمق الأخرق طويل القامة ميركادو ، ثم استحوذت على بيل الرجل العاقل وكانت تصيبه بالحيرة والدهشة والاضطراب ، وكانت تتسلى بتعذيب كارل رايتر ، وكان من السهل عليها ذلك ؛ لأنه فتى حساس وكانت تسيطر وتستحوذ على ديفيد الذى كان يسليها أكثر لأنه يتفاعل معها ويتشاجر معها ، وشعر بسحرها وعدم جاذبيته ؛ لأنه عاقل وعلم أنها لا تكترث له ، لذلك أكرهها جداً وأمقتها من كل قلبى . لم تكن تريد إقامة علاقة مع أحد بالطبع ، لكن مجرد متعة إزعاج الناس والمشى بالنميمة بينهم وإيقاعهم ببعضهم البعض ، كانت تلك هواياتها المفضلة ؛ فهى نوع من النساء لم يتشاجر مع أحد قط ـ لكنها تسعد بحدوث كل المشاجرات حولها دائماً ! إنها مثل إياجو الشرير فى مسرحية عطيل ، مع الفارق أنها امرأة . يجب أن تملأ حياتها بالدراما بدون أن تشترك فيها بنفسها ، بل هى فى الخارج تمسك خيوط اللعبة وتشاهدها وتستمتع بها . هل تفهم ما أعنيه ؟ " .

قال بوارو : " أفهم بأكثر مما تتصورين يا آنستى "

لم أفهم من صوته ماذا كان يقصد ، لم يبد عليه الغضب أو السخط - بدا غامضاً ولم أفهم ما يدور بداخله ولا أعرف كيف أشرح ذلك .

بدا على شيلا رايلى أنها فهمته واحمر وجهها خجلاً .

قالت له : " فكر فيما تريد أن تفكر فيه لكننى محقة في كل كلمة قلتها عنها ، كانت امرأة ماهرة وتشعر بالملل ولا تسعد إلا بألاعيبها مع الناس مثلما يعبث الناس بالمواد الكيماوية . كانت تستمتع بالعبث بمشاعر الآنسة جونسون المسكينة وتراها تكتم مشاعرها وغضبها كما تفعل دائماً ، وكانت تثير غضب ميركادو العارم ليصبح كالبركان النارى ، وكانت تحب إثارة حنقى وغيظى - وتنجح فى هذا فى كل مرة ! وكانت تحب معرفة كل شىء عن الناس وتهددهم به ولا أعنى الابتزاز الوقح - بل أن تجعلهم يعرفون أنها تعرف ما يخفونه - ثم تتركهم حيارى يتشككون في مقصدها . يا إلهى ، كانت هذه السيدة بارعة وفنانة ! لم تكن أى طريقة من طرقها جافة أو بدائية أو فظة ! " .

قال بوارو : " وزوجها ؟ " .

قالت ببطء : " لم ترغب فى إيذائه قط ، لم أعهدها إلا وكانت لطيفة جدا معه ، ربما كانت مغرمة به ؛ فهو لطيف جداً ومنهمك فى عالمه - النظريات والتنقيب عن الآثار - وكان يعشقها ويعتقد أنها امرأة كاملة الأوصاف .

كان هذا قد يضايق بعض النساء ، لكنه لم يضايقها ـ كان يعيش فى جنة الأحمق ـ لكن مع ذلك لم تكن جنة الأحمق لأنه كان يعيش فى وهم أفكاره عنها ، على الرغم من أنها لا تتفق مع ـــ "

توقفت فجأة .

قال بوارو : " استمرى يا آنسة " .

اتجهت نحوى فجأة :

" ماذا قلت عن ريتشارد كارى ؟ "

قلت لها بدهشة : " السيد كارى ؟ "

" نعم ، عنها وعن كارى ؟ " .

" حسناً ، قلت لم يكونا على وفاق و ـــ " .

وما أثار دهشتى أنها انفجرت فى نوبة ضحك متواصل . قالت : " يا لك من حمقاء ! لقد كان غارقًا فى حبها حتى أذنيه ! مما حطم قلبه ـ لأنه يعشق د. ليدنر أيضاً لقد كان صديقه لسنوات . هذا يكفيها بالطبع وحرصت على البقاء بينهما ، لكنى على أية حال تخيلت ـــ "

" ماذا ؟ " .

كانت عابثة ومنهمكة فى التفكير .

" تخيلت أنها تجاوزت حدودها مرة واحدة ـ إنها حاذقة وبارعة وداهية ! لكن كارى جذاب للغاية ... وهى شيطانة باردة كالجليد ـ لكنها فقدت برودتها معه ـــ "

صرخت فيها : " ما تقولينه فضائح ! إنهما بالكاد كانا يتحدثان معاً ! "

قالت لى " أحقاً ؟ أنت لا تعرفين شيئاً ، فى المنزل كانت المعاملة رسمية ، لكنهما اعتادا أن يتقابلا سراً بالخارج . كانت تسير عبر الطريق إلى النهر ويترك هو موقع الحفر لمدة ساعة ويتقابلان وسط أشجار الفاكهة "

" رأيته مرة يغادر من جلسته معها ويعود بخطى مسرعة نحو موقع الحفر ، وظلت هى واقفة تنظر إليه وربما كنت أنا ماكرة وغير أمينة ، لكنى كان معى نظارة مكبرة وقتها ونظرت إلى وجهها ، وإن سألتنى لقلت لك إنها كانت متيمة بريتشارد كارى ـــ "

توقفت عن الحوار ونظرت إلى بوارو وابتسمت بشكل مخيف " سامحنى ، أرجو المعذرة على تدخلى فى قضيتك ، لكنى ظننتك تريد معرفة كل هذه الخلفية الصحيحة للأحداث " .

ثم سارت بخطى واسعة واثقة لتغادر المكان .

صحت به : " يا سيد بوارو ، لا أصدق أى كلمة مما قالته ! " .

نظر إلىَّ وابتسم وقال (بشكل غريب) : " لا يمكنك أيتها الممرضة إنكار أن الآنسة رايلى ألقت ضوءاً مهمًا جداً يبدد بعض غموض القضية " .

الفصل ١٩

اشتباه جديد

لم نقل المزيد لأن د. رايلى دخل ، وقال وهو يمزح إنه قتل أكثر مرضاه إزعاجاً له .

استقر هو مع بوارو فى مناقشة طبية ونفسية عن الحالة العقلية للكاتب المجهول لخطابات التهديد . ذكر الطبيب حالات تعرض لها فى عمله ، وذكر بوارو عدة حكايات عن خبراته فى التحقيق .

قال بوارو فى النهاية : " الأمر ليس بسيطاً كما يبدو ، هناك رغبة قوية فى السلطة وعقدة نقص قوية "

أومأ له د. رايلى ، وقال :

" هذا سبب أنك تجد أن كاتب الرسائل المجهولة هو آخر من تشتبه فيه ، شخص ضعيف جداً ومسالم - من الخارج حليم وهادئ الطباع وطيب جداً - ولكنه من الداخل يغلى من الغضب مثل جهنم ! " .

قال بوارو وهو يفكر : " هل كانت السيدة ليدنر تعانى من عقدة النقص ؟ " .

أخرج د. رايلى الغليون الخاص به وضحك ضحكة خافتة وقال : " إنها آخر امرأة على الأرض توصف بذلك . لم يكن لديها رغبات مكبوتة - كانت مقبلة على الحياة - وكانت تريد زينة الحياة وبهجتها - وحصلت عليها ! "

" هل تعتبر أنها تحت أى احتمال نفسى قد تكون قامت بكتابة هذه الخطابات ؟ " .

" ربما لكن لو كانت هى من قام بذلك ، فإن السبب يرجع إلى غريزتها فى أن ترى حياتها كمسرحية مؤثرة ، وكانت تتعامل من منطلق أنها نجمة سينمائية فى حياتها الشخصية : يجب أن تكون هى محور كل شىء - فى بؤرة الضوء . ولأن الأشياء المتضادة تتجاذب ، فإنها تزوجت د. ليدنر ، الذى يعتبر أكثر الرجال تواضعاً وانعزالاً عن الأضواء ممن أعرفهم . كان يعشقها - لكن العشق فى المنزل بجوار المدفأة لم يكفها ، بل يجب أن تكون البطلة المضطهدة أيضاً " .

قال بوارو وهو يبتسم : " لكنك لا تصدق أنها كتبت هذه الرسائل وكأنها تمثل ؟ "

" فعلاً ، لا أظن ذلك ، لكنى لم أستبعد هذا الاحتمال . لا يمكن أن أقول لرجل فقد زوجته التى يعشقها أنها كانت تهوى الاستعراض والشهرة ، وكادت تدفعه إلى الجنون بسبب ولعها بالملامح الدرامية للحياة . فى الواقع ليس من الأمان أن تخبر أى رجل عن حقيقة

زوجته ! لكنى أثق فى أن معظم النساء يخبرن الحقيقة عن أزواجهن ؛ فهن يقبلن فكرة أن الرجل نصاب أو كاذب كبير أو منافق يتعاطى المخدرات أو متوحش وفظ وخشن التعامل ، ولا يؤثر ذلك على حبهن لهذا المتوحش ! النساء واقعيات إلى درجة مدهشة " .

" حقاً يا د. رايلى ، ماذا كان رأيك الفعلى بالضبط فى السيدة ليدنر ؟ "

استلقى د. رايلى على ظهر الكرسى ونفخ فى غليونه ببطء وقال :

" بصراحة ـ من الصعب تحديد ذلك ! لم أعرفها جيداً ؛ فقد كان لها سحر أخاذ ـ إلى حد كبير ، وتتمتع بالذكاء والعطف ... ماذا أيضاً ؟ لم يكن بها أى خصلة سيئة معتادة ، لم تكن كسولة أو تهتم بملذات الجسد أو حتى مغرورة بشكل خاص ، بل كانت كما اعتقدت دائماً (لكن بلا دليل) كاذبة كبيرة ومقنعة . ما لا أعرفه (وأحب معرفته) هو هل كانت تكذب على نفسها أم على الآخرين فقط . أنا منحاز للكاذبين قليلاً ؛ لأن المرأة التى لا تكذب بلا خيال أو عاطفة . لا أظنها كانت تسعى وراء الرجال ـ بل تحب الاستحواذ على اهتمامهم بها فقط ، إن سألت ابنتى عن هذا الموضوع ـــ " .

قال بوارو بابتسامة خافتة : " حصلنا على هذه المتعة " .

قال د. رايلى : " ياه ، لم تضيع وقتها ! بالتأكيد سبّبت المجنى عليها كثيراً كما أتخيل ! الجيل الشاب بلا مشاعر نحو الموتى ولا يهتمون بالمشاعر والآداب العامة للأسف ! ويلعنون الآداب والأخلاقيات القديمة ويخترعون آدابًا أخرى صعبة وسريعة خاصة بهم . إن كانت السيدة ليدنر قد أقامت علاقات لقالت عنها شيلا إنها امرأة ممتازة تعيش حياتها كما يجب ! لم تفهم أن السيدة ليدنر تتصرف وفقاً لنوعها من البشر . القطة تلبى نداء الدم عندما تتلاعب بالفأر ! لقد خلقت هكذا . الرجال ليسوا أولادًا صغارًا يجب حمايتهم ، ويجب أن يقابلوا النساء كالقطط ـ واللواتى يشبهن الكلاب المخلصة اللواتى يعشقن بكل جوارحهن ، واللواتى يزعجن الرجال ـ وكل الأنواع ! الحياة معركة ـ وليست نزهة ! أتمنى أن تخرج شيلا من عليائها وتعترف أنها كانت تكره السيدة ليدنر لأسباب قديمة وشخصية وصميمة . شيلا تظن أنها الفتاة الوحيدة الشابة فى المكان ، وبالطبع يجب أن تستحوذ على كل انتباه الرجال فى افتراضها . من الطبيعى أن تتضايق عندما ترى سيدة فى منتصف العمر وتزوجت مرتين تستحوذ على إعجاب كل من حولها . شيلا فتاة طيبة ، وتتمتع بموفور الصحة وجميلة وجذابة للرجال كما ترين ، لكن السيدة ليدنر كانت امرأة غير عادية فى هذا المضمار ، ولديها سحر خاص وكأنها أسطورة قديمة تعبث

بكل شيء حولها وينصاع إليها ـ وكأنها المرأة الجميلة بلا رحمة ! "

قفزت من مقعدى ، يا لها من صدفة أننى ذكرت نفس العبارة ! قال بوارو : " أظن أن ابنتك ـ بدون إساءة أدب منى ـ تحب أحد الرجال الشباب هنا ؟ " .

" كلا ، لا أظن ذلك ؛ بل يهتم بها إيموت وكولمان كانجذاب الشباب فقط للآنسات . لا أظنها تهتم بأحد منهما . هناك أيضاً فى حياتها شابان من القوات الجوية . ربما تريد اصطياد كل رجل يقترب منها حالياً . أعتقد أن ما يغضبها هو أن سن السيدة ليدنر المتقدم غلب شبابها ! إنها لا تعرف الكثير عن هذا العالم مثلى . فى سنى قد أنجذب للفتيات الصغيرات الجميلات الوجه والعيون والجسم والمفعمات بالشباب . لكن سيدة فوق الثلاثين من العمر وتنصت بكل جوارحها وتتحدث كل فترة لتوضح للفتى الذى أمامها كم هو رائع ـ هذا يجذب كل الرجال ! شيلا فتاة جميلة لكن لويز ليدنر أجمل كشخصية ، وعيناها جميلتان تشعان ذكاء ، وجمالها أخاذ ساحر لقد كانت جميلة شكلاً أيضاً إلى حد كبير "

قلت لنفسى إنه محق ؛ لأن الجمال شيء رائع ينبع من الداخل والخارج . لقد كانت جميلة ومظهرها يجعلك تغار منها وتجلس إلى الوراء وتتأمله وتتعجب به . شعرت من أول يوم قابلتها فيه أننى سأفعل أى شيء من أجلها .

على أية حال عندما عدت بالسيارة إلى تل ياريمجا (د. رايلى أصر أن أبقى للعشاء) جاء بخاطرى شيء مهم جعلنى غير مستريحة . فى البداية لم أصدق ما قالته شيلا رايلى واعتقدت أنه مجرد حقد وغل .

لكن الآن تذكرت فجأة لماذا كانت السيدة ليدنر تصر على الذهاب للتمشية وحدها عصراً ولم تسمح لى بالمجىء معها . تساءلت ربما كانت تقابل السيد كارى ... وبالطبع كان ذلك غريباً لأنهما كانا يتحدثان معاً بشكل رسمى وكانت هى تقول أسماء الباقين الأولى وتنادى له بلقبه .

أذكر أنه لم يبد أبداً أنه كان ينظر إليها ، وهكذا أخذت أتخيل كل الأشياء الغريبة ، ربما كان يفعل ذلك لأنه يكرهها أو العكس تماماً ....

ارتجفت قليلاً - كيف أتخيل هذه الأشياء الغريبة بمجرد حوار فتاة ممتلئة بالغضب والحقد ! هذا يُظهر فقط مدى خطورة السير بالنميمة .

من المستحيل أن السيدة ليدنر كانت تخون زوجها ...

بالطبع لم تكن تحب شيلا رايلى - كانت تذكرها بتعليقات سخيفة عن تناولها الغداء مع إيموت .

كانت نظرة إيموت لها سخيفة ، ولا تعرف منها تفكيره . من المستحيل دائماً التكهن بطريقة تفكير إيموت لأنه هادئ جداً ، لكنه لطيف ويمكن الاعتماد عليه .

والسيد كولمان كان شاباً أحمق وطائشاً !

كانت تلك آخر فكرة قبل وصولنا بالعربة . كانت الساعة التاسعة مساءً والباب الكبير مغلق بالأعمدة الحديدية .

جاء إبراهيم راكضاً بالمفتاح الكبير ليدخلنى .

توجه الجميع للفراش مبكراً فى تل ياريمجا ، ولم تكن هناك إضاءة فى حجرة المعيشة ، بل فى المكتب الكبير ومكتب د. ليدنر ، لكن كل النوافذ الأخرى مظلمة ، وأوى الجميع للفراش مبكراً عن المعتاد .

بينما مررت بالمكتب فى طريقى إلى حجرتى نظرت بالداخل ووجدت السيد كارى يعمل فى خطته الكبرى بملابس النوم .

بدا عليه المرض الشديد فى رأيى ، والإنهاك والإعياء مما أفزعنى ، ولا أعلم عنه شيئاً لأساعده ـ ليس لأنه بالكاد يقول شيئاً وهذا شيء عادى ، ولم يكن ما يفعله هو المهم لأنه بالكاد يفعل شيئاً ـ وليس بوسعك إلا أن توجه انتباهك نحوه ، وكل شيء يهتم به يبدو أهم من أى شخص حوله ؛ فقد كان شخصًا مهمًا إن فهمتم مقصدى .

أدار رأسه ورآنى وتناول الغليون من فمه وقال :
" حسناً أيتها الممرضة ، هل عدت من الحسنية ؟ " .

" نعم يا سيد كارى ، أنت تعمل لوقت متأخر ، يبدو أن الجميع ذهبوا للنوم مبكراً "

" فكرت أن أواصل عملى وأتقدم فيه ، لقد تأخرت فيه قليلاً وسنعمل كلنا فى موقع الحفر غداً ونحفر من جديد "

قلت له وأنا مصدومة : " أحقاً ؟ "

نظر لى بنظرة مريبة .

" ربما يكون هذا أفضل شيء على ما أعتقد ، وقد ذكرت ذلك للدكتور ليدنر ، وسيكون فى الحسنية معظم الوقت غداً ليشرف على كل شيء . لكن بقيتنا سيواصلون العمل هنا . تعلمين أنه فى ظل هذه الظروف من الصعب الجلوس هنا ورؤية بعضنا البعض " .

كان محقاً بالطبع ، وخاصة فى الجو المشحون بالقلق وتوتر الجميع حاليا .

قلت له : " بالطبع أنت محق إلى حد ما ، حتى ينشغل ذهن الجميع بالعمل "

كنت أعلم أن الجنازة بعد الغد .

ثم انحنى منهمكاً فى خطة العمل ، ولا أعلم لماذا رق قلبى له وشعرت أنه لن ينال قسطًا وافرًا من النوم .

قلت له مترددة : " أتحب أن أعطيك دواءً منوماً ؟ "

هز رأسه بالرفض وهو يبتسم وقال :

" سأواصل عملى أيتها المرضة ، من العادات السيئة النوم بالأدوية "

" حسناً تصبح على خير يا سيد كارى ، بوسعى أن أساعدك إن أردت و ــــ " .

" كلا ، شكراً لك أيتها الممرضة ، تصبحين على خير "

قلت له : " أنا آسفة جداً " ، وشعرت أننى تسرعت فى قولى هذا .

قال بدهشة : " آسفة ؟ "

" أقصد آسفة على الجميع ؛ لأن حالتهم سيئة وخاصة أنت "

" أنا ؟ لماذا ؟ " .

" لأنك صديق قديم للرجل وزوجته " .

" أنا صديق قديم للدكتور ليدنر فقط ، ولم أكن صديقاً لزوجته "

كان يتحدث وكأنه يكرهها ، وتمنيت لو سمعته الآنسة رايلى !

قلت له " حسناً تصبح على خير " ، ثم أسرعت إلى غرفتى .

سرت فى الحجرة قبيلٍ خلع ملابسى وغسلت مناديلى وقفازى الجلد وكتبت قليلاً فى مفكرتى ونظرت من الباب قبل أن أستعد للنوم وكانت الأضواء مازالت مضاءة فى المكتب فى المبنى الجنوبى .

اعتقدت أن د. ليدنر مازال يسهر ويعمل فى مكتبه وتساءلت هل أذهب وألقى عليه تحية المساء أم لا ترددت فى هذا الأمر ـ فلم أرغب فيٍ أن أكون رسمية ؛ ربما كان منهمكاً فى العمل ومنشغلاً ولا يريد أن يزعجه

أحد . لكن فى النهاية شعرت بالقلق مما دفعنى للذهاب إليه ؛ فأنا لن أزعجه ، سألقى عليه تحية المساء فقط وأسأله إن كان يريد منى أى شيء وأنصرف .

لكن لم يكن د. ليدنر هناك . كان المكتب نفسه مضاء لكن لم يكن هناك سوى الآنسة جونسون وهى منكبة برأسها على المائدة ، وكانت تبكى وكأن قلبها على وشك أن ينفطر .

جعلنى ذلك أندهش ؛ فلقد كانت هادئة وتتحكم فى نفسها ، وكان المنظر يجعلنى أشفق عليها .

صحت بها : " ما الأمر يا عزيزتى ؟ " ، وأحطها بذراعى وربت كتفها : " كفى ؛ فهذا لن يصلح الأمور . لا تجلسى هنا تبكين بمفردك "

لم تجبنى وكانت ترتعش وهى تنتحب بشكل كبير وكأنها تتمزق .

قلت لها " كفى يا عزيزتى ، تماسكى ، سأحضر لك كوب شاى ساخنًا "

رفعت رأسها وقالت : " كلا ، أنا بخير أيتها المرضة ، أنا حمقاء ! " .

سألتها " لماذا أنت منزعجة يا عزيزتى ؟ " .

لم تجبنى على الفور ، لكنها قالت : " إنه لأمر مؤسف .... " .

قلت لها : " لا تفكرى فى الأمر ، ما حدث قد حدث ولا يمكن إصلاحه ولا جدوى من الحزن "

اعتدلت فى جلستها وبدأت أربت شعرها .

قالت بصوتها الأجش : " أنا أجعل من نفسى حمقاء وأضحوكة ، كنت أنظم المكتب وأرتبه لأشغل نفسى عن التفكير كأفضل شىء أفعله ، لكن فجأة داهمنى شعور جارف بالحزن العميق ... " .

قلت لها بسرعة : " نعم أفهم ذلك ، كوب شاى ساخن ومركز ، وقربة ماء ساخن فى فراشك هو ما تريدينه الآن " .

وأحضرت لها كل هذا ولم أعبأ باعتراضها .

قالت بعد أن استلقت على الفراش : " شكراً لك أيتها الممرضة "

وكانت ترتشف قدح الشاى وتحتضن القربة الساخنة وقالت : " أنت امرأة طيبة وعاقلة ، وأنا لا أجعل نفسى حمقاء هكذا دائماً "

قلت لها : " الجميع معرضون لوقت عصيب كهذا فى لحظة ما من حياتهم ، والصدمة والألم والتعب وحضور الشرطة إلى هنا فى كل مكان وكل الأحداث أصابتنا جميعاً بالتوتر حتى أنا " .

قالت ببطء بصوت غريب " ما قلته كان صحيحاً ، ما حدث قد حدث ولا سبيل إلى إصلاحه "

كانت صامتة لدقيقتين وقالت بشكل غريب : " لم تكن أبداً سيدة لطيفة ! "

لم أرغب فى مناقشتها فى ذلك الوقت ، وشعرت دائماً أنه من الطبيعى ألا تتفق شخصيتها مع شخصية السيدة ليدنر .

تساءلت ربما كانت سعيدة سراً بموتها وخجلت من نفسها بسبب هذا الشعور الأثيم .

قلت لها : " اذهبى للنوم ولا تقلقى من أى شىء "

جهزت ورتبت لها حجرتها ، ووضعت الجوارب على ظهر المقعد والمعطف والتنورة على المشجب ووجدت قطعة ورق مكرمشة على الأرض وقعت من جيب ملابسها .

هممت بإلقاء الورقة فى القمامة لكنها صاحت وأفزعتنى :

" أعطها لى ! "

أعطيتها وأنا مفزوعة ؛ لأنها صاحت فجأة لتمنعنى من إلقائها وخطفتها من يدى بسرعة وحرقتها بلهب الشمعة وتحولت إلى رماد .

اندهشت وفزعت وحدقت فيها !

لم يكن لدى الوقت الكافى لرؤية ما فى هذه الورقة - لقد خطفتها بسرعة ، لكن الورقة وهى تحترق مالت نحوى ووجدت كلمات مكتوبة عليها بالحبر .

عندما عدت لفراشى فكرت أن الخط والكلمات كانت مألوفة جداً لى .

كان نفس خط رسائل التهديد المجهولة ! !

هل كان ما حدث نوبة وخز ضمير وندم من الآنسة جونسون ؟ هل كانت هى من كتب رسائل التهديد ؟

الفصل ٢٠

الآنسة جونسون ، السيدة ميركادو ، السيد رايتر

لا أعارض الاعتراف بأن الفكرة كانت صدمة كبرى لى . لم أفكر أبداً فى تورط الآنسة جونسون فى الخطابات المجهولة ، ربما قد تكون السيدة ميركادو ، لكن الآنسة جونسون كانت سيدة مجتمع مرموقة وعاقلة وتتحكم فى نفسها .

لكنى تأملت الأمر وتذكرت الحوار الذى سمعته فى هذه الليلة بين بوارو ود. رايلى ، ربما كان *السبب* كراهيتها للسيدة ليدنر .

لكن كتابة الآنسة جونسون للخطابات يفسر الكثير ، لكنى لا أشك ولو للحظة فى أنها متورطة فى الجريمة ، لكن كراهيتها للسيدة ليدنر جعلتها ترضخ للإغراء وتعقد العزم على إخافتها ـ هكذا بصريح العبارة .

ربما أرادت أن تخيف السيدة ليدنر وتبعدها عن مكان الحفر .

لكن بعد مقتل السيدة ليدنر شعرت الآنسة جونسون بوخز الضمير والندم الشديد ـ أولاً على خدعتها القاسية الدنيئة ، وربما أيضاً أدركت أن رسائل التهديد وفرت حماية جيدة للقاتل الحقيقى ، ولا عجب فى أنها انهارت تماماً كما رأيتها . أنا متأكدة من أنها سيدة محترمة فى قلبها ؛ مما يفسر أنها تقبلت بحماس عزائى لها بقولى :
" ما حدث قد حدث ولا سبيل إلى إصلاحه "

وهناك تعليقها الغريب الغامض ـ تأكيدها لنفسها بأن السيدة ليدنر " لم تكن أبداً سيدة لطيفة ! "

السؤال هو : " ماذا أفعل الآن حيال ذلك الأمر ؟ "

تقلبت على فراشى لفترة طويلة وفى النهاية قررت إخبار السيد بوارو فى أقرب فرصة بما حدث .

جاء بوارو فى اليوم التالى ، لكن لم تتح لى فرصة التحدث إليه على انفراد .

لم نجلس بمفردنا إلا لدقيقة واحدة وقبل استجماع شجاعتى لكى أبدأ ، جاءنى واقترب من أذنى هامسا بتعليمات غريبة

" سأتحدث أنا للآنسة جونسون والآخرين فى حجرة المعيشة ؛ هل مازال لديك مفتاح حجرة السيدة ليدنر ؟ "

" نعم "

" رائع جداً ، اذهبى للحجرة وأغلقى الباب خلفك واصرخى ـ ليس صراخًا عاليًا وعويلاً ـ بل صراخًا لمرة واحدة . أتفهمين مقصدى ؟! أقصد أن تعبرى عن

الدهشة ، الإنذار ، وليس الرعب الجنوني ، ولاحقاً اختلقي أي عذر يروق لك - شيء ما سقط على إصبعك أو أي شيء تريدينه " .

في تلك اللحظة جاءت الآنسة جونسون إلى الحديقة ولم يعد هناك وقت للمزيد .

فهمت جيداً ما الذي يسعى وراءه بوارو . بمجرد أن ذهب إلى حجرة المعيشة مع الآنسة جونسون ، ذهبت لحجرة السيدة ليدنر وفتحت الباب وأغلقته خلفي .

لا أنكر أنني شعرت كالحمقاء وأنا واقفة في حجرة فارغة وصحت بلا سبب ، ولم يكن من السهل التحكم في مدى علو صوت صياحي . صحت مرة بصوت عالٍ ومرة بصوت منخفض ومرة بصوت أعلى .

ثم خرجت وجهزت عذري بأن هناك شيئًا ما وقع على إصبعي .

لكن سرعان ما اتضح أنه لا داعي للأعذار .

كان بوارو والآنسة جونسون يتحدثان بكل جدية بلا انقطاع واضح .

قلت لنفسي " حسناً ، هذا يحسم الأمر ، إما كانت الآنسة جونسون تتخيل أنها سمعت صراخًا أو كان الأمر مختلفاً تماماً " .

لم أرغب في الدخول ومقاطعتهم ، وكان هناك مقعد خشبي طويل عند المدخل فجلست عليه وبدت لي أصواتهم واضحة .

قال بوارو : " الموقف حساس كما تفهمين ، د. ليدنر كان يعشق زوجته ــ " .

قالت الآنسة جونسون : " كان يعشقها حقاً "

" قال لى بطبيعة الحال كيف كان كل أعضاء البعثة يحبونها ! وبطبيعة الحال جميعهم وافقوه الرأى من باب الأدب والذوق ، وحتى ربما كانت تلك الحقيقة ! وقد تكون كذبة ! أنا مقتنع يا آنسة أن مفتاحٍ حل اللغز يكمن فى فهم شخصية السيدة ليدنر فهماً تاماً . لو حصلت على الرأى الأمين ـ الصحيح ـ لكل عضو من البعثة يمكننى بناء صورة واضحة ، وهذا سبب وجودى هنا اليوم . أعلم أن د. ليدنر فى الحسنية ؛ مما يسهل لى مهمة الحوار مع كل فرد بالدور ، وأرجو مساعدتك لى "

قالت الآنسة جونسون : " لا بأس " .

صاح بوارو متوسلاً : " لا داعى للعبارات المنمقة الإنجليزية ! لا داعى للتمسك بعدم الحديث عن سيئات الأموات وذكر حسناتهم فقط ! فى النهاية يجب الإخلاص ! والإخلاص لذكرى الميت شيء بذىء ومضلل فى تحقيق الجرائم ـ لأنه يخفى الحقيقة "

قالت الآنسة جونسون بجفاء وحرقة واضحة فى صوتها وحدة : " لست مخلصة بشكل خاص للسيدة ليدنر ، لكن د. ليدنر أمر آخر ، وعلى أية حال كانت زوجته " .

قال بوارو : " بالضبط ، تماماً ، أنا أفهم أنك قد لا ترغبين فى التحدث ضد زوجة رئيسك ، لكن الأمر لا

يتعلق بشهادة فى محكمة ، بل مسألة قتل غامض ومفاجئ ، عندما أعرف أن هناك شخصًا كالملاك قد قتل لا يساعد هذا فى سهولة القضية " .

قالت بحرقة ظاهرة : " لم تكن أبداً ملاكاً "

" أطلعينى على رأيك الصريح عنها ـ كامرأة "

" فى البداية يا سيد بوارو سأحذرك بأننى منحازة ومتحيزة ؛ لأننى ـ كما نحن جميعاً ـ نكرس حياتنا لخدمة د. ليدنر ، وعندما جاءت زوجته شعرنا بالغيرة ، وخاصة أنها أثارت استياءنا بشغلها وقته واهتمامه . كان تكريس حياته لها يثير حتفنا . أنا صريحة يا سيد بوارو ، وهذا يزعجنى . لقد كنت مستاءة من وجودها هنا وحاولت ألا أظهر ذلك ، لكن الموضوع أحدث فارقًا كبيرًا لنا كما ترى "

" تقولين لكم جميعاً ؟ " .

" أعنى السيد كارى وأنا ، نحن أصدقاء قدامى للدكتور ليدنر ولم نكترث لأى شىء جديد فى نظام حياتنا هنا ، أعلم أنه شعور طبيعى بالغيرة وأنه شعور ضئيل وحقير لكنه أحدث فارقًا كبيرًا فى الجو العام "

" أى تغيير أو فارق ؟ " .

" فى كل شىء ! اعتدنا قضاء أوقات سعيدة قبل مجيئها ، وكنا نمرح كثيراً مثل أى مجموعة تعمل معاً . كان د. ليدنر مرحاً جداً ـ كطفل صغير " .

" وعندما جاءت زوجته تغير كل هذا ؟ "

" نعم ، وأعتقد أنه كان خطأها . فى العام الماضى لم تكن الأمور سيئة ، وصدقنى يا سيد بوارو إن الأمر ليس سببه أى شيء كانت تفعله ، كانت دائماً ساحرة جداً بالنسبة لى . لذلك كنت أشعر بالخجل من نفسى قليلاً أحياناً ؛ لأن الأمور البسيطة التى كانت تقولها أو تفعلها تضايقنى . لم يكن أحد فى لطفها "

" لكن على الرغم من ذلك تغيرت الأمور هذا الموسم وساد جو مختلف " .

" فعلاً ، تماماً حقاً ، لا أعرف ما هو ، وبدا وكأن كل الأمور تسوء ـ ليس فى العمل ـ بل معنا ـ أعصابنا ومشاعرنا . كنا كلنا متوترين ، وكأنه الهدوء الذى يسبق العاصفة "

" واعتقدت أن هذا بسبب تأثير السيدة ليدنر ؟ " .

قالت بجفاء : " نعم ، لم يكن الجو متوتراً قبل مجيئها . أنا سيدة عجوز كثيرة التذمر والشكوى ، ومحافظة ـ أحب بقاء الأشياء كما هى دائماً ، ولا تكترث لى يا سيد بوارو "

" ما وصفك لشخصية ومزاج القتيلة ؟ " .

ترددت الآنسة جونسون قليلاً وقالت ببطء : " حسناً ، كانت متقلبة المزاج جداً ، لطيفة مع الناس فى يوم ، ولا تحدثهم أبداً فى اليوم التالى . لكنها كانت طيبة القلب ، وتراعى شعور الآخرين . لكن من الواضح أنها كانت طوال حياتها مدللة ومرفهة . كانت تأخذ إخلاص

وتفانى د.ليدنر وتلبيته لأوامرها كأمر مسلم به . ولا أظنها قدرت كم هو رجل مميز ورائع وعظيم كزوج لها . كان ذلك يضايقنى أحياناً . وكانت بالطبع متوترة وعصبية طوال الوقت ، وتنتابها حالات ذعر وتتخيل أشياء ! كنت سعيدة لأن د. ليدنر أحضر المرضة ليذرين إلى هنا . كان كثيراً عليه التوفيق بين عمله ومخاوف زوجته " .

" ما رأيك فى خطابات التهديد المجهولة التى تلقتها الراحلة ؟ " .

اضطررت إلى أن أميل فى مقعدى لأرى وجهها وهى تواجه بوارو بالإجابة .

بدت هادئة جداً ومستجمعة لشجاعتها .

" أعتقد أن هناك فى أمريكا من يحمل ضدها ضغائن وأحقادًا ، وكان يريد تخويفها أو مضايقتها "

قال لها بوارو بالفرنسية " ولم يكن الأمر جادًا إلى هذه الدرجة ؟ "

قالت له " هذا رأيى ، كانت امرأة جميلة ولها أعداؤها بالطبع . ربما كتبت الرسائل امرأة حقود ، وبسبب عصبية السيدة ليدنر أخذتها مأخذ الجد "

قال بوارو : " بكل تأكيد فعلت ذلك . لكن تذكرى أن آخر خطاب تم تسليمه باليد " .

" حسناً ربما أعد من هددها عُدَّتَهُ ؛ فالنساء يفعلن الأعاجيب لإرضاء ضغائنهن وأحقادهن يا سيد بوارو "

قلت لنفسى هذا صحيح تماماً حقاً !

" ربما أنت على حق يا آنستى ؛ فلقد كانت السيدة ليدنر جميلة ، وبالمناسبة هل كنت تعرفين الآنسة شيلا رايلى ؟ "

" شيلا رايلى ؟ بالطبع "

قال بوارو بلهجة السرية والنميمة

" سمعت إشاعة (تجعلنى لا أسأل د. رايلى بطبيعة الحال) أنها تحب أحد أفراد البعثة ، هل تعلمين ذلك ؟ "

بدت الآنسة جونسون مستمتعة بما تسمعه .

قالت " كولمان وإيموت متيمان بها ، وكانت هناك منافسة بينهما حول من يرافقها فى النادى فى ليلة ما من ذات الليالى ، لكن كلا الشابين ذهب للنادى كالمعتاد كل ليلة سبت ، لكن لا أعرف قلبها مع من منهما . إنها الشابة الوحيدة هنا وكل من بفريق سلاح الطيران يسعى خلفها " .

" ولا ترين شيئاً فى ذلك ؟ " .

فكرت وقالت : " حسناً ـ لا أعرف ، كانت تأتى إلى هنا كثيراً وفى موقع الحفر ، وكانت السيدة ليدنر تسخر من إيموت بسبب ذلك قبل وفاتها ـ وتقول إن الفتاة تسعى إليه وتلهث وراءه ، وبالطبع هذا شىء وقح منها لتقوله ، ولم يرقه ذلك .... كانت شيلا رايلى تأتى إلى هنا كثيراً كنت أراها فى العربة متجهة لموقع الحفر وقت الحادث المشئوم " ، وأشارت برأسها نحو النافذة المفتوحة " لكن

لم يكن إيمون وكولمان فى موقع الحفر وقتها . كان كارى هو المسئول وقتها ، ربما كانت منجذبة لأحد الشباب هنا - لكنها فتاة عصرية وغير رومانسية ولا يعرف المرء هل يتعامل معها بشكل جدى أم لا . بالتأكيد لا أعرف أى الشباب تميل إليه . بيل فتى لطيف وليس أحمق كما يدعى ، وإيموت شخص عزيز ولديه الكثير من الخصال الحميدة ، وهو رجل رزين وهادئ الطباع "

ثم نظرت إلى بوارو مستفهمة وقالت : " هل ذلك له أى علاقة بالجريمة يا سيد بوارو ؟ " .

أشاح بوارو بيده بطريقة فرنسية وقال :

" أنت تجعليننى أخجل يا آنستى ، هذه مجرد نميمة وثرثرة ، ولكنى مهتم دائماً بالعلاقات الغرامية بين الشباب "

قالت وهى تتنهد : " نعم ، من الرائع أن ترى طريق الحب الحقيقى ممهداً " .

تنهد بوارو ، وتساءلت هل كانت الآنسة جونسون تفكر فى علاقة غرامية مرت بها كفتاة صغيرة ، وهل بوارو متزوج أم لا ؟ أو هل له عشيقات كما نسمع عن الأجانب أم لا . كان مظهره يثير الضحك ويجعلنى أستبعد هذا الاحتمال .

قالت الآنسة جونسون : " شيلا رايلى لها شخصية جذابة ، وهى شابة قليلة الخبرة ، لكنها النوع المناسب لعلاقات الحب "

قال بوارو : " أؤيدك فى هذا القول يا آنستى "

نهض وقال : " هل باقى أفراد البعثة هنا فى المنزل ؟ "

" مارى ميركادو فى مكان ما هنا ، وكل الرجال فى موقع الحفر اليوم ، ربما أرادوا الخروج من المنزل ولا ألومهم ، إن أردت الذهاب لموقع الحفر ــــ "

ثم أطلت من الشرفة وقالت وهى تبتسم لى : " لن تمانع الممرضة فى اصطحابك إلى هناك "

قلت : " بكل تأكيد يا سيد جونسون "

" وستأتى لتناول الغداء معنا ، أليس كذلك يا سيد بوارو ؟ "

" إن هذا من دواعى سرورى يا آنستى "

عادت الآنسة جونسون إلى حجرة المعيشة وانهمكت فى عملية الفرز والتصنيف .

قلت له : " السيدة ميركادو على السطح ، هل تريد أن تراها أولاً ؟ " .

" بالطبع ؛ لنصعد إليها " .

وبينما كنا نصعد السلم قلت له " لقد فعلت ما قلته لى ، هل سمعت أى شىء ؟ "

" لم أسمع أى صوت " .

قلت له : " ربما تخيل عقلها العجوز تلك الصيحة . كانت قلقة طوال الوقت وتقول إنها لو تحققت من الأمر لكان بوسعها المساعدة " .

كانت السيدة ميركادو جالسة على سور السطح ، ورأسها منحن وهى تفكر باستغراق كبير لدرجة أنها لم تشعر بحضورنا إليها إلا عندما وقف بوارو أمامها وألقى التحية .

نظرت إليه بفزع .

بدت مريضة فى هذا الصباح ، وكان وجهها الصغير شاحباً ومتورماً وهناك هالات سوداء تحت عينيها .

قال بوارو : " إنه أنا مرة أخرى ، جئت اليوم فى مهمة خاصة "

ثم بدأ حواره معها كما فعل مع الآنسة جونسون ، وشرح لها أهمية تكوين الصورة الحقيقية للسيدة ليدنر .

لكن السيدة ميركادو لم تكن أمينة مثل الآنسة جونسون وأخذت تبالغ فى مديح الراحلة ، وكنت متأكدة أن هذا بعيد تماماً عن مشاعرها الحقيقية .

" لويز العزيزة ! من الصعب شرح شخصيتها لمن لم يعرفها . كانت كائنًا جميلاً وغريبًا ، مختلفة تماماً عن الجميع ، أليس كذلك أيتها المرضة ؟ من المؤكد أنك شعرت بذلك . كانت ضحية لمخاوفها وأعصابها المضطربة وتنتابها خيالات ، لكن كانت تتحمل ما لا يتحمله أى شخص سواها . كانت رائعة معنا جميعاً ، أليس كذلك أيتها المرضة ؟ ومتواضعة جداً ـ لم تكن تعلم أى شىء عن الآثار لكنها كانت متحمسة للتعلم . كانت دائماً تسأل زوجى عن العمليات الكيماوية لمعالجة المعادن ، وكانت

تساعد الآنسة جونسون فى إصلاح الفخار ، كلنا كنا *نحبها* جداً "

" إذن ليس كما سمعت يا سيدتى أن الجو كان مشحوناً بالتوتر هنا ؟ "

فتحت عينيها السوداوين بشدة وقالت : " ياه ، من أخبرك بهذا ؟ الممرضة ؟ د. ليدنر ؟ أنا متأكدة من أن المسكين لم يلاحظ أى شىء "

نظرت نحوى بشكل ينم عن الكراهية الشديدة وابتسم بوارو .

قال بوارو بمرح : " لدىَّ جواسيس يا سيدتى " ، وللحظة رأيت جفونها ترتعش .

قالت بلطف بالغ " ألا تظن أنه بعدما حدث قد يدعى البعض حدوث أمور لم تقع أصلاً ؟ كما تعلم ، التوتر ، والجو ، وترقب حدوث شىء ؟ ربما يختلق البعض هذه الأمور لاحقاً "

قال بوارو : " كلامك يدل على الكثير يا سيدتى ؟ " .

" كل ما قلته ليس حقيقياً ! لقد كنا كلنا مثل أسرة واحدة سعيدة هنا "

بعد انصرافى أنا وبوارو سرنا نحو موقع الحفر وقلت له بغضب : " إنها لأكثر النساء الكاذبات ممن رأيتهن فى حياتى ، وأنا متأكدة من أنها كانت تكره السيدة ليدنر حقاً ! "

قال بوارو : " ليست النوع الذى يسعى المرء نحوه لمعرفة الحقيقة " .

قلت له " لقد أضعت وقتك بالتحدث معها "

قال لى " على العكس تماماً . إن كان محدثك يكذب بشفتيه فسيخبرك بالحقيقة بعينيه ! ترى ما الذى تخشاه السيدة ميركادو ؟ رأيت الخوف فى عينيها . بالتأكيد هى تخشى من شيء ما ، وهذا مثير للاهتمام " .

قلت له " يجب أن أخبرك بشيء يا سيد بوارو "

ذكرت له ما حدث بالأمس بعد عودتى وأننى أعتقد بشكل قوى أن الآنسة جونسون هى من كتب رسائل التهديد المجهولة .

وقلت له بعد ذلك " لذلك فهى كاذبة أيضاً ! لقد تحدثت معك بطريقة باردة إزاء هذه الخطابات ! "

قال بوارو : " نعم ، هذا شيء مثير لأنها كشفت عن معرفتها بالرسائل ولم تذكر هذا الأمر لأى فرد من البعثة . من الممكن جداً أن د.ليدنر قد أخبرهم بالأمس ، لأنها صديقة قديمة له ، لكن إن لم يكن قد فعل ذلك فالأمر خطير ، أليس كذلك ؟ " .

زاد احترامى له ، كانت خدعة ماهرة منه ليدفعها إلى التحدث عن رسائل التهديد .

قلت له : " هل ستستجوبها عن الرسائل ؟ "

بدا عليه الانزعاج للفكرة .

قال : " كلا بالطبع ، من عدم الحكمة استعراض معلوماتى ، بل يجب أن أحتفظ بها لآخر لحظة هنا " ، وأشار لرأسه . " فى اللحظة المناسبة سأهجم بها كالنمر المتوحش ، يا إلهى ! سأثير غضب الجميع ! "

لم أقاوم الضحك داخل نفسى من تخيل بوارو كالنمر . وصلنا لموقع الحفر ورأينا السيد رايتر الذى كان مشغولاً بتصوير حائط ما .

فى رأيى ، كان الرجال يستخرجون حوائط أثرية كلما أرادوا منهم ذلك ، وحاول كارى شرح الفرق لى بين الطين والحوائط العادية لكنى لم أر أى فرق ـ الكل سواء لدىَّ ؛ مجرد طين وأشياء عادية حتى إن قال الرجال إنه حائط أثرى من الطوب اللبن .

انتهى رايتر من التصوير وسلم الكاميرا واللوحات للغلام الذى يساعده وأخبره أن يحملها للمنزل .

طرح عليه بوارو سؤالين عن التصوير وعلب الأفلام وهكذا ما شابه ، وأجابه بسرعة وحماس لأنه مسرور لأن أحدهم يسأله عن عمله .

هم بالاعتذار لنا لأنه سيتركنا ، لكن بوارو اندفع فى حواره المعتاد كما فعل سابقاً مع السيدات . لكن فى الواقع كان يغير حواره قليلاً ليناسب من يتحدث إليه ، لكنى لن أكتبه فى كل مرة . مع العاقلين مثل الآنسة جونسون كان يدخل مباشرة فى الموضوع ، مع البعض

الآخر كان يراوغ ويماطل ولا يدخل فى الموضوع بشكل مباشر ، لكنه يصل للنقطة المهمة فى النهاية .

قال رايتر : " أفهم ما تعنيه ، لكنى لا أفهم كيف أساعدك . أنا جديد هنا وهذا أول موسم لى ولم أكن أتحدث إلا قليلاً مع السيدة ليدنر ، يؤسفنى أنه ليس لدىَّ ما أقوله لك " .

كان يتحدث بشكل غريب ومتصلب ، لكن لهجته لم تكن أجنبية ـ بل أمريكية تمامًا .

قال بوارو وهو يبتسم : " على الأقل أخبرنا هل كنت تحبها أم لا ؟ "

احمر وجهه خجلاً وهو يتلعثم : " كانت امرأة ساحرة للغاية وذكية ومفكرة ـ نعم "

" رائع ! كنت تحبها ، وهل كانت هى تحبك ؟ " .

ازداد احمرار وجهه وقال :

" لم أعرف هل كانت تلاحظنى أم لا . لم يسعدنى الحظ بخدمتها سوى مرة أو مرتين . أخشى أن كونى أخرق كان يضايقها ، وكان ذلك رغماً عنى ... كنت أريد أن أفعل أى شيء لمساعدتها و ــــ "

أشفق بوارو عليه من التلعثم فى الكلام وقال :

" تماماً ، تماماً ؛ لنتحدث عن أمر آخر . هل كان الجو سعيداً فى المنزل ؟ " .

" لا أفهم مقصدك " .

" هــل كنــتم ســعداء معــاً ؟ هــل كنــتم تتحــدثون وتتضاحكون ؟ "

" كلا ، ليس تماماً ـ كان هناك جو متوتر قليلاً "

ثم توقف عن الكلام وهو يصارع أفكاره ثم قال " كما ترى ؛ أنا لا أجيد الصحبة مـع الآخـرين لأننـى انطـوائى وأخرق وخجول . كان د.ليدنر لطيفًا وكريمًا معى ، لكنـى للأسف ـ يا لغبائى لم أتغلب على خجلى ، وكنـت أقـول عبارات غير لطيفة وغير مناسبة وأفسد التجمعـات . يـا لى من تعس ! "

كان يبدو حقاً كطفل كبير أخرق .

قال بوارو متبـسماً : " كلنـا كنـا كـذلك فـى شـبابنا ، والوضع المناسب ، والمكانة ، والمعرفة بما يجب أن تفعلـه والخبرة يأتى كل ذلك لاحقاً "

ثم ودعه ورحلنا .

قال لى " إنه يا أختاه ! إما شاب بسيط وساذج جداً أو ممثل كبير " .

لم أحر جواباً ، لكنى انشغلت بفكرة غريبة بـأن أحـد أعـضاء البعثـة كـان القاتـل ذا الـدم البـارد وأنـه شـخص خطير ، لكن الحقيقة أنه في هذا الصباح المشمس الجميل لم تكن هذه الفكرة ممكنة أبداً .

الفصل ٢١

السيد ميركادو وريتشارد كارى

قال بوارو : " إنهما يعملان فى مكانين مختلفين "

كان رايتر يصور فى مكان بعيد عن مكان الحفر الرئيسى ، وعلى مسافة قريبة كانت هناك مجموعة ثانية من الرجال يذهبون وهم يحملون السلال الفارغة والمتلئة .

قلت له " هذا ما يسمونه الشك العميق ، لا يجدون الكثير هنا سوى الفخار المكسور القذر ، لكن د. ليدنر يقول إنها أشياء مثيرة ، فلابد أنها كذلك "

" لنذهب إلى هناك " .

سرنا معاً ببطء لأن الشمس كانت محرقة .

كان السيد ميركادو هو المشرف العام ، ورأيناه تحتنا يتحدث لرئيس العمال العجوز الذى كان يبدو كالسلحفاة ويرتدى معطفاً على عباءته القطنية المخططة .

كان من الصعب قليلاً النزول إليهم فى موقع الحفر ؛ لأنه لا يوجد سوى ممر ضيق أو سلم والغلمان حاملو

السلال كانوا يصعدون وينزلون منه طوال الوقت ، وكانوا يبدون عمياناً كالخفافيش ولا يحيدون عن الطريق .

بينما اتبعت بوارو لأسفل قال لى فجأة وهو يميل نحو كتفى : " هل السيد ميركادو أيمن أم أشول ؟ "

يا له من سؤال عجيب !

فكرت لبرهة وقلت بحزم : " أيمن " .

لم يتكرم بوارو بأن يشرح لى سبب السؤال بل واصل النزول وأنا خلفه .

بدا السيد ميركادو سعيداً لرؤيتنا .

واستنار وجهه الحزين الطويل لرؤيتنا .

تظاهر بوارو باهتمامه بالآثار وأنا متأكدة أنه لا يهتم بها ، ولكن السيد ميركادو كان يجيب عن أسئلته بحماس .

شرح له أنهم حفروا ١٢ مستوى من منزل أثرى .

قال بحماس : " بالتأكيد توصلنا لمنزل عمره أكثر من ٤ آلاف عام ! "

كنت أظن أن الأعوام الألفية فى المستقبل فقط ـ الوقت الذى يسود فيه السلام الأرضى .

وشرح السيد ميركادو وأشار لأحزمة الرماد (ويداه ترتعشان بشكل كبير ! لقد خشيت أن يكون مصاباً بالملاريا !) وشرح تغيير ألوان وأشكال الفخار والمداخن ـ واكتشفوا جبانة أطفال ـ يا للأسى على

المساكين الصغار ـ وشرح لنا أوضاع الدفن ، أى أوضاع العظام التى اكتشفوها .

استدار ووجدنى وحدق بوارو نحوه فى دهشة ، ثم طرق بيده اليمنى ذراعه اليسرى .

" شيء ما لدغنى ـ كالإبرة الساخنة " .

تحرك بوارو فى الحال بسرعة قائلاً : " بسرعة يا عزيزى لننفحص ذراعك , هيا أيتها الممرضة ! " .

تقدمت نحوهما .

أمسكت يده وشمرت ذراعه بسرعة من كُم قميصه الكاكى حتى الكتف .

أشار ميركادو لمكان اللدغة : " هنا "

على بعد ٣ بوصات من تحت الكتف كان هناك وخزة دقيقة يسيل منها الدم .

قال بوارو : " غريبة ، لا أرى شيئاً ربما كانت نملة " وحدق فى مكان الكُم المرفوع .

قلت له " لنضع عليها صبغة يود "

كنت أحمل معى دائماً عبوة أنبوبية الشكل من صبغة اليود ، ومسحت مكان اللدغة ، ووضعت عليها القليل من اليود ، سرحت وشردت بذهنى لشيء آخر مختلف تماماً . كان ذراع السيد ميركادو من أعلى الذراع للكوع ممتلئاً بوخزات الإبر تحت الجلد ـ أنا أعرفها وأعرف علاماتها من عملى بالتمريض ؛ فرد السيد ميركادو كم القميص مرة أخرى وواصل الشرح لنا . أنصت بوارو ولكنه

لم يحول دفة الحوار عن عائلة ليدنر . لم يسأل ميركادو عن أى شيء آخر فى الواقع .

بعد ذلك ودعناه وصعدنا على الطريق مرة أخرى .

قال بوارو : " تمت العملية بنجاح , ألا تظنين ذلك ؟ "

" بنجاح ؟ ماذا تقصد ؟ "

استخرج بوارو من ياقة المعطف الخاص به شيئاً صغيراً وفحصه بدقة وبنهم جارف ؛ واندهشت لأن هذا الشيء كان إبرة مثبتاً فى قاعدتها شمع وكأنها دبوس .

صحت : " يا سيد بوارو ، هل أنت من وخزته ؟! "

" نعم ، كنت أنا الحشرة اللادغة ! وبدقة وبحرص وبنجاح ، لم يرني أحد ، هل رأيتنى ؟ "

كان هذا حقيقيًّا ، لم أره يفعلها وأنا متأكدة من أن ميركادو لم يشك فى أى شيء . لابد أن بوارو كان سريعًا كالبرق .

سألته : " لكن لماذا يا سيد بوارو ؟ " .

أجابنى بسؤال آخر :

" هل لاحظت أى شيء يا أختاه ؟ " .

أومأت له ببطء وقلت له :

" نعم علامات كثيرة لإبرٍ تحت الجلد "

قال : " إذن نعرف شيئاً عنه ، كنت أشك فيه ، لكن يجب بالضرورة أن أتأكد " .

قلت لنفسى : " ولم تهتم بطريقة تأكدك ! " .

قال بوارو بعد أن وضع يده فى جيبه فجأة :

" لقد أوقعت المنديل وأخفيت الدبوس به "

أسرعت بالعودة إلى هناك قائلة : " سأحضره لك "

شعرت أننى ممرضة مع جراح ماهر أساعده فى عملية كبيرة ، ربما لا يصح القول بذلك لكنى بدأت أستمتع بمساعدته .

تذكرت أنه بعد انتهاء تمرينى على التمريض ذهبت لحالة فى منزل خاص رفض زوجها إجراء عملية فى مستشفى ، وكان يخشى على الزوجة وأصر على أن تتم العملية فى منزله .

بالطبع كنت سعيدة جداً ! لم يهتم أحد بالأمر سواى وتوليت كل شىء رغم التوتر ، وخشيت نسيان أى شىء قد يحتاج إليه الجراح ، وقد يطلب أى شىء أحياناً ! لكن كل شىء مر بشكل رائع جداً ! جهزت كل شىء له كما أمرنى وأخبرنى الجراح أنه سعيد لأننى أعددت الأمر جيداً كما يجب ، وكنت مساعدة له من الطراز الأول ! وشفيت المريضة وشعر الكل بالسعادة !

شعرت بكل هذه المشاعر الآن مع بوارو الذى ذكرنى بهذا الجراح الذى كان قصير القامة أيضاً ووجهه قبيح كالقرد ، لكنه جراح بارع يعرف عمله بالفطرة ؛ فقد رأيت الكثير من الجراحين وأعرف الفرق بينهم .

بدأت أثق بالتدريج فى بوارو وشعرت أنه يعرف بالضبط ما يفعله ، وشعرت أن مهمتى هى مساعدته ـ

وكأنى سأناوله الجفت والملقاط والمنشفة كما أفعل مع الجراحين . لذلك بدا من الطبيعى لى أن أبحث عن المنديل وكأنى أناول الطبيب منشفة وقعت على الأرض .

عندما عدت لم أجده فى البداية ، ثم نظرت حولى فوجدته بعيداً عن التل ويتحدث مع السيد كارى . كان غلام السيد كارى يقف بجوارهما ومعه مقياس مترى ، لكن قال له السيد كارى شيئاً فانصرف بالمقياس ، وكأنه انتهى من عمله مؤقتاً ولا يريد استخدام المقياس حالياً .

أريد توضيح الأمر التالى : لم أكن بالطبع متأكدة مما يريدنى بوارو أن أفعله وما لا يريدنى أن أفعله . ربما أرسلنى لإحضار المنديل عن قصد ليبعدنى عن حواره مع كارى .

كان الأمر يبدو وكأننى فى غرفة العمليات ، ويجب أن تحترس وتعطى الطبيب ما يريد وليس ما لا يريد ؛ كأن تعطيه جفت الشرايين فى اللحظة الخاطئة أو تتباطأ فى اللحظة المناسبة ! أنا أتقن عملى جيداً ولله الحمد ، وأخطائى غير واردة الحدوث ، لكن فى تحقيق الجرائم كنت أقل من أقل مبتدئ ، واضطررت للاحتراس جدا حتى لا أقع فى أخطاء سخيفة .

ربما لم يكن بوارو يريد إبعادى عن حواره مع كارى ؛ بل كان مقصده أن يجعل كارى يتحدث بحرية أفضل فى عدم وجودى .

لا أريد من القراء أن يظنوا أننى أتجسس على الآخرين فى حواراتهم الخاصة على انفراد ؛ فأنا لا أفعل ذلك مهما كانت رغبتى فيه .

أعنى إن كانت مناقشة خاصة على انفراد لم أكن لأسمعها كما فعلت فى هذا الموقف .

نظرت لموقفى المتميز ، فعلى أية حال نسمع الكثير من المرضى من التخريف تحت تأثير المخدر ، وهى أشياء لا يجب على المريض أن يقولها ـ ولا يعرف أننا سمعناها ـ لكن الحقيقة تظل أننا نسمعها . بالتالى اعتبرت كارى أحد المرضى ، مهما كان ما يعرفه . إن ظن القراء أننى فضولية فأنا أعترف بذلك ، ولا أريد أن يفوتنى شىء يمكن أن أساعد فيه .

كل هذا أدى إلى أننى توجهت حول التل والحفر حتى اقتربت منهما ؛ بحيث لا يريانى من أكوام الرماد والتراب والرمال . إن قال أحد إننى بذلك سلكت سلوكاً مشيناً فهو مخطئ ؛ فلا يجب إخفاء أى شىء عن ممرضة تراعى حالة مرضية , والأمر كله متروك للطبيب ليقرر ما يجب أن نفعله .

بالطبع لا أعرف طريقة بوارو فى التحقيق ، لكن بوصولى لهما كان قد اخترق الموضوع مباشرة .

كان يقول : " لا أحد يقدر إخلاص وتفانى د. ليدنر لزوجته مثلى ؛ لكن غالباً يعرف المرء معلومات عن شخص آخر من أعدائه أكثر من أصدقائه "

قال السيد كارى بجفاء وسخرية : " هل تقول إن العيوب أهم من الفضائل " .

" بلا شك ـ عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل . وفقاً لمعلوماتى لا تقتل أى ضحية لكونها شخصية مثالية ؛ كما أن الكمال والمثالية صفات مزعجة لا شك فى ذلك " .

" أخشى أننى لا يمكننى مساعدتك . لكى أكون أميناً إلى أقصى حد ، لم تكن علاقتى بالسيدة ليدنر موفقة . لم نكن أعداء بمعنى الكلمة ، لكننا لم نكن أصدقاء ، لكنها كانت غيورة قليلاً من صداقتى القديمة بزوجها . من جانبى ، رغم إعجابى الشديد بها واعتقادى أنها جذابة جداً , كنت مستاء من تأثيرها على زوجها ، وبالتالى ساد بيننا الاحترام الزائد عن الحد ولم نكن أصدقاء " .

قال بوارو : " يا له من شرح جدير بالإعجاب ! "

رأيت رأسيهما فقط أثناء الحوار ، ورأيت السيد كارى يشيح بوجهه بعيداً وكأنَّ هناك شيئًا فى لهجة بوارو غير المكترثة أزعجه جداً .

قال بوارو : " هل كان د. ليدنر مستاء من عدم توافقك مع زوجته ؟ " .

تردد السيد كارى قليلاً ثم قال " لست متأكداً حقاً فلم يقل لى شيئاً وتمنيت ألا يلاحظ لأنه كان منهمكاً فى عمله كما تعلم " .

" إذن الحقيقة من جانبك أنك لم تكن تحبها ؟ "

هز كارى كتفيه بلا اكتراث .

ثـم قـال : " ربمـا كنـت سـأحبها لـو لم تكـن زوجـة ليدنر " .

ثم ضحك وكأن جملته أعجبته .

كان بوارو يرتب كومة قطع فخـار مكـسورة ، ثـم قـال بصوت حالم وهادئ : " لقد تحدثت للآنسة جونسون هذا الـصباح واعترفـت أنهـا متحيـزة ضـد الـسيدة ليـدنر ولم تحبها , لكنها قالت بسرعة إن السيدة ليدنر كانت ساحرة بالنسبة لها "

قال كارى : " صحيح تماماً "

" وأنـا أصـدقها ، ثـم تحـدثت مـع الـسيدة ميركـادو فأخبرتنى كثيراً عن حبهـا وإعجابهـا بالـسيد ليـدنر وعـن مدى ولعه بها "

لم يجب كارى لكن بعد دقيقتين قـال بـوارو : " لكـن هذا لم أصدقه ! ثم جئتـك وقلـت لى مـا قلتـه ـ لكـن فـى الواقع **لا أصدقه** و .... " .

تصلب كارى وسمعته يقول بغضب مكتوم :

" لا أكترث لما تعتقده أو لا تعتقده يا سيد بوارو . لقـد سمعت منى الحقيقة ، ويمكـن أن تـصدقها أو لا تـصدقها كما تريد ولا أبالى بذلك " .

لم يغضب بوارو ، بل بدا حليماً وهادئاً

" هـل خطئـى أن أصـدق أو لا أصـدق ؟ لـدىَّ أذن حساسة ، وهناك قصص كثيرة من حولى ـ والإشاعات تملأ

المكان ، وقد ينصت المرء وربما يتعلم شيئاً ، نعم هناك قصص ... " .

قام كارى من مقعده ورأيت النبض فى عروقه البارزة فى صدغه وكان مظهره رائعًا ! نحيل وأسمر وله فك جميل صلب ومربع . لا ألوم النساء إن وقعن فى حبه .

قال بوحشية : " أى قصص ؟ " .

نظر إليه بوارو بطرف عينيه وقال :

" ربما يمكنك التخمين . هذه القصة المعتادة عنك والسيدة ليدنر " .

" يا للناس الحمقى ذوى العقول القذرة ! " .

قال بوارو بالفرنسية : " أليس كذلك ؟ الناس كالرعاع ، مهما كانت الإشاعات قوية فأنت تدفنها لكى تعود مرة أخرى بسبب السفلة من الناس "

" وهل تصدق هذه القصص ؟ " .

قال بوارو بجدية : " أنا أبحث عن الاقتناع - بالحقيقة فقط "

ضحك كارى بفظاظة ووقاحة وقال : " أشك فى أنك ستصدق الحقيقة إن أخبرتك بها " .

قال بوارو وهو يراقبه : " جربنى وسترى "

" حسناً ! سأخبرك بالحقيقة ! كنت أكره لويز ليدنر , هذه هى الحقيقة ! كنت أكرهها وأمقتها من كل قلبى ! "

الفصل ٢٢

ديفيد إيموت ورجل الدين لافيني واكتشاف مهم

تركنا كارى فجأة وسار بخطى واسعة غاضبة .

جلس بوارو يشيعه بنظراته ثم همس : " نعم ــ فهمت ... "

وبدون أن يدير رأسه قال بصوت أعلى قليلاً : " لا تأتى إلى هنا إلا بعد هنيهة أيتها الممرضة ؛ لأنه قد يدير رأسه . الآن كل شيء على ما يرام . هل أحضرت المنديل ؟ شكراً لك ، أنت لطيفة حقاً "

لم يعلق على أننى سمعت حوارهما ـ أو كيف عرف أننى كنت أسمع . لم ينظرا ولو لمرة فى اتجاهى ، وقد سررت لأنه لم يقل أى شيء . أعنى أننى شعرت بأننى لم أخطئ ، لكن كان سيكون من الجيد أن أشرح له , ولذلك كان جيداً أنه لا يحتاج لشرح .

قلت له " أتظن أنه كان يكرهها يا سيد بوارو ؟ " .

أومأ برأسه ببطء وتعبير غريب يكسو وجهه وقال :

" نعم ـ أظن ذلك "

ثم بدأ يسير إلى مكان الرجال الذين كانوا يعملون أعلى التل ، واتبعته . لم نر سوى العرب فى البداية ، ثم وجدنا السيد إيموت ينظف هيكلاً عظميًّا من التراب تم اكتشافه للتو .

ابتسم لنا بلطف وجدية عندما رآنا وقال :

" هل جئتما لتريا موقع الحفر ؟ سأنتهى مما أفعله فى دقيقة واحدة "

جلس وتناول سكيناً وبدأ فى كشط التراب والطين من حول العظام ، وكان يتوقف كل فترة لينفخ الأتربة بالمنفاخ أو ينفخ هو بفمه ، وكان هذا الإجراء الأخير غير صحى على الإطلاق .

قلت له معترضة : " قد تخترق جسمك الجراثيم القذرة يا سيد إيموت "

قال بجدية " الجراثيم القذرة هى نظامى الغذائى اليومى أيتها الممرضة ، أما الجراثيم فلا يمكن أن تؤذى عالم الآثار فلقد كفت عن محاولة إيذائى طبيعياً "

كشط التراب أكثر عن عظام الفخذ ، ثم تحدث لرئيس العمال بجواره ووجّهه إلى ما يريد إتمامه .

قال لنا وهو يقوم : " يكفى الآن ، هذا الهيكل العظمى جاهز لكى يصوره رايتر بعد الغداء . إنها أشياء ظريفة وجدناها مع المومياء " .

وأظهر لنا طبقًا نحاسيًّا به فطريات خضراء ودبابيس ، وأجزاء من الذهب وأجزاء زرقاء كانت فى عقد من الخرز الملون .

تم تنظيف كل الأشياء والعظام بالسكين وتركت فى وضع مناسب للتصوير .

قال بوارو : " مومياء من هذه ؟ "

" تعود هذه المومياء إلى الألفية الأولى قبل الميلاد وهى لسيدة مهمة ذات شأن غالباً ، والجمجمة غريبة ـ يجب أن أجعل ميركادو يفحصها ؛ لأن الجمجمة توحى بأن المومياء ماتت صاحبتها مقتولة بضربة على الرأس "

قال بوارو : " إنها سيدة ليدنر أخرى منذ ٢٠٠٠ عام ؟ "

قال إيموت " ربما "

كان بيل كولمان يفعل شيئاً فى حائط أثرى .

صاح ديفيد إيموت له وقال له أمرًا لم أسمعه ، ثم بدأ يشرح لبوارو ما حوله .

بعد انتهاء الجولة الاستكشافية الصغيرة نظر إيموت لساعته

" سننهى العمل بعد ١٠ ساعات ؛ لنعد للمنزل سيراً على الأقدام "

قال بوارو : " هذا يناسبنى تماماً "

ثم سرنا ببطء وطرقنا الطريق المعتاد المعروف .

قال بوارو : " أعتقد أنك سعيد لعودتك للعمل مرة أخرى "

قال إيموت بجدية : " بالطبع ، هذا أفضل شيء نفعله . لم يكن من السهل إضاعة الوقت فى المنزل سدى وإجراء الحوارات " .

" مع معرفة أن *أحدكم هو القاتل* " .

لم يجب إيموت ، ولم يظهر استياءه ، وأعلم أن بوارو يشك فى الحقيقة منذ استجواب غلمان المنزل والخدم .

بعد بضع دقائق , سأل بهدوء : " إلى أى شيء تشير يا سيد بوارو ؟ " .

قال بوارو بجدية " هل ستساعدنى فى معرفة إلى أين تشير أصابع الاتهام ؟ "

" بالطبع إن كان ذلك فى استطاعتى "

راقبه بوارو عن قرب وقال : " محور القضية هى السيدة ليدنر ، أريد معرفة كل المعلومات عنها "

قال إيموت ببطء : " ماذا تقصد ؟ " .

" لا أقصد من أين جاءت ولا اسمها قبل الزواج ، ولا شكل وجهها ولون عينيها ـ بل أعنى أريد معرفتها هى نفسها " .

" أتظن أن لهذا أهمية فى القضية ؟ "

" أنا متأكد من هذا " .

صمت إيموت هنيهة وقال : " ربما تكون محقًا " .

" وهنا أريد مساعدتك ، من أى نوع من النساء كانت هى ؟ "

" أنا نفسى تساءلت عن ذلك "

" ألم تتوصل لقرار فى هذا الشأن ؟ "

" نعم فى نهاية الأمر "

" رائع ، أخبرنى به "

لكن السيد إيموت ظل صامتاً لدقائق ثم قال : " ما رأى المرضة فيها ؟ يقال إنه لا يعرف النساء إلا النساء بسرعة ، والمرضة لها خبرات واسعة فى أنواع النساء "

لم يدع لى بوارو فرصة للكلام إن أردت وقال بسرعة " أريد رأى رجل عنها ؟ " .

ابتسم إيموت قليلاً .

قال بعد أن صمت هنيهة : " أعتقد أن كل الآراء متشابهة ، كانت الراحلة سيدة صغيرة السن ، لكنها أجمل سيدة قابلتها "

" ليست هذه إجابة يا سيد إيموت " .

" لكننى لم أبتعد عن الموضوع يا سيد بوارو "

صمت لدقيقة وقال " كان هناك قصة خيالية قرأتها وأنا صغير عن ملكة الثلج فى الشمال والفتى كاى الصغير ، وأعتقد أن السيدة ليدنر كانت مثالاً لهذه الملكة الجنية ، وتصطحب كاى الصغير فى نزهات "

" آه ، قصة خيالية للكاتب الدنماركى " هانز أندرسين " , أليس كذلك ؟ وكانت هناك فتاة صغيرة تسمى جيردا ، أو ماذا كان اسمها ؟ "

" ربما ، لا أتذكر " .

" ألا يمكنك الإفصاح أكثر يا سيد إيموت ؟ "

هز رأسه بالنفى وقال :

" لا أعرف هل لخصت شخصيتها جيداً أم لا . كان من الصعب تفسير شخصيتها ، لكنها كانت تؤدى عملاً شريرًا فى يوم ما ، وفى اليوم التالى تعمل عملاً طيباً . لكن أرى أنك محق فى قولك إنها محور القضية ، وهى دائماً كانت تريد ذلك ـ أن تكون محط أنظار الجميع وفى محور ومركز الأمور . كانت لا تريد اهتمام الناس بها فقط ، بل تحب معرفة ما بداخل عقل كل من حولها "

قال بوارو : " وإن لم يرضها أى شخص تتحاور معه ؟ "

" كانت تتعامل بجانبها القبيح الشرير ! "

رأيت شفتيه مطبقتين وفكه مغلقاً فى غيظ .

" أعتقد يا سيد إيموت ، أنك لا تكترث للتعبير عن رأيك بشكل غير رسمى وتخمن من قتلها ؟ "

قال إيموت : " لا أعرف وليست لدىَّ أدنى فكرة ، لكن ربما قتلها رايتر ، لو انتظر قليلاً ربما كنت أكون أنا قاتلها ! كانت شريرة جداً فى تعاملها معه ، ولكن يستحق شرها بكونه حساسًا جداً وكأنه يستفزك لتركله "

قال بوارو : " وهل ركلته السيدة ليدنر فعلاً ؟ "

ابتسم إيموت فجأة وقال :

" كلا ، مجرد وخزات ومناوشات ـ كانت تلك طريقتها . كان منزعجًا منها بالطبع ، مثل طفل متبرم ومتضايق ، لكن وخزاتها كانت مؤلمة "

نظرت خلسة إلى بوارو وأعتقد أن شفتيه اهتزتا ، وقال : " لكنك لا تظن أن رايتر هو القاتل ؟ " .

" كلا ، لا أظن أنه سيقتل امرأة تسخر منه باستمرار مع كل وجبة "

هز بوارو رأسه وهو يفكر ، بالتأكيد كلام السيد إيموت جعل السيدة ليدنر تبدو قاسية القلب وغير إنسانية ، لكن هناك المزيد لهذا الجانب أيضاً .

كان هناك شيء مزعج جداً فى اتجاه رايتر ، كان يقفز عندما تتحدث إليه ، وكان يفعل أمورًا حمقاء ، كأن يمرر لها المربى على المائدة عدة مرات ويعلم أنها لا تحبها ، وقد شعرت أحياناً بالرغبة فى أن أعنفه بنفسى .

لا يفهم الرجال كيف تستفز سلوكياتهم أعصاب النساء لدرجة تستلزم التعنيف والتوبيخ .

قلت لنفسى إننى سأتذكر هذه الملحوظة لبوارو لاحقاً .

وصلنا الآن للمنزل وعرض إيموت على بوارو غسل يده فى حجرته الخاصة . ركضت بسرعة نحو الحديقة ومنها إلى حجرتى .

خرجت فى نفس وقت خروجهما ، وتوجه كل أفراد المنزل لحجرة الطعام ، وظهر رجل الدين لافينى من باب حجرته ودعا بوارو إلى الدخول .

ذهبت إلى حجرة الطعام مع السيد إيموت وكانت السيدة ميركادو والآنسة جونسون هناك بالفعل , وبعد برهة جاء السيد ميركادو ، ورايتر وبيل كولمان .

كنا نجلس وأخبر ميركادو الغلام العربى أن يخبر رجل الدين لافينى أن الغداء جاهز ، ثم سمعنا كلنا صرخة ضعيفة مكتومة أفزعتنا .

لم أظن أن أعصابنا كانت بحالة جيدة ، وكلنا قفزنا من أماكننا وشحب وجه الآنسة جونسون وقالت " *ماذا حدث ؟ ما هذا ؟!* " .

حدقت إليها السيدة ميركادو وقالت : " ماذا دهاك يا عزيزتى ؟ لابد أنه ضجيج معتاد فى الحقول بالخارج "

وقتها دخل بوارو ورجل الدين لافينى لقاعة الطعام .

قالت الآنسة جونسون : " ظننا أن أحدهم تعرض لسوء "

صاح بوارو : " خالص اعتذاراتى يا آنستى . الخطأ خطئى ، كان رجل الدين لافينى يشرح لى مخطوطة واقتربت بها من النافذة لأراها بوضوح وفجأة التوى إصبع قدمى وصرخت للألم الحاد "

قالت السيد ميركادو وهى تضحك " ظننا جريمة قتل أخرى قد وقعت ! "

صاح زوجها : " مارى ! " .

وكانت نبرة كلامه بها عتاب ، وقد احمر وجهها خجلاً وعضت شفتها السفلى .

حولت الآنسة جونسون دفة الحوار إلى موقع الحفر وما اكتشفوه من أشياء مثيرة هذا الصباح . كان الحوار كله على المائدة عن الآثار فقط .

أعتقد أننا كلنا شعرنا بنفس الشيء .

بعد تناول القهوة انتقلنا لحجرة المعيشة ، وذهب كل الرجال لموقع الحفر مرة أخرى عدا رجل الدين لافينى .

ذهب رجل الدين لافينى لحجرة التحف مع بوارو وذهبت معهما . بدأت أعرف كل شيء الآن وشعرت بالزهو والفخر ـ وكأن التحف من ممتلكاتى ـ عندما تناول رجل الدين لافينى الكأس الذهبية وسمعت صيحات إعجاب بوارو .

" يا له من جمال : عمل فنى ممتاز ! " .

وافق رجل الدين لافينى بحماس وبدأ يشير لكل جمال أثرى فى هذه القطعة بحماس ومعرفة .

قلت له : " ألن تضع عليها الشمع اليوم ؟ " .

حدق بوارو نحوى وقال : " شمع ؟ "

شرحت له طريقة حفظ الآثار فى الشمع .

" نعم ، فهمت ، شحوم شمعية لحفظ الآثار "

أدى ذلك بشكل مباشر إلى مناقشة موضوع زائر منتصف الليل لحجرة التحف . تناسيا وجودى وتحدثا معاً بالفرنسية فتركتهما وعدت لحجرة المعيشة .

كانت السيدة ميركادو تخيط جوارب زوجها والآنسة جونسون تقرأ كتاباً ، وكان هذا شيئًا غير عادى منها لأنها كان لديها عمل تقوم به ليلاً دائماً .

بعد قليل جاء رجل الدين لافينى وبوارو ، واستأذن رجل الدين لافينى ليعود لمواصلة العمل وجلس معنا بوارو .

قال : " يا له من رجل مثير ! " , وسألنا عن عمل رجل الدين لافينى

شرحت الآنسة جونسون بأن عليه ترجمة أى كتابة أو أى أختام أسطوانية عليها كتابة ؛ لكنه يؤدى عمله فى موقع الحفر ويتعلم اللغة العامية بسرعة .

أدى هذا إلى الكلام عن الأختام الأسطوانية ، وأحضرت الآنسة جونسون من الدولاب ورقة مطبوعة بالنقوش المطبوعة بالصلصال . أدركت أثناء انحنائنا لنرى الرسوم ونعجب بها أنها كانت تعمل على نقلها بالصلصال فى فترة العصر فى يوم وقوع الجريمة .

أثناء الحوار لاحظت أن بوارو يعجن ويعبث بين أصابعه بكرة من الصلصال .

قال لها : " أنت تستخدمين كمية كبيرة من الصلصال يا آنستى ؟ "

" كمية مناسبة ، ولدينا منه كميات كبيرة هذا العام ـ ولا أعرف كيف بدأ المخزون ينفد "

" أين تحتفظون به يا آنستى ؟ "

" هنا ـ فى الدولاب "

وبينما كانت ترتب أوراق النقوش ظهرت لنا فى الرف كرات الصلصال ، ومعجون التصوير ومادة " الدوروفيكس " وأدوات كتابة أخرى .

انحنى بوارو وقال :

" ما هذا يا آنستى ؟ "

أدخل يده فى خلف الدولاب وأحضر شيئاً غريب الشكل والمنظر ومجعداً للغاية .

فرد بوارو الشىء ووجدنا أنه قناع له عيون وفم مرسومان بالحبر الهندى ، وكان هذا الشىء كله ملطخًا بالصلصال .

صاحت الآنسة جونسون : " يا إلهى ما هذا ؟ لم أره من قبل كيف جاء إلى هنا ؟ وما هذا ؟ "

" بالنسبة لوصوله إلى هنا ، فإنه مكان جيد لإخفاء أى شىء ، ربما لن يتحرك الدولاب حتى آخر الموسم ، لكن ما هذا الشىء ـ ليس من الصعب القول . إنه الوجه المرعب الذى وصفته السيدة ليدنر وقالت إنه شبح ظهر خارج نافذتها قبيل الغروب ـ بدون جسم "

صرخت السيدة ميركادو :

" لكن من فعل هذه الفعلة القاسية الشنعاء ؟ " .

لم يحر بوارو جواباً واكتسى وجهه بالكآبة وذهب للحجرة التالية ، وعاد بصندوق كرتونى فارغ فى يده ووضع القناع المجعد به .

قال موضحاً : " يجب أن ترى الشرطة ذلك "

قالت الآنسة جونسون : " يا له من أمر فظيع ! "

صاحت السيدة ميركادو : " أتظن هناك أشياء خفية هنا فى مكان ما ـ ربما سلاحٍ الجريمة ـ مثل عصا مغطاة بالدماء ... أنا مرعوبة جداً ..... مرعوبة .... " .

أمسكت الآنسة جونسون بكتفيها وصاحت بغلظة : " اهدئىٍ ، لقد وصل د. ليدنر ولا داعى لترويعه "

وفعلاً فى نفس اللحظة جاء د. ليدنر بالعربة إلى الفناء وخرج منها وجاء نحو باب حجرة المعيشة . كانت تكسو وجهه أمارات التعب والإنهاك وبدا أكبر من سنه الفعلى الذى ظهر بعد الجريمة أى منذ ٣ أيام .

قال لنا بهدوء : " ستكون الجنازة غداً الساعة ١١ صباحاً ، ويتلو صلوات الجنازة الميجور دين "

ترنحت السيدة ميركادو فى سيرها وخرجت من الحجرة .

قال د. ليدنر للآنسة جونسون : " ستأتين يا آن بالطبع ؟ "

قالت له " بالطبع سنأتى كلنا يا عزيزى "

لم تقل أى شيء آخر ، لكن وجهها كان يعبر عما يعجز لسانها عن البوح به ؛ لأن وجه د. ليدنر استنار بالحب والراحة الوقتية .

قال لها " عزيزتى آن , أنت مصدر راحة ومساعدة كبيرة لى يا صديقتى القديمة العزيزة "

ووضع يده على ذراعها ورأيت وجهها يحمر خجلاً وقالت وهى تتلعثم بصوت أجش : " لا بأس "

لكن لمحت تعابير وجهها التى تدل على أنها فى تلك اللحظة القصيرة امرأة فى غاية السعادة .

جاءنى خاطر آخر ، هل ستسير الأمور فى مجراها الطبيعى وتتحول الصداقة القديمة إلى تعاطف ثم حب وزواج ؟

أنا لا أمثل دور الخاطبة ، ومن غير اللائق التفكير فى كل هذا قبل الجنازة . لكنه على أية حال حل سعيد ، كان د. ليدنر مغرمًا بها دائماً ، ولاشك فى حبها له ، لقد كرست كل حياتها من أجله . لابد أنها تحملت ثناء الجميع على لويز ليدنر طوال الوقت. مادامت تحصل على ما تريد ؛ أن تكون قريبة من د. ليدنر .

ثم ألقى د. ليدنر التحية على بوارو وسأله عن تقدمه فى التحقيق الجارى .

وقفت الآنسة جونسون خلف د. ليدنر ونظرت للصندوق وهزت رأسها بالنفى لكى تستعطف بوارو حتى

لا يخبره بأمر القناع ؛ فلقد شعرت بأنـه نـال كفايتـه مـن التعب ليوم واحد .

أرضى بوارو رغبتها .

قال : " الأمور تسير بطيئة يا سيدى "

بعـد بـضع كلمـات عـابرة بـلا هـدف ودعنـا بـوارو وانصرف .

واصطحبته حتى العربة .

أردت سؤاله عن عشرات الأمور ، لكنـه اسـتدار ونظـر نحوى ولم أسأله عن أى شيء عنـدما نظـرت إلى وجهـه . كان الأمر سيشبه أن أسأل جراحًـا بعـد عمليـة اسـتغرقت ساعات إذا ما كـان قـد أدى عمـلاً جيـداً أم لا . انتظـرت أوامره فقط بهدوء .

ومـا أثـار دهـشتى أنـه قـال لى : " اعتنـى بنفـسك يـا طفلتى "

ثم أضاف : " أتساءل هل سيروقك أن تظلى هنا ؟ "

" سـأنتظر لمـا بعـد الجنـازة وأسـتأذن د. ليـدنر فـى الرحيل "

أومأ لى بالموافقة على ذلك .

قال : " فى هذه الأثنـاء لا تحـاولى معرفـة المزيـد ، لا تثبتى أنك ماهرة ! "

ثم ابتسم وقال " دورك هو مناولة الفـوط والأدوات لى لإجراء العملية " .

كان من الغريب أن يقول هذا التشبيه !

ثم قال فجأة بدون مقدمات : " رجل الدين لافينى رجل مثير للاهتمام "

" من الغريب أن يتحول أحد رجال الدين لعالم آثار "

ثم عبث وتردد فى كلامه : " تذكرى ، إنه ماهر جداً وقد يعرف ما بداخل عقلك إن أراد ذلك " .

كان يحذرنى من الثرثرة ولا حاجة له لتحذيرى !

تضايقت ، وعلى الرغم من أننى لم أرغب فى سؤاله عن أى شيء قررت أنه لا بأس من عبارة واحدة :

" لقد ذكرت أنك دهست إصبعك بشكل خاطئ ، لقد استخدمت فعلاً غير مناسب "

" ياه ، حقاً ؟ شكراً يا أختاه "

" لا شكر على واجب ، لكن يجب أن تتحدث الإنجليزية جيداً "

قال بهدوء أكثر من اللازم غير معتاد " سأتذكر ذلك "

ركب العربة وسار وعدت أنا ببطء للفناء وأنا أتساءل عن كل ما حدث من أمور .

فكرت فى آثار وخز الإبر على ذراع السيد ميركادو وأى نوع من الأدوية يتعاطاها بالحقن ، وفكرت فى القناع الملطخ الأصفر المركب ، ولماذا لم يسمع بوارو والآنسة جونسون صيحتى من حجرة المعيشة اليوم صباحاً ، بينما

سمعنا كلنا صيحة بوارو فى حجرة رجل الدين لافينى وهى نفس المسافة ما بين حجرة الطعام وحجرة المعيشة .

ثم شعرت بالفخر لأننى صححت لبوارو خطأ فى لغته الإنجليزية .

على الرغم من أنه محقق عظيم ؛ لكنه أدرك أنه لا يعرف كل شيء !

الفصل ٢٣

هواجس نفسية

كانت مراسم الجنازة مؤثرة ، وبخلاف أهل بيت البعثة حضر كل الإنجليز فى الحسنية ، حتى شيلا رايلى وكانت هادئة ومستكينة فى تنورتها السوداء ومعطفها الأسود . تمنيت لو أنها كانت نادمة على ما قالته سابقاً .

عندما عدنا للمنزل , اتبعت د. ليدنر حتى مكتبه وتحدثت بحرص عن مسألة رحيلى من هنا . كان مرحاً فى كلامه عن الموضوع وشكرنى على ما فعلته (فعلته ! لقد كنت بلا فائدة تذكر !) وأصر على قبولى لراتب أسبوع إضافى .

اعترضت لأننى شعرت حقاً أننى لم أقم بأى شىء لأستحق هذا المال .

" حقاً يا د. ليدنر ، لا أريد أن أتقاضى أى مال ، بل يكفى مصاريف سفرى للوطن ؛ فهذا ما أريده " .

لكنه رفض تماماً . مكتبة الرمحي أحمد

قلت له : " لا أشعر أننى أستحق أى أجر ، لقد ـــ لقد أخفقت فى مهمتى ـ ووجودى لم ينقذها "

قال بجدية : " لا تضعى هذه الفكرة فى رأسك أيتها المرضة ، لم أحضرك كمحققة أو حارس شخصى ، ولم أظن أنها فى خطر حقيقى ، وظننتها حالة عصبية أدت إلى حالة نفسية غريبة . فعلت ما فى وسعك للتخفيف عنها . كانت تحبك ووثقت بك . شعرت أنها كانت أسعد فى آخر أيامها وأكثر أمناً لبقائك بجوارها . لا داعى لتوبيخ نفسك "

تهدج صوته قليلاً وعرفت فيما يفكر . كان يظن أنه يستحق اللوم لأنه لم يأخذ مخاوفها مأخذ الجد .

قلت له بفضول " هل علمت مصدر الرسائل المجهولة ؟ " .

تنهد قائلاً " كلا ، هل توصل بوارو لاستنتاج قاطع ؟ "

قلت بحرص : " لم يتوصل لشىء بالأمس " ، وحرصت على ألا أكذب ولا أقول الحقيقة . لم أرغب فى ذكر مسألة الآنسة جونسون إلا بعد التأكد . لكن كان فى ذهنى التصريح له لأرى رد فعله ، لكن سعادة رؤيته معها وحبه واعتماده عليها جعلنى أنسى أمر الخطابات . شعرت بالاحتقار لأننى أردت فتح هذا الموضوع . حتى إن كانت هى التى كتبتها ، فقد كانت تعانى من وقت

عصيب بعد وفاة السيدة ليدنر . لكنى أردت معرفة هل واتته فكرة أو احتمال أنها كاتبة الرسائل أم لا

قلت له " الرسائل المجهولة عادة من حيل النساء " , وانتظرت رد فعله .

قال وهو يتنهد : " ربما ، لكن قد تكون رسائل حقيقية وكتبها فريدريك بوسنر " .

" لم أنس احتمال وجوده ، لكن إلى حد ما هذا ليس تفسيراً منطقيًّا " .

" أعرف ، كله هراء . أن تقول إن أحد أعضاء البعثة هو كاتب الرسائل فهذه نظرية مغلوطة لبوارو ، وأعتقد أن الحقيقة أبسط بكثير . القاتل مجنون بالطبع ، ربما كان يتسكع حول المكان متخفياً ومتنكراً وحضر وقت وقوع الجريمة ، وكذب الخدم أو تقاضوا الرشاوى "

قلت له بشك " يا له من أمر بشع "

واصل د. ليدنر حواره بقليل من الضيق :

" لا بأس لبوارو أن يشك فى أعضاء البعثة ، لكنى متأكد من أنهم ليسوا متورطين فى أى شىء ! لقد عملت معهم وأعرفهم جيداً ! "

توقف فجأة ثم قال : " هل من خبرتك أن تلك الرسائل عادة ما يكتبها النساء ؟ "

" ليس دائماً ، لكنً هناك نوعًا من الغل والحقد النسائى الذى يجد متنفساً بهذا الأسلوب "

" أعتقد أنك تفكرين فى السيدة ميركادو "

ثم هز رأسه بالنفى :

" حتى إن كانت شريرة لهذه الدرجة ، فبالكاد تعرف المعلومات اللازمة عن حياة لويز السابقة لكى تؤذيها "

تذكرت أولى الرسائل فى حقيبة الأوراق .

ربما تركت السيدة ليدنر حقيبة الأوراق بدون إغلاقها ، وكانت السيدة ميركادو تظل وحدها فى المنزل بلا عمل سوى التجوال ، وربما وجدت وقرأت الرسائل . الرجال لا يفكرون فى أبسط الاحتمالات !

قلت وأنا أتفرس فى وجهه : " وعدا ذلك تتبقى الآنسة جونسون "

" هذا سخف وهراء ! " .

كانت ابتسامته تنهى الأمر . فكرة أن كاتبة الرسائل هى الآنسة جونسون لم تخطر بباله قط ! ترددت للحظة ـ لكننى لم أقل أى شىء . لا توجد امرأة تخون امرأة مثلها ، كما أننى شهدت لحظات ندمها الفعلية . ما حدث قد حدث . لماذا أعرض د. ليدنر لصدمة جديدة غير مشاكله الحالية ؟

تم ترتيب أمر سفرى فى صباح اليوم التالى ورتبت مع د. رايلى أن أظل مع رئيسة المرضات فى المستشفى يومين حتى إعداد ترتيبات سفرى وعودتى لإنجلترا عبر بغداد أو مباشرة عبر " نسبين " بالعربة والقطار .

كان د. ليدنر عطوفاً وقال إننى يجب أن آخذ تذكاراً من ممتلكات زوجته .

" لا داعى يا د. ليدنر ، هذا لطف منك أكثر من اللازم " .

لكنه أصر .

" لكنى أريدك أن تحتفظى بشىء ، لو كانت لويز هنا لقالت نفس الشىء " .

ثم اقترح أن آخذ طقم الماكياج المصنوع من أصداف السلاحف !

" كلا يا د. ليدنر ! إنه غالى الثمن ، لن آخذه بالطبع "

" لم يكن لها أخوات كما تعلمين ـ لن يرغب أحد فى أشيائها ولا أحد سيستخدمها هنا " .

ربما كان لا يريدها أن تئول للسيدة ميركادو الطماعة ، ولم يرغب فى إهدائها للآنسة جونسون .

قال بلطف " فكرى فى الأمر ، إليك مفتاح علبة مجوهرات لويز . انتقى منها ما تريدين . أريدك أن تجمعى لى ملابسها ليعطيها د. رايلى للعائلات الفقيرة فى الحسنية "

سرنى أن أؤدى له أى خدمة ، وعبرت عن سعادتى بهذا .

وعلى الفور بدأت مهمتى .

كان دولابها بسيطًا وفرزت محتوياته فى حقيبتين ووضعت كل أوراقها فى حقيبة الورق . علبة المجوهرات

كان بها حلى بسيطة - خاتم لؤلؤ ودبوس ماسى وعقود لؤلؤ ودبوسان ذهب وعقد كهرمان أصفر .

بالتأكيد لم أكن لآخذ اللؤلؤ والماس ، وترددت هل آخذ العقود الكهرمان أم علبة الماكياج ، وفى النهاية استقر رأيى على الأخيرة ، كان لطفًا منه أن يعرضها لى ولم يكن يمن بها على غير رضا ، وسآخذها بنفس الروح التى قدمت بها لى بدون فخر ، وعلى أية حال فأنا كنت أحب الراحلة وأعجبتنى علبة الماكياج !

حسناً , انتهى ذلك الأمر ، وتم إعداد الحقائب ، وأغلقت علبة المجوهرات وأعطيتها للدكتور ليدنر مع صورة والد زوجته مع متعلقات بسيطة أخرى .

بدت الحجرة الخالية مؤسفة بعد تفريغها من محتوياتها . انتهى عملى ولكنى لم أرغب فى ترك الحجرة , وكأن مازال هناك شىء يجب أن أراه وأعرفه . أنا لا أومن بالخرافات ، لكنى تخيلت أن روح الراحلة تحوم حول المكان وتريد أن تتصل بى .

وأتذكر ذات مرة فى المستشفى جاءت فتاة بلوحة وكتبت أشياء ورموزًا غريبة لتتواصل مع الأرواح .

لم أفكر أبداً فى ذلك ، ربما أنا كالوسيط الروحانى . كما أقول ، قد تنتاب المرء أفكار حمقاء أحياناً .

ظللت أسير جيئة وذهاباً بلا راحة ، لمست كل شىء وبالطبع لم يكن متبقياً فى الحجرة سوى قليل من

الأثـاث . لم يكـن هنـاك شـىء خفـى أو مـستتر فـى أى ركن ، ولم أتمنَّ أن أجد شيئاً .

فـى النهايـة (يبـدو الأمـر مريبـاً عنـدما ينتـاب المـرء خرافات) فعلت شيئاً غريباً .

استلقيت على الفراش وأغمضت عينى .

حاولـت أن أفكـر فـى وقـت الجريمـة ، وكـأننى أنـا السيدة ليدنر مستلقية وتسترخى فى هدوء وسلام ولا أشـك فى أى شىء .

ما حدث بعد ذلك كان عجيباً جداً .

أنا امرأة عادية جداً ـ لست خبيرة روحانيـة لكـن بعـد الاستلقاء لمدة خمس دقائق انتابنى شعور مخيـف بـأن روح الراحلة قد حضرت . لم أقـاوم شـعورى بـل شـجعته عـن قصد .

قلت لنفسى : " أنا السيدة ليدنر . أنا الـسيدة ليـدنر . أنـا مـستلقية هنـا ـ فـى حالـة نعـاس ـ وحاليـاً سـيفتح الباب " .

ظللت أكرر ذلك حتى إننى ظننت أننى سـأنوم نفـسى مغناطيسياً .

" الـساعة ٣٠ : ١ ... وقـت حـدوث الجريمـة ... سيفتح الباب . سأرى من سيأتى ... "

ركزت عينى على البـاب . أكيـد سـيفتح البـاب حـالاً وسأرى من سيدخل من الباب حالاً "

ربما كنت متعبة لأننى ظننت أننى سأحل اللغز هكذا بتلك الطريقة .

لكنى لم أصدق ذلك . سرت قشعريرة وبرد فى ظهرى وأطرافى ، ثم شعرت بخدر فى أطرافى ، ثم ظللت بلا حركة كالمشلولين .

" ستدخلين فى غيبوبة وسترين فيها .... "

وأخذت أكرر نفس القول :

" سيفتح الباب ... سيفتح الباب ... "

زاد شلل وتنميل أطرافى .

ثم رأيت الباب يفتح ببطءٍ !

كان شعورًا مروعًا جدا !

لم أشعر بالخوف طيلة حياتى سوى فى تلك اللحظة .

شعرت بالشلل والبرد يسرى فى أوصالى ، ولم أتحرك وكأننى سلبت منى الحياة .

شعرت برعب فظيع وكأننى عمياء وبكماء ومريضة من الرعب .

انفتح الباب ببطء .

بدون صوت .

فى ثوان سأرى ....

ببطء ... ببطء . تتسع فتحة الباب .

ثم دخل بيل كولمان بهدوء .

لابد أنه تعرض لأكبر فزع فى حياته .

قفزت من الفراش وصرخت من الرعب وركضت في أنحاء الحجرة .

ظل واقفاً بلا حراك واحمر وجهه أكثر وفغر فاه من الدهشة .

" أهلاً أيتها المرضة ، ما الخطب ؟ "

عدت لأرض الواقع وأنا أشعر بالإنهاك الشديد والدوار .

" ياه ، يا سيد كولمان لقد أفزعتنى ! "

قال وهو يبتسم بخفة لوقت قصير : " أنا آسف "

ثم وجدته يحمل باقة زهور من النوع الذى ينمو فى التل وكانت السيدة ليدنر تحبه .

تورد وجهه خجلاً وقال : " من الصعب الحصول على الورد وأى شيء آخر فى الحسنية . بدا الأمر سيئاً أن يخلو القبر من الزهور . جمعت هذه الباقة من الأرض ووضعت بعضها فى أوانى المائدة كما كانت تفعل السيدة ليدنر ، كرمز للوفاء لذكراها ، يبدو الأمر سخيفاً لكن ... "

قلت إنه لأمر لطيف منه ، وكان مازال محمر الوجه من الخجل ، وظننت أنها فكرة رائعة من جانبه .

قلت له " إنها فكرة لطيفة يا سيد كولمان "

أمسكت الآنية وأحضرت بعض الماء بها للزهور .

فكرت لاحقاً فى الأمر ووجدت لكولمان قلبًا عامرًا بالحب والمشاعر الرقيقة إزاء كل من حوله .

لم يسألنى عن سبب صراخى وسرنى أنه لم يسأل . كنت سأشعر بالحماقة إن شرحت له ما حدث .

قلت لنفسى وأنا أهندم ملابسى وأكمامى ومريلتى " الزمى التفكير المنطقى السليم فى المستقبل يا امرأة ؛ لست بخبيرة روحانية "

انشغلت لباقى اليوم ، وحزمت حقائبى . كان رجل الدين لافينى عطوفاً وعبر عن أسفه لرحيلى وقال إن تفاؤلى ومرحى ورجاحة عقلى كانت مصدر مساعدة للجميع . رجاحة عقل ! من حسن الحظ أنه لم يعرف تصرفاتى الحمقاء داخل حجرة الراحلة .

قال لى : " هل رأيت السيد بوارو اليوم ؟ "

أخبرته أن بوارو سينشغل اليوم بإرسال التلغرافات .

رفع رجل الدين لافينى حاجبيه وقال : " تلغرافات لأمريكا ؟ "

قلت له : " ربما لأنه قال : " لكل العالم ! " ، ربما كانت مبالغة من رجل أجنبى "

ثم احمر وجهى خجلاً لأننى تذكرت أن رجل الدين لافينى أجنبى أيضاً ، لكنه لم يبد عليه الامتعاض ، بل ضحك بمرح وسألنى عن الرجل الأحول .

قلت له لا أعرف أى شىء عنه .

سألنى رجل الدين لافينى عن وقت ملاحظة السيدة ليدنر للرجل الأحول عندما تلصص على النافذة .

قال رجل الدين لافيني بتفكير عميق : " يبدو أن الرجل كان مهتماً بها بشكل كبير ، وتساءلت هل كان أوربيًا متخفيًا كعراقي ؟ " .

كانت تلك فكرة جديدة لى وفكرت فيها بعمق ، أنا كنت متأكدة من أنه عراقي ، لكنى أمعنت التفكير وتذكرت شكل ملابسه واصفرار بشرته .

قال رجل الدين لافيني وهو يعتزم الخروج للمكان الذى وجدت أنا والراحلة الرجل العراقي يقف عنده :

" ربما يكون قد ترك دليلاً ما وراءه ، قرأت هذا في كل القصص البوليسية "

قلت له " في الواقع المجرمون أكثر حرصاً "

أحضرت بعض الجوارب التى كنت أحيكها ووضعتها على المائدة في حجرة المعيشة ليفرزها الرجال عندما يأتون ، ثم ذهبت للسطح عندما لم يتبق أى شيء أفعله .

كانت الآنسة جونسون في السطح ، ولم تسمع صعودى للسطح ، وسرت نحوها حتى لاحظتها .

لكن قبل ذلك شعرت بأن هناك شيئاً خاطئاً .

كانت تقف في منتصف السطح وتحدق أمامها ووجهها تعلوه نظرة بائسة ، وكأنها رأت شيئًا لا تصدقه .

لقد شعرت بصدمة كبرى .

أعرف أننى وجدتها في حالة حزن بالأمس لكن اليوم شيء مختلف .

أسرعت إليها : " يا عزيزتى ما الخطب ؟ "

استدارت ونظرت لى وكأنها لم ترنى !

أصررت قائلة : " ما الخطب ؟ " .

كان وجهها عابسًا بشكل غريب ـ وكأنها حاولت ازدراد ريقها ولم تتمكن بسبب جفاف حلقها . قالت بصوت أجش :" رأيت شيئًا للتو "

" أخبرينى ما هو ؟ يبدو عليك الفزع " .

بذلت جهداً فى استعادة رباطة جأشها ، ولكنها كانت لاتزال مرعوبة وقالت بصوت ملىء بالرعب والاختناق : " اكتشفت كيف يأتى أحد من الخارج بدون أن يراه أحد " .

اتبعت ببصرى ما تنظر إليه لكنى لم أر شيئاً

كان رايتر يقف عند باب حجرة التصوير ورجل الدين لافينى يعبر الفناء ـ لكنى لم أر أى شىء غريب .

استدرت نحوها وشعرت بالحيرة ووجدت عينيها تحدقان نحوى بأغرب تعبير رأيته .

قلت لها " لا أفهم مقصدك حقاً ، هلا شرحت لى ؟ "

" ليس الآن ، لاحقاً ، لا يجب أن يرانا أحد أبداً ! "

" فقط أخبرتنى و ـــ "

هزت رأسها بالرفض وهمست :

" سأفكر أولاً فى الأمر "

ثم مرت عبرى وهرولت وهى تنزل السلم .

لم أتبعها لأنها لم تردنى معها . جلست بدلاً من ذلك على السور وحاولت فهم ما حدث لكنى لم أصل لنتيجة . هناك مدخل واحد للفناء هو الباب الرئيسى ذو القبة وخارجه أرى غلام الماء وحصانه والطاهى الهندى يتحدث إليه ولا يمر أحد دون أن يروه .

هززت رأسى فى حيرة ونزلت عبر السلم .

الفصل ٢٤

القتل عادة

ذهبنا جميعاً للفراش مبكراً فى تلك الليلة . تصرفت الآنسة جونسون بشكل طبيعى على العشاء كالمعتاد منها ، لكن كانت نظرتها زائغة وتائهة ولم تنتبه لما يقال لها مرة أو مرتين .

لم يكن العشاء مريحاً فى تلك الليلة . ربما تقول إن هذا طبيعيٍ فى بيت كان به جنازة ، لكن أنا أعنى ما أقوله فعلاً .

لاحقاً كانت كل وجباتنا معاً فى صمت وكآبة ، وعلى الرغم من ذلك كان هناك شعور بالزمالة ، وخاصة الرثاء والتعاطف مع د. ليدنر فى حزنه ؛ لأننا جميعاً فى نفس المركب .

لكن فى تلك الليلة ، تذكرت أول وجبة لى هنا ـ عندما ظلت السيدة ميركادو تراقبنى وكان هناك شعور بأن ثمة ما سينفجر فى أية لحظة .

شعرت بنفس المشاعر الليلة ـ لكن بشكل أكثر حدة ـ عندما جلسنا حول المائدة مع بوارو على رأسها .

الليلة كان هناك ثمة ما يسوء ، والكل جالس فى قمة التوتر وعلى وشك الانفجار ، ولو كان أحدهم قد ألقى شيئاً لصرخ أى واحد فينا .

المهم كما قلت تفرقنا كل فى طريقه مبكراً وأويت لفراشى مبكراً ونمت فى الحال . آخر شىء سمعته هو صوت السيدة ميركادو تقول للآنسة جونسون تصبحين على خير .

نمت على الفور من تعبى وخاصة من تجربتى السخيفة فى حجرة السيدة ليدنر . نمت بعمق بلا أحلام لعدة ساعات .

استيقظت ولدى إحساس بالفزع وكأن كارثة على وشك الحدوث . أيقظنى صوت ما وجلست على فراشى وسمعته مرة أخرى .

كان صوت حشرجة وألم واختناق بشع .

أشعلت الشموع ونهضت من الفراش بسرعة وحملت الشعلة حتى لا تنطفئ الشمعة وخرجت من باب حجرتى ووقفت لأسمع . كنت أعلم أن الصوت قريب ـ جاء من حجرة مجاورة لى ـ من حجرة الآنسة جونسون .

أسرعت بالدخول إلى حجرتها . كانت مستلقية على فراشها وجسدها يتلوى من الألم . وضعت الشمعة بجوار الفراش وانحنيت عليها . كانت شفتاها تتحركان وحاولت

أن تتحدث ـ لم أسمع سوى حشرجة خشنة هامسة . كانت مناطق وأركان الفم وجلد الذقن محروقة بلون أبيض رمادى .

تحركت عيناها نحو كوب وقع على الأرض ووقع من يدها كما هو واضح ، ولون أحمر فى بقعة كبيرة على السجادة مكان وقوع الكوب . التقطت السجادة ومررت إصبعى داخلها وصحت فى دهشة وجذبت يدى بسرعة ، ثم فحصت داخل فم المرأة المسكينة .

لم يكن هناك شك ـ ربما بقصد أو بدون قصد ابتلعت كمية من حمض يجعل المواد تتآكل ـ أوكساليك أو هيدروكلوريك كما ظننت .

ركضت واستدعيت د. ليدنر الذى أيقظ الآخرين وبذلنا كل ما فى وسعنا لإنقاذها ، لكن طول الوقت شعرت أنه لا جدوى . أعطيناها محلولاً قوياً من كربونات الصودا وزيت الزيتون ، وأعطيتها حقنة لتخفيف الألم من سلفات المورفين .

ذهب إيموت إلى الحسنية ليحضر د. رايلى لكن فات الأوان ، وقبل وصوله ماتت .

لن أستفيض فى التفاصيل . كانت حالة تسمم من محلول قوى لحمض الهيدروكلوريك (لاحقاً علمنا ذلك) مما نتج عنه وفاة مؤلمة للغاية .

عندما انحنيت لأعطيها المورفين حاولت بكل جهد بائس ومرعب أن تتحدث ، لكنى لم أسمع سوى همس

مختنــــق فقــط : " *النافـذة* .... أيتهـــا المرضـــة .... *النافذة* "

كـان هـذا كـل شـىء ولم تقـل بعـدها أى كـلام لأنهـا انهارت تماماً .

لن أنسى هذه الليلة طوال حياتى ، وصول د. رايلى ، وكابتن ميتلاند وبحلول الفجر جاء هيركيول بوارو .

سحبنى بوارو برفق من ذراعـى ودفعنـى حتـى حجـرة الطعام ، وجعلنى أجلس وأحتسى كوباً من الشاى القوى .

قال : " هيا يا طفلتى ، هذا أفضل لك ؛ فأنت منهكة القوى "

بعد ذلك انفجرت فى البكاء .

قلت وأنا أبكى : " يـا لـه مـن أمـر بـشع ، كالكـابوس ، معاناة شديدة ، وعيناها .... يا سيد بوارو ... عيناها ... "

ربت بوارو على كتفى ، ولا أظن أن هناك امرأة كانـت ستصبح فى حنانه معى فى تلك اللحظة .

" نعم ـ لا تفكرى فى هذا الأمـر ، لقـد بـذلت مـا فـى وسعك "

" كان حمضاً مذيباً يجعل الجسم يتآكل "

" محلول قوى من حمض الهيدروكلوريك "

" مادة تنظيف الأوانى الأثرية ؟ "

" نعم ، ربما شربتها قبل أن تستيقظ ـ إلا إذا شـربتهـا عمداً "

" ياه ، يا سيد بوارو ، يا لها من فكرة بشعة ! " .

" مجرد احتمال فقط . ما رأيك ؟ " .

فكرت للحظة ثم هززت رأسي بالنفي بشكل حاسم :

" لا أصدق أنها انتحرت أبداً ، ثم ترددت قليلاً وقلت : " لقد اكتشفت شيئاً بالأمس عصرا "

" ماذا قالت لك ؟ هل وجدت شيئاً مهماً ؟ "

كررت له ما قالته لى على السطح .

أطلق بوارو صفيرا بصوت منخفض .

قال بوارو بالفرنسية : " يا للسيدة المسكينة ! قالت إنها تريد أن تفكر ؟ هذا ما سجل ووقع شهادة وفاتها ومحاولة القتل التى نجحت . يا ليتها تحدثت على الفور " .

" أخبرينى بكلماتها بالضبط "

فعلت ما أمرنى به .

" رأت إمكانية دخول أحد من الخارج بدون معرفة الجميع ؟ هيا يا أختاه ، لنصعد للسطح وأخبرينى أين كانت تقف "

ذهبنا للسطح معاً وجعلته يرى مكان وقوفها بالضبط .

تحرك بوارو وقال : " هكذا ؟ ماذا أرى من هنا ؟ نصف الفناء ـ المدخل ـ وأبواب المكتب وحجرة التصوير والمعمل . هل كان هناك أحد فى الفناء ؟ "

" رجل الدين اتجه للباب الرئيسى وكان رايتر عند باب حجرة التصوير "

" لكنى لا أرى إمكانية دخول أحد من الخارج ؛ فليس هناك منكم من يعرف طريقة للدخول ... لكنها عرفتها ..."

استسلم بوارو فى النهاية وصاح بالفرنسية :

" إلى الجحيم ! ما الذى رأته ؟! "

أشرقت الشمس وابتهج الشرق كله بألوان الأحمر والبرتقالى والرمادى .

قال بوارو بصوت لطيف : " يا له من شروق جميل للشمس ! "

كان النهر يجرى على يسارنا بشكل متعرج والتل يقف شامخاً حوله خط ذهبى اللون . إلى الجنوب كانت هناك أشجار مزهرة وأماكن زراعية هادئة والساقية تدور بصوتها الهادر على مسافة قريبة ـ صوت خافت وكأنه لا ينتهى لهذا العالم . فى الشمال ارتفعت مآذن شامخة إلى عنان السماء والبياض الخيالى المتجمع لمبانى الحسنية .

كان كل ما حولنا جميلاً للغاية .

بجوار ذراعى سمعت بوارو يتنهد بعمق ، وهمس :

" كنت أحمق ، والحقيقة كانت جلية واضحة "

الفصل ٢٥

انتحار أم جريمة قتل ؟

لم يكن لدىً وقت لأسأل بوارو عن مقصده ؛ لأن الكابتن ميتلاند نادى علينا وطلب منا النزول .

أسرعنا بالنزول من على السطح .

قال " حدث أمر معقد آخر يا بوارو ؛ لقد فقدنا رجل الدين "

" رجل الدين لافينى ؟ "

" نعم ؛ لم يلاحظ أحد حتى الآن فقط ، خطر ببال الجميع أنه الوحيد الذى ليس متواجداً ، وذهبنا لحجرته ولم يكن نائماً لأن فراشه كان مرتباً ولا أثر له " .

كان الأمر كله كالكابوس . أولاً مقتل الآنسة جونسون وبعد ذلك اختفاء رجل الدين لافينى .

تم استدعاء واستجواب الخدم ؛ حتى يلقوا أى ضوء يزيح هذا الغموض . آخر مرة شوهد فيها كانت فى حوالى الساعة الثامنة ليلة أمس ، وقال إنه سيتمشى قليلاً قبل النوم .

ولم يره أحد يعود من تمشيته .

كانت الأبواب الكبيرة مغلقة قليلاً فى تمام التاسعة كالعادة . لكن لم يتذكر أحدهم فتحها فى الصباح . كلا الخادمين اعتقد أن الآخر هو الذى فتح الباب .

ترى هل عاد رجل الدين لافيني ليلة البارحة ؟

هل اكتشف أثناء سيره شيئاً مريباً ومن ثم ذهب ليتقصى عنه وسقط كضحية ثالثة ؟

التفت الكابتن ميتلاند بينما جاء د. رايلى يتبعه ميركادو .

" أهلاً يا رايلى ، هل عرفت شيئاً ؟ "

" نعم ، المادة السامة جاءت من المعمل هنا ، وتأكدت من الكميات المفقودة مع ميركادو ، كان حمض الهيدروكلوريك من المعمل " .

" المعمل ؟ هل كان مغلقاً بإحكام وموصداً ؟ "

هز ميركادو رأسه بالنفى ، وكانت يداه ووجهه يرتعشان وكأنه حطام رجل

قال متلعثماً : " لم نعتد إغلاقه أبداً ؛ فنحن نستخدمه طوال الوقت ولم أتخيل أبداً أن ــ "

" هل يغلق المعمل ليلاً ؟ "

" نعم ـ كل الحجرات تغلق جيداً ، والمفاتيح تعلق داخل حجرة المعيشة "

" إذن يتسنى للجميع الحصول على المفاتيح ؟ "

" نعم "

" وهو مفتاح عادى كما أظن ؟ ".
" نعم "
" لا شيء يدل على أنها أحضرت الحمض بنفسها من المعمل ؟ "
قلت أنا بكل تأكيد وبصوت عال : " كلا ، لم تفعل "
شعرت بلمسة تحذيرية على ذراعى من بوارو الواقف خلفى لكى أصمت ، ثم حدث شيء مروع .
ليس مروعاً فى حد ذاته ـ بل مجرد حدث غير مترابط وغريب مما جعله أسوأ من أى شيء .
دخلت سيارة للفناء وقفز رجل قصير يرتدى قبعة أو خوذة واقية من الشمس ومعطفاً قصيراً مبطناً .
جاء مباشرة نحو د. ليدنر الذى كان يقف بجوار د. رايلى وصافحه بحرارة .
صاح الرجل : " ها أنت يا سيدى العزيز ، يسعدنى رؤيتك ، مررت بهذا الطريق عصر يوم السبت فى طريقى للإيطاليين فى الفجيمة ، وذهبت لموقع الحفر لكنى لم أجد أى أوربى هناك للأسف ! وأنا لا أتحدث اللغة العربية ، ولم يكن لدى وقت للذهاب لمنزلكم . هذا الصباح سأترك الفجيمة الساعة الخامسة ـ سأمضى ساعتين هنا معكم ثم ألحق بالقافلة ، هيا أخبرنى كيف مر الموسم هذا العام ؟ "
كان شيئاً غريباً للغاية .

كان صوته مفعماً بالمرح وطريقته عادية فى الكلام ، وشعرت أن العالم العادى العاقل قد تركناه خلفنا فى هذا المكان ، لكن هذا الرجل دخل فجأة ولم يعرف أو يلاحظ أى شيء ـ يا له من رجل مرح ساذج .

لا عجب فى أن د. ليدنر شهق بصوت غير مسموع ونظر فى استعطاف صامت إلى د. رايلى .

هم د. رايلى بالأمر وتولاه جيدا .

اصطحب د. رايلى الرجل (كان عالم آثار فرنسيًا يسمى فيرييه . كان يفحص جزر اليونان كما علمت لاحقاً) ، وانتحى به جانباً وشرح له كل ما حدث .

أصيب فيرييه بالرعب ، وكان قد ظل فى موقع الحفر الإيطالى لفترة طويلة بعيداً عن العمران والمدنية لبضعة أيام ولم يسمع الأخبار .

تفوه بالكثير من التعازى والاعتذارات ، وفى النهاية صار بخطى حثيثة نحو د. ليدنر وصافحه بحرارة بكلتا يديه وقال :

" يا لها من مأساة ! يا إلهى ! ليس لدى ما أقوله من هول الصدمة يا زميلى المسكين ! " .

ثم هز رأسه فى آخر جهد غير فعال وغير مجد له لكى يعبر عن مشاعره ، ثم ركب سيارته وغادرنا .

بدا الأمر كفاصل هزلى مؤقت فى مأساتنا ، وقد بدا مروعًا أكثر من أى شيء حدث ، كما قلت سابقاً .

قال د. رايلى بحزم : " أنا مصر على أن نتناول الإفطار جميعاً حالاً ، هيا يا ليدنر يجب أن تأكل " .

كان د. ليدنر المسكين أشبه بحطام إنسان . جاء معنا لحجرة الطعام وتم تقديم وجبة الجنازة . أعتقد أن القهوة الساخنة والبيض المقلى ، قد عملا على تحسين حالتنا قليلاً على الرغم من فقدان الجميع للشهية . شرب د. ليدنر بعض القهوة وأخذ يعبث بالخبز ولم يأكل ، وكان وجهه رماديًا وباهتاً وشاحباً من الألم والحيرة .

بعد الإفطار ، بدأ الكابتن ميتلاند يمارس مهامه .

شرحت له كيف استيقظت وسمعت صوتاً غريباً وتوجهت لحجرة الآنسة جونسون .

" تقولين كان هناك كوب ملقى على الأرض ؟ "

" نعم ، ربما ألقته بعد الشراب " .

" هل كان مكسورا ؟ "

" كلا ، وقع على السجادة (لكن الحمض دمر الكوب بالمناسبة) والتقطت الكوب ووضعته على المائدة " .

" يسرنى أنك قلت لنا كل ذلك . هناك مجموعتان من البصمات على الكوب ، إحداهما للآنسة جونسون والأخرى بالتأكيد لك "

صمت لبرهة ثم قال : " أكملى سرد ما حدث " .

وصفت بدقة كل ما فعلته من طرق لمحاولة إنقاذها ونظرت بقلق نحو د. رايلى لأعلم هل كانت محاولاتى جيدة أم لا ، وأومأ لى برأسه .

قال د. رايلى : " لقد جربت كل ما فى وسعك ولم يكن هناك فائدة " . كنت متأكدة من ذلك ، لكن كان من المريح أن يؤكد لى ذلك أحد المتخصصين .

قال الكابتن ميتلاند : " هل تعرفين بالضبط المادة التى تناولتها ؟ "

" كلا ـ لكن بالتأكيد كانت حمضاً يجعل الأشياء تتآكل "

قال بجدية " أتعتقدين أنها احتسته عمداً ؟ "

صحت به : " كلا ، لا أظن ذلك ! "

لا أعلم لماذا كنت على هذه الثقة ، ربما جزئياً بسبب تلميحات بوارو . قال بوارو لى ذات مرة إن " القتل عادة " وهذه العبارة التصقت فى ذهنى ، وأيضاً لأنه لا أحد ينتحر بهذه الطريقة القاسية المؤلمة للغاية .

ذكرت كل هذا لكابتن ميتلاند ، وقال لى وهو يومئ برأسه : " أتفق معك على أن الأمر قد لا يكون انتحاراً ، لكن ربما فى حالة ذهنية سيئة لن يفكر أحد فى وسيلة سهلة للانتحار سوى ذلك مع وجود المادة متاحة لهذا السبب "

سألته بشك : " هل كانت حالتها الذهنية سيئة ؟ "

" هكذا تقول السيدة ميركادو ، تقول إن الآنسة جونسون لم تكن على طبيعتها فى عشاء الأمس ـ وبالكاد كانت ترد على ما يقال لها . كانت السيدة ميركادو

متأكدة من أن الآنسة جونسون مهمومة جداً بشيء ما لدرجة أن فكرة الانتحار ربما جاءت في ذهنها "

قلت له بحدة : " لن أصدق ذلك " .

السيدة ميركادو ! يا لها من خبيثة !

" إذن ما رأيك ؟ "

قلت له بحدة أكبر : " لابد أنها جريمة قتل "

قال سؤاله التالى بحدة وكأنى فى حجرة تحقيق :

" لأى سبب قتلت ؟ "

" هذا أقرب الاحتمالات بالنسبة لى "

" هذا مجرد رأى خاص ، لا يوجد دافع لقتلها " .

" اعذرنى ، لكنَّ هناك سبباً ؛ فلقد وجدت شيئاً "

" ما هو ؟ "

أعدت له حوارى معها على السطح كلمة كلمة .

" ورفضت أن تذكر لك ما عرفته ؟ " .

" نعم ، وأرادت أن تفكر فى الأمر أولاً " .

" لكن كانت مثارة مما رأته ؟ "

" نعم "

قال الكابتن ميتلاند بحيرة وقد انعقد حاجباه :

" طريقة للدخول من الخارج ، أليس لديك فكرة عن مقصدها ؟ "

" إطلاقاً ، بل أخذت أفكر فى الأمر ولم أتوصل حتى لأقل شيء "

قال : " ما رأيك يا بوارو ؟ " .

" هناك دافع محتمل " .

" للقتل ؟ " .

" نعم "

عبس وجه الكابتن ميتلاند .

" هل تمكنت من قول شيء قبل وفاتها ؟ " .

" نعم قالت كلمة واحدة "

" ما هى ؟ "

" النافذة ... "

قال ميتلاند : " النافذة ؟ هل فهمت إلام تشير ؟ "

هززت رأسى بالنفى .

" كم عدد النوافذ فى حجرتها ؟ "

" نافذة واحدة فقط " .

" تطل على الفناء ؟ "

" نعم " .

" هل كانت مغلقة أم مفتوحة ؟ أتذكر أنها كانت مفتوحة ، ولكن ربما فتحها أحدكم ؟ "

" كلا كانت مفتوحة طوال الوقت ، ربما ـ "

لكنى لذت بالصمت .

" أكملى كلامك أيتها الممرضة "

" فحصت النافذة بالطبع ولم أجد أى شيء غير عادى وتساءلت إذا ما كان أحدهم قد قام بتغيير الكوب "

" تغيير الكوب ؟ "

" نعم كانت الآنسة جونسون تأخذ معها كوباً من الماء للفراش كل ليلة ، وربما تم وضع الحمض مكان الماء " .

" ما رأيك يا رايلى ؟ "

قال د. رايلى بسرعة " ربما كانت جريمة قتل وهذه الطريقة هى التى تمت بها . لا أحد يحتسى حمضاً ويظنه ماء بالخطأ ، خاصة لسيدة عاقلة وقوية الملاحظة مثلها - خاصة إن كان واعياً لما يفعل ولم يَنَمْ . لكن إن كان هناك أحد قد اعتاد على شرب الماء فى منتصف الليل عندما يستيقظ ، فلن يلاحظ الفرق ويمد يده للكوب فى مكانه المعتاد بشكل آلى ويحتسى كماً كافياً لموته قبل أن يدرك أنه حمض وليس ماء " .

صمت الكابتن ميتلاند دقيقة ليفكر ثم قال :

" لنفحص النافذة ، ما مدى بعدها عن الفراش ؟ "

فكرت ثم قلت له

" يمكنك مد يدك نحو المائدة الصغيرة على رأس الفراش "

" وكان على المائدة كوب الماء كالعادة ؟ " .

" نعم "

" هل كان الباب موصداً ؟ "

" كلا " .

" إذن ربما دخل القاتل وبدل الأكواب ؟ "

" نعم "

قال د. رايلى : " لكن هناك مجازفة هنا ، قد يستيقظ النائم إن سمع خطوات أحدهم يدخل . قد يكون الوصول للمائدة من النافذة أمرًا أكثر أمناً "

قال ميتلاند وهو شارد الذهن : " أنا لا أفكر فى الكوب الزجاجى "

ثم قام وقال لى :

" هل قلت إنها كانت تحتضر وتلمح بلهفة أن أحدهم قام باستبدال الحمض والماء من النافذة المفتوحة ؟ كان جديراً بها أن تخبرنا باسم القاتل ؟ "

قلت له : " ربما لم تعرفه " .

" أو ربما كان من الأفضل أن تخبرنا بما اكتشفته بالأمس ؟ "

قال د. رايلى : " عندما يحتضر المرء لا يكون لديه إحساس بما هو مهم ؛ ربما انتابتها فكرة كالوسواس بأن قاتلها مد يده من النافذة ليستبدل بالماء الحمض ورأت من المهم إطلاعنا على ذلك . ولا أظنها مخطئة ؛ فلقد كانت معلومة مهمة ! ربما فهمت أننا سنظنها انتحرت ، ولو كان لسانها يستطيع الكلام لربما قالت لنا إنها لم تنتحر وأن أحدهم قد بدل بالماء الحمض عبر النافذة "

ظل الكابتن ميتلاند يطرق بأصابعه لدقيقتين بدون أن يتكلم ، ثم قال :

" هناك طريقتان لفحص الأمر . إما انتحار أو قتل . ما رأيك يا د. رايلى ؟ "

صمت د. ليدنر هنيهة ثم قال بهدوء وحسم " إن جونسون ليست من نوع النساء الذى قد ينتحر " .

قال الكابتن ميتلاند : " ربما فى الظروف العادية ، لكن ربما فى ظل ظروف غامضة كان ذلك طبيعياً لها "

" مثل ماذا ؟ "

انحنى الكابتن ميتلاند ، ثم أخذ جعبة لاحظت من قبل أنه وضعها على جانبه فى المقعد ، والآن وضعها على المائدة بجهد واضح .

قال : " هناك شيء لم تلاحظوه جميعاً وجدناه تحت فراشها "

فتح الجعبة وأخرج المطحنة أو الرحاية الثقيلة من الحجر .

لقد كان هذا شيئاً عادياً ووجدنا الكثير منه فى موقع الحفر الأثرى .

كلنا حدقنا فى الشيء الداكن اللون ووجدنا شيئاً يبدو كجزء من شعر .

قال الكابتن ميتلاند : " هذه مهمتك يا د. رايلى ، لاشك فى أن هذه أداة الجريمة التى قتلت بها السيدة ليدنر ! "

الفصل ٢٦

فى المرة القادمة قد أقتل أنا !

لقد كان أمراً مروعاً . بدا د. ليدنر وكأنه سوف يغشى عليه وشعرت أنا بالغثيان .

فحص د. رايلى الحجر بحماس المحترفين .

قال : " لا يوجد بصمات على ما أظن ؟ "

" بالطبع "

أخذ د. رايلى ملقطاً وأخذ فى الفحص بدقة .

" جزء من نسيج بشرى ، وشعر أشقر . هذا مجرد حكم مبدئى ، يجب فحص كل هذا فى المعمل الجنائى . بالطبع سوف يكون علىّ أن أجرى تحليلاً دقيقاً لفصيلة الدم وما إلى ذلك لكن لاشك فى أنها أداة الجريمة . وجدتها تحت فراش الآنسة جونسون ؟ يا لها من فكرة بشعة ! هل قامت بالجريمة ثم انتابتها حالة ندم فانتحرت ـ يا لها من نظرية ! "

أخذ د. ليدنر فى هز رأسه بدون توقف وهمس : " آن لا يمكن أن تقتل أبداً "

قال الكابتن ميتلاند : " لا أعرف أساساً أين أخفت هذا الشيء ؟ لقد تم تفتيش كل الغرف بعد الجريمة الأولى "

قلت في ذهني : " ربما كانت أداة الجريمة في دولاب الأدوات " ، وقد قفزت هذه الفكرة في ذهني فجأة ولم أقل شيئاً .

" مهما كان الحال ، ربما لم تأمن عليها في هذا المكان فأخذتها لحجرتها التي فتشناها جيداً من قبل ، ربما فعلت ذلك بعد أن قررت الانتحار " .

قلت بصوت عال : " لا أصدق ذلك " .

من المستحيل أن أصدق أن الآنسة جونسون اللطيفة دقت رأس السيدة ليدنر بهذه الأداء لتقتلها . لا يمكنني حتى تخيل ذلك ! لكن الدليل هنا كان واضحًا - نوبات البكاء ليلاً مثلاً - فأنا أيضاً شعرت أنها نادمة على شيء ما - لكن لم أفكر في أنها نادمة على الجريمة !

قال الكابتن ميتلاند : " لا أعرف ماذا أقول ، ويجب معرفة سر اختفاء رجل الدين الفرنسي أيضاً ، ورجالي يبحثون عنه في كل مكان خشية أن يكون قد ضرب على رأسه وتدحرج جسمه في ترعة " .

قلت لهم : " لقد تذكرت شيئاً ! "

نظر الجميع نحوي بتساؤل .

" بالأمس عصراً كان يسألني عن الرجل الأحول الذي فحص النافذة ، وسألني عن الموطئ الذي كان يقف فيه

فى الطريق ، وقال إنه سيذهب ليفحص المكان ، وقال إنه قرأ فى القصص البوليسية أن الجانى يترك دليلاً مهماً فى مسرح الجريمة "

قال الكابتن ميتلاند : " فلتحل علىّ اللعنة لو كان هذا هو ما يفعله المجرمون الذين أطاردهم . إذن كان هذا ما يسعى إليه أليس كذلك ! لا أظنه وجد شيئاً . هل تصادف أنه والآنسة جونسون وجدا دليلاً يظهر شخصية القاتل فى ذات الوقت ؟! " .

ثم قال بغيظ : " الرجل الأحول . إن قصة هذا الرجل لاتزال بها العديد من التفاصيل المبهمة . لا أدرى لماذا لم يستطع رجالى أن يمسكوا به حتى الآن ؟! "

قال بوارو بهدوء : " لأنه ليس أحول فى الأساس "

" أتظنه خدعنا ؟ لم أكن أعلم أن التظاهر بالحول ممكن " .

قال بوارو ببساطة : " التظاهر بذلك سهل جداً ومفيد "

" نعم بالقطع هو مفيد للغاية ، إننى مستعد لأن أدفع ثروتى لمن يدلنى على مكانه سواء كان أحول أم لم يكن ! "

قال بوارو : " لابد أنه هرب للحدود السورية الآن "

" لقد حذرنا تل كوتشك وأبو كمال ـ وكل مواقع الحدود بالفعل "

" ربما هرب عبر التلال فى الطـرق التـى تـذهب فيهـا الشاحنات ذات البضائع المهربة " .

صاح الكابتن ميتلاند فى ضجر وقال :

" إذن لنرسل تلغرافاً لدير الزور ؟ "

" فعلـت ذلـك بـالأمس ـ وحـذرتهم ليبحثـوا عـن أى رجلين لهما جوازات سفر مزيفة " .

حدق له الكابتن ميتلاند بإعجاب وقال :

" فعلت ذلك ؟ قلت رجلين ؟ " .

أومأ له بوارو وقال :

" أظن أن الرجلين قد هربا ومتورطان فى الجريمة "

" يدهشنى يا سيد بوارو ما تخفيه من أمور كـثيرة فـى جعبتك " .

هز بوارو رأسه بالنفى وقال :

" كلا حقاً ، لقد خطرت لى هـذه الفكـرة هـذا الـصباح عندما شاهدت شروق الشمس الجميل "

لا أظن أن أحدنا لاحظ دخول الـسيدة ميركـادو . لابـد أنها تسللت عندما اندهـشنا مـن الحجـر ذى بقعـة الـدماء الرهيبة .

صاحت بدون سابق إنذار كالطائر المذبوح :

" يا إلهى ! فهمت الآن ! كان رجل الدين لافينى هو القاتل ! إنه مجنون ومتعصب دينياً ويظن النساء خاطئات بـالفطرة ، ويريـد قتلـهم جميعـاً ، الـسيدة ليـدنر الآنـسة جونسون ـ ثم يأتى دورى ... "

صاحت بجنون وأمسكت بمعطف د. ليدنر بعد أن ركضت عبر الحجرة وقالت :

" لن أظل هنا ولو ليوم آخر ؛ فالخطر فى كل مكان يحدق بى ، لابد أنه يختبئ فى مكان ما ينتظر الفرصة المواتية لقتلى ؟ "

ثم فتحت فمها وصرخت مرة أخرى .

أسرعت أنا نحو الدكتور ليدنر الذى تقبض عليه بمعصميها ، ثم لطمت خديها لتفيق من الصدمة وساعدتها لتجلس بمساعدة د. رايلى .

قلت لها " لن يقتلك أحد ، سنهتم بالأمر ، اجلسى واحتشمى "

لم تعد تصرخ وأغلقت فمها ، ونظرت لى بعيون فزعة غبية .

قاطعنا حدث آخر ؛ فقد فتح الباب وجاءت شيلا رايلى .

كان وجهها شاحباً وجاداً ، وجاءت إلى بوارو مباشرة وقالت : " لقد ذهبت لمكتب البريد مبكراً وكان هناك تلغراف لك يا سيد بوارو فأحضرته لك "

" شكراً يا آنستى " .

أخذه منها وفتحه وهى تراقب وجهه .

لم يتغير وجهه ألبتة وهو يقرأ التلغراف ثم طواه ووضعه فى جيبه .

كانت السيدة ميركادو تراقبه وقالت بصوت به حشرجة : " هل التلغراف من أمريكا ؟ "

" كلا يا سيدتى من تونس " .

حدقت إليه لبرهة ولم تفهم شيئاً وتنهدت تنهيدة طويلة وتراجعت للخلف على مقعدها .

ثم صاحت : " كنت محقة ، رجل الدين لافينى هو القاتل ، وكان دائماً مريباً . قال لى ذات مرة أمراً غريباً ـ ربما كان مجنوناً ... " ، ثم صمتت لبرهة وقالت : " حسناً سأهدأ لكنى سأغادر المكان وسأذهب مع زوجى للنوم فى الفندق "

قال بوارو : " صبراً يا سيدتى سأشرح كل شىء "

نظر إليه ميتلاند فى فضول وصاح :

" هل تظن أنك المسئول عن الموضوع كله ؟! "

انحنى له بوارو كأنه يمثل دوراً مسرحياً ؛ مما أثار حنق الكابتن ميتلاند .

صاح ميتلاند : " هيا تحدث بما تعرفه يا رجل ! "

لكن ليست هذه طريقة بوارو لإدارة الأمور ، وفهمت أنه يريد الاستعراض لغرض ما فى نفسه . تساءلت هل فعلاً يعرف الحقيقة ويتظاهر بالعكس .

قال بوارو لـ د. رايلى :

" هلا استدعيت الباقين من فضلك ؟ "

قفز د. رايلى من مقعده وذهب للفور ليقوم بالأمر . فى خلال دقيقتين جاء باقى أفراد البعثة فى طابور إلى

الحجرة : رايتر أولاً ثم إيموت ثم كولمان ثم كارى ثم ميركادو .

مسكين السيد ميركادو كان شاحباً كالموت وكأنه حطام إنسان ، ربما كان يخشى أن يتهمه أحد فى أنه ترك الكيماويات الخطيرة بإهمال فى متناول أى شخص .

جلس الجميع على المائدة مثلما كان الحال لدى أول يوم لوصول بوارو . تردد كولمان وإيموت قبل الجلوس ونظرا لشيلا التى أعطتهم ظهرها ونظرت من النافذة .

قال كولمان : " إليك مقعدًا يا شيلا " .

قال لها إيموت بصوت هادئ ولهجة جميلة : " هل جلست ؟ " .

استدارت وحدقت لكليهما ؛ حيث أشار كل منهما لها بمقعد . تساءلت أى مقعد كانت ستقبل .

فى النهاية لم تقبل كليهما .

قالت بوقاحة : " سأجلس هنا وجلست على رأس المائدة بجوار النافذة " .

" سأجلس هنا إن كان كابتن ميتلاند لا يمانع ؟ "

هم ميتلاند بالكلام لكن منعه بوارو .

قال بوارو : " ابقى كما تشائين يا آنستى ؛ فمن الضرورى أن تظلى هنا " .

رفعت حاجبيها وقالت : " ضرورى ؟ "

" نعم هذا ما قلته ، وهناك أسئلة سأطرحها عليك "

رفعت حاجبيها مرة أخرى ولم تحر جواباً ، لكنها نظرت من النافذة وكأنها عاقدة العزم على تجاهل ما يحدث خلفها .

صاح ميتلاند : " لنعرف الحقيقة الآن ؟ " .

كان يتحدث وقد نفد صبره . إنه رجل أفعال لا أقوال . في هذه اللحظة شعرت برغبته الجامحة في الخروج ليفعل أى شيء ـ يدير البحث عن جثة لافيني أو يرسل الفرق للقبض عليه .

نظر نحو بوارو بشيء أقرب للكراهية وشعرت أنه على وشك القول : " لو عندك شيء لماذا لا تقوله ؟! " لكنه لم يقل شيئاً .

نظر إلينا بوارو جميعاً وكأنه يقيمنا ، ثم قام فجأة .

لم أعرف ماذا أتوقع منه ـ بالتأكيد سيتحدث بأسلوب مسرحي لأنه يليق به .

لكني لم أتوقع أن يتحدث بالعربية .

قال عبارة دينية للمسلمين .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

وترجمها لنا بالإنجليزية .

الفصل ٢٧

بداية رحلة

قال بوارو : " إن هذه العبارة " بسم الله الرحمن الرحيم " تقال قبل بداية أى رحلة . وحقاً سنبدأ الآن رحلة إلى الماضى ، رحلة لمكان غريب فى النفس البشرية "

لم أشعر بسحر الشرق إلا فى هذه اللحظة . شعرت بالفوضى فى كل مكان . لكن بسبب كلمات بوارو رأيت رؤية غريبة أمام عينى . فكرت فى كلمات مثل " سمرقند " و " أصفهان " ـ وتجارٍ عرب لهم لحى طويلة ـ وجمال منحنية ويضعون حبالاً حول رءوسهما ـ ونساء مخضبات شعورهن بالحناء وكذلك على وجوههن رسومات بالحناء وينحنون على نهر دجلة ويغسلون الملابس ، وسمعت الغناء الغريب الجميل وسمعت صوت هدير ساقية الماء .

كلها أمور سمعت عنها ورأيتها ولم أفكر كثيراً فيها ، لكنها بدت *مختلفة* الآن تماماً ـ كشىء قديم ممتلئ بالأتربة

فحصته تحت الضوء ووجدت ألوانه الثرية لطرازه القديم ...

ثم نظرت حولى في الحجرة التى نجلس بها وشعرت علىٍ نحو غريب أن بوارو على حق ـ نحن فى بداية رحلة معاً ، لكن كل فى طريقه .

نظرت لكل واحد منا وكأنى بطريقةٍ أو بأخرى أراه لأول مرة ـ ولآخر مرة ـ مما بدا شعوراً غبياً لكننى شعرت به رغم كل شيء .

كان السيد ميركادو يعقد أصابعه فى عصبية ـ وعيناه الواسعة من الضوء المبهر تحدقان فى بوارو . وكانت زوجته تنظر إليه ، وكأنها نمر يهم بالقفز على فريسته بعد مراقبته . بدا د. ليدنر منزوياً على نحو غريب ، ربما الصدمة الأخيرة دمرته نفسياً . كأنه لم يكن فى الحجرة معنا أساساً بل في ملكوت خاص به . كان السيد كولمان يحدق فى بوارو مباشرة ، وفمه مفتوح قليلاً وعيناه جاحظتان وبدا كالأحمق . وكانٍ السيد إيموت ينظر لما بين قدميه ولم أر تعابير وجهه جيداً . بينما بدت على السيد رايتر الحيرة ، وكان فمه مدلى للأمام وبدا مظهره كحيوان نظيف أكثر من أى وقت مضى . بينما ظلت الآنسة رايلى تحدق من النافذة بثبات . لم أعرف فيما كانت تفكر أو تشعر ، ثم نظرتٍ نحو السيد كارى ، وآلمنى مظهر وجهه واتجهت بعيداً عنه . كان الجميع حاضرين ، وشعرت

على نحو ما أن بوارو عندما ينتهى من كلامه ستتغير كل حياتنا ...

كان شعوراً مريباً ...

كان صوت بوارو رخيماً كالنهر المنساب فى سلاسة ليصب فى البحر .

قال : " فى البداية أدركت أنه لفهم هذه القضية لا يجب أن أبحث عن علامات خارجية ، بل تضارب وتناقض الشخصيات وأسرار القلوب .

على الرغم من أننى أقول إننى وصلت لحل القضية ، فإننى بلا دليل مادى على ذلك ؛ لأن ما سأقوله هو الترتيب المنطقى للحقائق فقط .

وهذا بالنسبة لى حل مناسب ومقنع "

ثم صمت لبرهة وقال :

" سأبدأ رحلتى بلحظة وصولى هنا لتولى حل القضية ـ عندما قدمت لى الجريمة لأحقق فيها . كل قضية فى رأيى لها شكل محدد خاص بها . كان شكل هذه القضية فى رأيى يدور حول الشخصية الخاصة بالسيدة ليدنر . حتى عرفت بالضبط أى نوع من النساء كانت ، ولم أكن لأعرف سبب قتلها ومن قتلها .

هذه نقطة البداية ـ شخصية السيدة ليدنر .

كانت هناك نقطة نفسية مثيرة ـ حالة التوتر السائدة وسط أعضاء البعثة ، وشهد بها الجميع من الشهود ـ

حتى من خارج أفراد البعثة ـ وضعت ذلك فى اعتبارى رغم أنه بالكاد نقطة بداية .

بدت لى الفكرة المقبولة هى أن نتيجة تأثير السيدة ليدنر على أعضاء البعثة ، ولأسباب سألخصها لاحقاً ، قتلت لسبب ظل مجهولاً وغير مقبول .

فى البداية ، ركزت فقط تمامًا على اكتشاف شخصيتها ولدىَّ طرق كثيرة لفحص وتقييم الشخصية . كانت هناك ردود أفعال لكل ما تفعله لدى أعضاء البعثة مختلفى الطباع والشخصيات ، ومن هنا قمت بتجميع معلوماتى بشكل محدود ، لكنى علمت حقائق مهمة .

كانت أذواق السيدة ليدنر بسيطة وقليلة ، ولم تكن تحب البذخ . من ناحية أخرى كانت تطرز أشكالاً رائعة وجميلة جداً ؛ مما يؤكد على ذوقها الفنى الرفيع ، وكتب مكتبتها فى حجرة نومها أكدت لى على جوانب من شخصيتها . كانت ذكية جداً وربما فى الأساس أنانية تحب ذاتها جداً .

فهمت أن اهتمامها الأول هو لفت أنظار الرجال إليها ـ وكأنها امرأة شهوانية ، لكنى اكتشفت أن هذا خطأ .

لاحظت هذه الكتب فى حجرة نومها : " الإغريق " ، " نظرية النسبية " ، " قصة حياة الليدى هستر ستانهوب " ، " العودة إلى ميثو سلاه " ، " ليندا جوندون " ، " كروثرين " .

كانت مهتمة بالثقافة والعلوم الحديثة - هذا يظهر جانباً ثقافياً مميزاً تتمتع به . حتى رواياتها تعبر عن تعاطفها مع المرأة الحرة المستقلة التى لا يعوقها فخ أى رجل . كانت مهتمة على ما يبدو بقصة حياة وشخصية " الليدى هيستر ستانهوب " ، وحتى " ليندا جوندون " تعتبر دراسة رائعة عن تقدير جمال المرأة . رواية " كروثرين " تعبر عن دراسة لشخص فردى متحمس ، ورواية " العودة إلى ميثو سلاه " تعبر عن حب الجانب العقلانى لا العاطفى من الحياة . بالتالى بدأت أفهم شخصية الراحلة .

ثم درست ردود أفعال من كانوا حولها مباشرة حتى اكتملت صورتى عن الراحلة .

اتضح لى مما قاله د. رايلى وآخرون أن السيدة ليدنر كانت تتمتع بجمال وسحر صاخب أحياناً يحمل جمالاً أو بدونه حقاً . غالباً مثل هذا النوع من النساء يترك أثراً لأحداث عنف خلفهن ويجلبن الكوارث على غيرهن . أو أحياناً على أنفسهن .

فهمت أنها كانت تعشق نفسها وتستمتع بإحساس القوة أكثر من أى شيء ، ويجب أن تظل محور الكون لمن حولها من الرجال والنساء ويجب أن يعترفوا بتأثيرها . كان ذلك سهلاً مع البعض مثل المرضة ليذرين مثلاً بكرمها وخيالها الرومانسى وبالتالى رضخت لها بكل تقدير وحب . لكن كانت هناك طريقة أخرى تمارس بها السيدة

ليدنر تحكمها ـ بالخوف . عندما لم يكن التركيز عليها ، كانت بسهولة تلجأ لجانب قاس فى طبيعتها . أكرر وأؤكد أن هذه القسوة ليست على مستوى العقل الواعى بل بشكل غير واعٍ ، وطبيعى بدون تفكير ، وكأنه سلوك تلقائى وغريزى كالقط نحو الفأر . على مستوى العقل الواعى ، كانت طيبة وتترك ما فى يدها لتساعد غيرها وتراعى شعورهم .

كانت أول مشكلة يجب أن نحلها هى خطابات التهديد المجهولة . من كتبها ولماذا ؟ سألت نفسى هل كتبتها *بنفسها* أم لا ؟

للإجابة عن هذا السؤال كان يجب أن أعود لطريق طويل ؛ حتى تاريخ السيدة ليدنر مع زواجها الأول لنبدأ الرحلة كما يجب ـ رحلة حياة السيدة ليدنر .

يجب أن ندرك فى البداية أن حياة لويز ليدنر طوال هذه السنوات وشخصيتها لم تتغير حتى الوقت الحالى .

كانت طبعاً شابة وكان جمالها أخاذاً ـ يؤثر على نفسية الرجال وحواسهم ، وليس مجرد جمال مادى ـ وكانت بالطبع أنانية تحب ذاتها فقط .

مثل هؤلاء النساء ينفرن طبيعياً من فكرة الزواج وقد يجذبهن الرجال لكنهن يفضلن الانتماء لذواتهن فقط ، وكأنها كانت " السيدة الجميلة بلا رحمة " كما فى الأساطير ، لكن السيدة ليدنر تزوجت ، ولنفترض أن زوجها كان له شخصية مميزة وقوية .

ثم انكشف لها أنه كان جاسوساً وخائناً وقالت للممرضة إنها أبلغت عنه الحكومة .

وجدت دلالة نفسية في سلوكها . لقد أخبرت الممرضة بأنها كانت فتاة وطنية مثالية وشعورها هذا هو سبب سلوكها في الإبلاغ عن زوجها الأول . لكن من المعروف أننا قد نخدع أنفسنا ونعتقد في دوافع خيالية لأفعالنا ، بالتالي تخيلت أنها فعلت ذلك بدافع الوطنية ، لكنها فعلت ذلك لتتخلص من زوجها ، كرغبة غير معترف بها ! كانت تكره أي سيطرة عليها وكأنها مملوكة للرجل - فقد كانت لا تحب التبعية لأحد واتخذت الوطنية ذريعة لحريتها .

لكن تحت مستوى العقل الواعي كان هناك شعور بالذنب يؤلمها ، ولعب دوره في مستقبلها .

ها هنا نأتي لمسألة الخطابات . كانت السيدة ليدنر جذابة لكل الرجال ، وكلما انجذبت لبعضهم يظهر خطاب تهديد لتنتهي العلاقة .

من كتب الرسائل ؟ فريدريك بوسنر أم أخوه ويليام ؟ أم السيدة ليدنر *نفسها* ؟

هناك دليل على كلا الاحتمالين . كان من الواضح أن السيدة ليدنر من نوع النساء الذي يعشق لفت أنظار الرجال ، كانت هذه رغبة ملحة ومرضية من جانبها إلى درجة الوسواس . ربما كان زوجها الأول حياً يرزق وزوجته لويز تهمه أكثر من أي شيء في العالم ! لقد

خانته من قبل ولن يقترب منها مباشرة ، لكنه قرر ألا تكون لغيره ، وفضل أن تموت على ألا تتزوج بغيره .

من ناحية أخرى ، لو كانت السيدة ليدنر تكره على مستوى العقل الباطن أن ترتبط برباط الزواج ، من الممكن أن تكون قد ابتكرت موضوع الرسائل لتخلص نفسها من أى موقف صعب . كانت صيادة وبمجرد أن تحصل على فريستها لا تحتاج إليها بعد الآن ! لقد كانت تتوقف للدراما فى حياتها وتختلقها بشكل مرض ومقنع - زوج يأتى من الأموات ليمنعها من الزواج . كل هذا أشبع رغباتها العميقة . بدا لنفسها كشخصية رومانسية وشخصية بطلة مأساوية ، وهذا مكنها من عدم الزواج مرة أخرى .

استمر الحال لبضع سنوات ، وكل مرة يأتى احتمال الزواج - يصلها خطاب تهديد بالقتل .

لكن حدث تحول مثير . عندما وصل د. ليدنر فى المشهد - ودخل حياتها - لم تتلق أى خطاب تهديد ! لم يَحُلْ شىء دون أن تكون السيدة ليدنر . ولم يصلها الخطاب إلا بعد الزواج .

ونسأل أنفسنا على الفور لماذا ؟

لنفحص كل نظرية بالترتيب .

.... إن كانت السيدة ليدنر تكتب هذه الخطابات لنفسها فهذا يوضح الأمر بسهولة : كانت تريد الزواج من د. ليدنر وقد حدث . لكن السؤال التالى هو : لماذا أرسلت

لنفسها الخطابات لاحقاً ؟ هل حبها للدراما كان قويًا لا يمكن كبته ؟ لماذا خطابين ؟ ولماذا لم تصلها أية خطابات لمدة عام ونصف قبل وصول آخرها .

لنفحص النظرية الأخرى . لنفترض أن زوجها السابق فريدريك بوسنر هو كاتب الخطابات (أو أخاه) فلماذا وصل خطابه بعد الزواج ؟ غالباً لم يرغب فريدريك فى أن تتزوج لويز من د. ليدنر ، لماذا لم يمنع الزواج ؟ لقد نجح فى ذلك عدة مرات من قبل ، لماذا انتظر بعد إتمام الزيجة ليواصل تهديده ؟

الإجابة غير المرضية هو أنه لم يتمكن لسبب ما من إعلان اعتراضه مبكراً ، ربما كان فى السجن أو بالخارج .

ثم فحصنا موضوع محاولة التسمم بالغاز . غالباً لم يكن من المحتمل أن من فعل ذلك شخص من الخارج . ربما قامت بذلك السيدة ليدنر نفسها لأن د. ليدنر ليس لديه دافع ليفعل ذلك ، وبالتالى هى التى فعلت وخططت لهذا .

لماذا ، من أجل مزيد من الدراما ؟

بعد ذلك ظلت فى سعادة لمدة ثمانية عشر شهراً مع زوجها وتستمتع بحياة هادئة ولم تتلق خطابات تهديد ، ورجحا ذلك لأنهما غادرا البلاد بدون ترك أثر ، وهذا تفسير سخيف وخاطئٍ . فى هذه الأيام لم يكن مغادرة البلاد إجراء مناسباً للهرب وخاصة فى حالة عائلة

ليدنر ؛ لأن فريدريك بوسنر كان سيعرف عنوانهما من المتحف الذى أرسل البعثة بسهولة .

إن فرضنا أنه كان تحت ظروف حالت دون ملاحقة الزوجين لم يكن هناك ما يمنعه من مواصلة إرسال الخطابات ؛ لأن هذا ما يفعله أى رجل مستاء وموسوس مثله .

لكن لم نسمع عنه حتى مرور عامين !

لماذا استمرت الخطابات بعد هذه المدة ؟

سؤال صعب جداً . ربما كانت السيدة ليدنر تشعر بالملل وأرادت المزيد من الدراما ؛ ولكنى غير مقتنع بهذا التفسير لأنه بدا نوعاً من الدراما الوقحة الفجة التى لا تناسب رقى شخصيتها المثقفة .

بعد التفكير فى الأمر نجد أن هناك احتمالين :

(١) كتبت السيدة ليدنر الخطابات بنفسها (٢) كتبها فريدريك بوسنر أو أخوه ويليام (٣) كانت خطابات مزيفة وكتبها طرف ثالث يعلم بأمر الرسائل القديمة .

اتجهت بتفكيرى لمن حول السيدة ليدنر هنا .

فحصت كل الفرص المتاحة لكل عضو من البعثة ليرتكب الجريمة .

فى البداية ، كان يبدو أن أى واحد منكم هو القاتل (حسب الفرص المتاحة) عدا ثلاثة أشخاص .

د. ليدنر لم يغادر السطح بشهادة الجميع . وكان السيد كارى فى الموقع والسيد كولمان فى الحسنية .

لكن عدا عذر د. ليدنر ، لم تكن باقى الأعذار مقنعة ، لذا كان بلا شك فى السطح ولم ينزل منه إلا بعد وقوع الجريمة بساعة وربع .

لكن هل من الأكيد أن كارى كان فى الموقع طوال الوقت ؟

وهل كان السيد كولمان فى الحسنية وقت وقوع الجريمة ؟ " .

احمر وجه بيل كولمان وفغر فاه ثم أغلقه بتوتر شديد فى حين أن تعبيرات وجه كارى لم تتغير .

واصل بوارو حواره :

" فكرت فيمن لديه دافع قوى لقتلها . الآنسة رايلى لديها الذكاء والشجاعة وقسوة القلب ، وعندما تحدثت لى عن الراحلة مزحت معها قائلاً إننى أتمنى أن يكون لديها عذر لعدم تواجدها فى موقع الجريمة . أعتقد أنها كانت على وعى برغبتها فى القتل . ثم كذبت فى الحال بلا مبرر كذبة سخيفة وقالت إنها لعبت التنس فى النادى وقت وقوع الجريمة . وعلمت من حوار عابر مع الآنسة جونسون أنها كانت قريبة من المنزل وقت الجريمة ، وجاء فى ذهنى أنها إن لم تكن القاتلة فإنها قد تخبرنا بمعلومات مفيدة " .

توقف عن الكلام وقال بهدوء " هلا أخبرتنا يا آنسة رايلى عما رأيته وقت وقوع الجريمة ؟ " .

لم تجب الفتاة على الفور بل كانت لاتزال تنظر من النافذة ثم قالت بصوت هادئ ومحسوب :

" ركبت السيارة حتى موقع الحفر بعد الغداء وعدت في حوالى الساعة ٤٥ ١ "

" هل وجدت أصدقاءك هناك ؟ "

" كلا لم يكن هناك سوى العربى رئيس العمال ".

" ألم تجدى السيد كارى ؟ " .

" كلا "

" غريب ، ولم يجده السيد فيرييه عندما ذهب إلى هناك في نفس الموعد "

نظر بوارو لكارى ليشجعه على الكلام ، لكن الأخير لم يتحرك أو يتحدث .

" هل لديك تفسير لهذا يا سيد كارى ؟ " .

" ذهبت للنزهة ولم يحدث أى شيء "

" فى أى اتجاه تنزهت ؟ " .

" بامتداد ومحاذاة النهر " .

" هل عدت نحو المنزل ؟ " .

" كلا " .

قالت شيلا : " ربما ذهبت فى انتظار شخص ما لم يأت "

نظر نحوها ولم يجبها .

لم يصر بوارو علي الكلام فى هذه النقطة وقال للفتاة :

" هل رأيت شيئاً آخر يا آنستى ؟ " .

" نعم ، لم أكن بعيدة عن المنزل ورأيت الشاحنة الخاصة بالبعثة مسحوبة في الوادى وكان أمراً غريباً فى رأيي ، ثم رأيت السيد كولمان يمشي وينظر فى الأرض وكأنه يبحث عن شيء ما " .

صاح كولمان : " لكن أنا ـ " .

أوقفه بوارو بحركة تدل على السلطة .

" انتظر . هل تحدثت معه يا آنسة رايلى ؟ " .

" كلا "

" لماذا ؟ "

قالت ببطء " لأنه كان من وقت لآخر ينظر حوله بشكل محموم ـ مما جعل الشك يساورني ، فابتعدت ولا أظنه رآني ، لم أكن قريبة منه وكان هو منهمكاً فيما يفعله "

صاح السيد كولمان ولم يستطع أحد إيقافه هذه المرة أكثر من ذلك : " لكن لديّ تفسير سليم لما حدث ـ لكنه شيء غريب يثير الريبة . فى الواقع وقع منى ختم أثرى أسطوانى من جيب معطفى لم أضعه فى حجرة التحف ونسيت أمره ، ثم اكتشفت أنه ضاع من جيبى ووقع فى مكان ما . لم أرغب فى أن يتشاجر أحد معى بسبب ذلك وقررت البحث عنه في هدوء لأننى متأكد من أنه وقع منى عبر الطريق بين موقع الحفر والمنزل . أسرعت لعملى فى الحسنية وأرسلت غلاماً للتسوق وعدت مبكراً وأخفيت الشاحنة حتى لا يرانى أحد وأنا أبحث عن الختم ،

واستمر بحثى ساعة وأكثر ولم أجده ! وظن الجميع أننى عدت بعد ذلك فى الوقت الذى تعرفه "

قال بوارو برقة " ولم تخبر أحداً بحقيقة الأمر ؟ "

" بالطبع لا ، فى ظل هذه الظروف "

" بالتأكيد "

" حسناً " لا داعى للمشاكل " هو شعارى فى الحياة ، لكن لا تتهمنى بكل شىء . لم أدخل الحديقة ولا يمكن لأحد أن يقول إنه رآنى هناك "

قال بوارو : " بالطبع كانت تلك نقطة صعبة ؛ لأن الخدم شهدوا بعدم دخول أحد للحديقة من الخارج من الغرباء ، وأقسموا على ذلك لأنه لم يسألهم أحد هل دخل أحد أعضاء البعثة أم لا "

" إذن اسألهم وأنا مستعد لالتهام قبعتى إن رأونى أو رأوا السيد كارى " .

" هذا يثير قضية مهمة . الخدم قد يلاحظون شخصاً غريباً دون شك ـ لكن ليس أحد أعضاء البعثة ؟ لأنهم يمرون طوال الوقت كل يوم ، بالكاد يلاحظهم الخدم . ربما يكون السيد كولمان أو السيد كارى دخلا دون أن يتذكر ذلك الخدم "

صاح السيد كولمان : " هراء ! " .

قال بوارو بهدوء : " غالباً لن يلاحظ أحد مجرد دخول السيد كارى ، ولكن مجىء السيد كولمان من

الحسنية على قدميه بدلاً من العربة سيلفت الأنظار لأن الكل يتوقع وصوله بالعربة " .

قال كولمان : " بالتأكيد كنت سأعود بالعربة ! "

رفع كارى رأسه وعيناه الزرقاوان يحدقان نحو بوارو . وقال : " هل تتهمنى بالقتل يا سيد بوارو ؟ " .

كان صوته هادئاً جداً لكن يحمل لهجة خطيرة بالكاد واضحة .

انحنى بوارو له وقال :

" أنا فقط آخذكم فى رحلة نحو الحقيقة ـ لدى حقيقة واحدة تقول إن الكل كان متواجداً وقت وقوع الجريمة ـ كل أعضاء البعثة وحتى المرضة من المشتبه فيهم لأن القاتل من بينهم . بات أمراً ثانوياً استبعاد احتمال عدم قيام أحد بالجريمة .

فحصت الوسيلة والفرصة والدافع ، ووجدت أنها عناصر متوافرة لكم جميعاً وخاصة الدافع ؟ "

صحت به : " ليس أنا يا سيد بوارو ! أنا غريبة هنا وحضرت منذ أيام ! "

" حقاً يا أختاه ، لم تخش السيدة ليدنر سوى من الغرباء ! "

" لكن ... لكن لماذا ؟ د. رايلى يعرفنى ! وهو من رشحنى للعمل هنا ! " .

" ما كم معلوماته عنك ؟ كلها معلومات على لسانك أنت . لقد قابلت مدعين ومجرمين تحت ستار التخفى كممرضات من قبل "

بدأت أقول له " يمكنك الاستعلام عنى فى معهد سانت كريستوفر للتمريض و ـــ " .

" حالياً الزمى الصمت ، من الصعب مواصلة كلامى وأنت تقولين ذلك . أنا لا أقول إننى أشك فيك الآن ، بل أقول إن الشك يحيط بكل المتواجدين ، وهناك مدعيات من النساء القتلة واللصوص كثيرات ونجحن فى خداع الكل ، وربما تعملين لحساب ويليام بوسنر "

هممت بأن أوبخه وأوضح له أنه مخطئ . نساء مدعيات ! لكنه رفع صوته وقال بحزم وبسرعة :

" سأكون صريحا وقاسياً . لنفحص كل شيء وكل مكان وكل شخص .

سأبدأ بفحص كل الناس وعلى رأسهم د. ليدنر ؛ فهو كان عاشقاً لزوجته وحياته مدمرة بالحزن البالغ . ذكرت شكوكى بالفعل فى الممرضة ليذرين ، قد تكون مدعية لكنها أثبتت أنها ممرضة تتمتع بالكفاءة .

قاطعته وصحت به " شكراً على لا شيء ! "

توجهت شكوكى نحو آل ميركادو . كلاهما فى حالة توتر وقلق بالغ . فى البداية هل تتمكن السيدة ميركادو من ارتكاب جريمة قتل ، وإن حدثت فلماذا ؟

لكن جسمها هزيل ولا يمكن أن يكون لها القوة لكى تقتل السيدة ليدنر بحجر ثقيل ، لكن إن كانت السيدة ليدنر جاثية على ركبتيها ؛ فقد يكون ذلك ممكناً . هناك طرق تنحنى بها النساء لبعضهن البعض ليس بشكل عاطفى ! بل مثلاً لضبط حياكة الملابس وشبك الدبابيس فى التنورات وأطراف الثياب .

لكن أين الدافع ؟ كانت المرضة قد أخبرتنى بنظرات الغضب من السيدة ميركادو نحو السيدة ليدنر ؛ لأن زوجها وقع ورضخ لتأثير سحر السيدة ليدنر . لكن الحل لا يكمن فى الغيرة فقط . لا أظن أن السيدة ليدنر كانت مهتمة بالسيد ميركادو ـ ولا شك فى أن السيدة ميركادو تعرف ذلك . قد تغضب منها لكن القتل يحتاج لاستفزاز آخر ، لكن السيدة ميركادو لها طابع الأمومة الشرسة وعلمت ذلك من معاملتها لزوجها . فهى تحبه وتدافع عنه بكل ما أوتيت من قوة وتتخيل أنها قادرة على ذلك وكانت دائماً تأخذ حذرها وفى حالة توتر عام . وخاصة توترها إزاء زوجها . درست السيد ميركادو جيداً وعرفت وتأكدت من مشكلته . إنه يدمن المخدرات ـ وفى مرحلة متقدمة من ذلك .

لا داعى للقول بأنكم تعملون تحت تأثير المخدرات التى تجعل الحس الأخلاقى يتضاءل .

تحت تأثير المخدرات قد يقوم الرجال بفعل ما لا يحلمون أنهم يتمكنون من فعله ، وحتى قد يقتل ولا يكون

مسئولاً عما فعله . قوانين الدول المختلفة تختلف فى هذه الحالة ، لكن سمة المجرم المتعاطى للمخدرات هو الثقة الشديدة فى مهارته .

ربما هناك ماض إجرامى مشين له وأرادت زوجته إخفاءه حتى لا يتدمر مستقبله وبالتالى كانت تأخذ حذرها دائماً ، وكانت تعمل حساب السيدة ليدنر الحادة الذكاء التى تعشق القوة ، التى ربما جعلت المسكين التعس يثق بها وبالتالى تشبع رغبتها لأنها كانت تحب أن تعرف أسرار الناس التى إن انكشفت سيكون لها آثار مأساوية .

بهذا الدافع يكمل الزوجان بعضهما البعض ويشتركان فى الجريمة ! كان لديهما فرصة عند خلو الحديقة لمدة عشر دقائق ! "

صرخت السيدة ميركادو : " هذا ليس صحيحاً ! " .

لم يعرها بوارو أى اهتمام وقال :

" ثم فكرت فى الآنسة جونسون هل تتمكن من القتل ؟

فكرت فى الأمر . كانت سيدة لها إرادة قوية وتحكم فى الذات من النوع الحديدى ، ومن مثلها يكبت نفسه طوال الوقت وقد ينهار السد فى يوم ما ! لكن إن ارتكبت هذه الجريمة يكون ذلك لسبب متعلق بالدكتور ليدنر . لقد كانت مقتنعة أن زوجته تفسد حياته وهى تغار منها ، وربما انتهزت الفرصة مع وجود الدافع وقامت بالجريمة .

نعم كانت من المشتبه فيهم بقوة .

يبقى لدينا ثلاثة شباب .

أولاً كارل رايتر ، سنه مناسب لكى يكون ويليام بوسنر ، وإن كان هو إذن فيا له من ممثل بارع ! لكن لو لم يكن كذلك ، فهل لديه دافع للقتل ؟

بالنسبة لوجهة نظر السيدة ليدنر ، كان رايتر ضحية سهلة لألاعيبها . كان على استعداد لأن يركع تحت قدميها ، وكانت هى تكره وتحتقر ذلك ؛ لأن الخنوع التام يظهر أسوأ جوانب المرأة . كانت تعبر عن قسوتها فى تعاملها معه عن عمد . كانت تجعل حياته جحيماً بتعليقاتها السلبية .

توقف فجأة عن الكلام وقال للشاب بشكل شخصى وحميم كأنهما صديقان :

" يا صديقى ، ليكن هذا درساً لك ، تصرف كالرجال ! فالخنوع ضد طبيعة الرجل ! معاملة المرأة بفظاظة أفضل من الخنوع تحت أقدامها كلما نظرت نحوك ! " .

ثم ترك لهجته الخاصة وعاد للهجة الخطابة :

" هل اندفع رايتر بشعوره الجارف بالظلم والعذاب وتحول لمعذبته وقتلها ؟ المعاناة تؤثر على نفسية الرجال ولست متأكداً هل حدث ذلك فعلاً ؟

ثانياً يأتى ويليام كولمان ، سلوكه مريب كما قالت الممرضة ، وقد يكون المجرم المتخفى فى شكل رجل مرح لكنه فى الواقع مثلاً يمكن أن يكون ويليام بوسنر ،

لا أظن أن لكولمان طابع الشخصية الذى يؤدى للقتل ، ربما كانت أخطاؤه بها اتجاه آخر ستخبرنا الممرضة به "

لم أدر لماذا يقول بوارو ذلك ، فأنا متأكدة من أنه لم يبد على وجهى التفكير فى ذلك .

قلت مترددة : " أظن أن كولمان قال عن نفسه ذات مرة إنه يصلح ليكون مزيفاً بارعاً "

قال بوارو : " نقطة جيدة ، ربما رأى وسائل التهديد وقلد الخط بسهولة " .

صاح كولمان : " أنتم تلفقون لى التهم ! "

صاح بوارو مكملاً حواره

" من الصعب التحقق هل هو ويليامٍ بوسنر أم لا ، لكن كولمان تحدث عن راعٍ له (وليس أباً) ولا شىء يحول دون كونه ويليام بوسنر " .

صاح كولمان : " هراء ، لماذا تنصتون لهذه الاتهامات الموجهة لى ؟ "

" يتبقى السيد إيموت ، ويصلح جداً لأن يكون ويليام بوسنر ، ومهما كان الدافع الشخصى للجريمة ، أدركت أننى لن أعرف ذلك منه ، ولا توجد فرصة لإثارته أو خداعه ليقول معلومات ليدين نفسه . كان الوحيد الذى يعلق بلا حماسٍ عن شخصية السيدة ليدنر . كان يعلم مكانها دائماً . لم أتمكن من معرفة تأثيرها على شخصيته ، وربما كان يغضبها ويثيرها بسلوكه وتوجهه .

من بين كل أفراد البعثة ، فإن السيد إيموت الوحيد هو الذى يصلح لمهارة الجريمة الكاملة فى التوقيت المناسب "

لأول مرة رفع إيموت حاجبيه وعينيه فى دهشة وقال : " شكراً لك " ، وكان صوته به لهجة إعجاب وسخرية .

" يتبقى ريتشارد كارى ورجل الدين لافينى "

" وفقاً للممرضة وشهادتها كان السيد كارى والسيدة ليدنر يكرهان بعضهما البعض تمامًا وكلاهما يراعى الأدب تجاه الآخر بجهد بالغ . لكن الآنسة رايلى ذكرت نظرية متناقضة تمامًا لتفسير الأدب البارد والصلابة المبالغ فيها بينهما .

وسرعان ما فهمت أن تفسيرها هو الصحيح وتأكدت من ذلك بتجربة بسيطة هى إثارة كارى حتى يتحدث بانفعال دون حذر أو تحفظ . لم يكن ذلك صعباً لأنه كان متوتراً جداً ، وهو على وشك الانهيار العصبى الآن . من يعانى فوق طاقته نادرا ما يتمكن من الشجار .

انهارت كل حواجزه على الفور وقال لى بدون شك إنه كان يمقت السيدة ليدنر .

كان لا يكذب بالطبع وكان يمقتها ، لكن لماذا ؟

تحدثت عن النساء ممن لديهن سحر كارثى لكن للرجال سحرهم المماثل أيضاً ، وبأقل جهد قد يجذبون النساء ؛ وهذا نسميه " الجاذبية الجنسية " وكانت

متوافرة لدى كارى بشدة . لكنه كان مخلصاً لصديقه ورئيسه فى العمل ولا يعير أى اهتمام لزوجة رئيسه فى العمل مما أغضبها لأنها تحب السيطرة ـ وقررت أنها ستستحوذ عليه . لكن حدث شىء غير متوقع ووقعت فى فخ الحب ـ لقد أحبت السيدة ليدنر السيد ريتشارد كارى .

وهو لم يستطع مقاومتها . لذلك تحمل حالة عصبية وتوتراً حاداً لأنه ممزق بعاطفتين : حبه الجارف للسيدة ليدنر ، لكنه كان أيضاً يكرهها لأنها تذكره بعدم ولائه لرئيسه . لا توجد كراهية بعمق نحو امرأة جعلتك تحبها رغماً عنك .

لديه كل الدوافع وكان ينتظر اللحظة المناسبة ليقضى على الوجه الجميل الذى سحره بكل قوة طوال الوقت . كنت أشعر أن قتل لويز ليدنر " جريمة حب " وكارى مجرم مثالى لهذا النوع من الجرائم .

مازال هناك شخص مشتبه فيه ـ رجل الدين لافينى . انتبهت له لأنه وصف الرجل الغريب بشكل يختلف عن وصف المرضة له . لابد أن كل الشهادات يجب أن يكون هناك تباين بينها . لكن ليس تبايناً واضحًا جلياً هكذا ؛ وأصر رجل الدين لافينى على أنه رجل أحول ؛ مما يسهل التعرف عليه .

سرعان ما اتضح أن وصف الممرضة صحيح ورجل الدين لافينى وصفه خاطئ ، وكأنه يضللنا عن عمد حتى لا نقبض على الرجل .

إذن فى هذه الحالة فإنه يعرف شيئاً ما عن هذا الرجل الغريب . كان يتحدث معه وذكر لنا ما قاله له .

ماذا كان يفعل العراقى عندما شاهدته الممرضة والسيدة ليدنر ؟ كان يحاول من النافذة الخاصة بحجرتها لكن عندما نظرت وجدت أنهما كانا بحجرة التحف .

بعد الإنذار تجمع الكل فى حجرة التحف ولم يثبت فقدان أى شيء . النقطة الجديدة هنا هى أن د. ليدنر وجد رجل الدين لافينى هناك قبله ، ويقول إنه رأى الضوء ، وهذا مجرد كلامه فقط كما هو .

زاد فضولى عن رجل الدين لافينى ، وشككت أنه فريدريك بوسنر ، وسخر د.ليدنر من الادعاء ودحضه وقال إنه رجل مشهور وقلت له ربما يكون فريدريك بوسنر الذى ظل لمدة ٢٠ عاماً مختفيًا ويصنع لنفسه مجال عمل مختلف ، تحت اسم جديد ، وربما اشتهر أثناء ذلك ! بالتأكيد لم يقض وقته فى دور العبادة والجمعيات الدينية بل هناك حل أبسط بكثير .

هل كان يعلم أحد شكله قبل مجيئه ؟ كلا ، كما هو واضح ، ربما هو شخص ينتحل شخصية رجل الدين . وجدت أن هناك تلغرافاً أرسل إلى قرطاج يعلن نبأ المرض المفاجئ للدكتور بيرد الذى كان سيصحب البعثة ، ومن

السهل منع وصول التلغراف . لم يكن فى البعثة خبير خطوط قديمة ، وقد يدخل رجل ينتحل هذه الشخصية . كان حجم الكتابة الذى عثرت البعثة عليه قليلاً ، وفهمت أن حوارات رجل الدين كانت غير معتادة .

ربما كان مدعياً .

لكن هل كان فريدريك بوسنر ؟

ليس هذا هو الواقع كما تؤكد الظروف وتقع الحقيقة فى اتجاه آخر تماماً .

تحدثت مع رجل الدين لافينى حديثاً مطولاً وأنا على دراية بالعلوم الدينية ، وأعرف عدداً كبيراً من رجال الدين وكل الجمعيات الدينية . بدا لى أن رجل الدين لافينى يمثل دوراً . قابلت شخصيات كثيرة ولم يكونوا من رجال الدين أبداً !

بدأت أرسل التلغرافات .

ثم قدمت لى الممرضة دليلاً مهماً دون أن تشعر . كنا نفحص الحلى الذهبية فى حجرة التحف وذكرت لى أمر الشمع المغلف للأكواب الذهبية الأثرية . صاح رجل الدين لافينى " شمع ! " وكان صوته واضحاً ! عرفته فى الحال ماذا يفعل هنا "

توقف بوارو هنيهة وقال للدكتور ليدنر :

" يؤسفنى يا د. ليدنر أن أخبرك أن زينة الشعر والكأس الذهبية والخنجر الذهبى فى حجرة التحف كلها نسخ مزيفة على يد رجل الدين لافينى ، وعرفت من

تلغرافاتي أنه النصاب " راؤول مينييه " أشهر اللصوص لدى البوليس الفرنسي ومتخصص في سرقة المتاحف والآثار والقطع الأثرية وما شابه . وشريكه علي يوسف خبير المجوهرات من الطراز الأول وتركي الجنسية .
عرفنا مينييه لأول مرة عندما وجدنا بعض قطع متحف اللوفر غير أصلية ـ ثم علمنا أن هناك عالم آثار غير شهير وغير معروف لدى مدير المتحف ويتعامل مع القطع المزيفة ، وعندما قبضنا عليهم نفوا زيارتهم للمتحف في الأوقات المحددة !

كان مينييه في تونس يستعد لسرقة أعمال فنية من إحدى دور العبادة الأثرية لكن تلغرافك وصل واعتذر رجل الدين لافيني الحقيقي عن عجزه لإصابته بوعكة صحية لكن مينييه أخذ تلغراف الاعتذار واستبدل به آخر يفيد القبول ؛ وكان آمناً في ذلك لأن رجال الدين الآخرين إن كانوا يقرءون الجرائد وسمعوا أن رجل الدين لافيني في العراق لظنوها إشاعة .

عندما وصل مينييه وكان شريكه الآخر يعاين حجرة التحف من الخارج كانت خطته هو ترك علامات بالشمع ، وعليّ يصنع نسخاً طبق الأصل وهناك هواة التحف الأصلية يدفعون أثماناً باهظة لأى قطع ثمينة بدون طرح أى سؤالٍ محرج . وفضل لافيني أو مينييه استبدال القطع ليلاً .

حينئذ سمعت السيدة ليدنر صوتاً من حجرة التحف وصرخت ، فاختلق قصة أنه سمع ضجيجاً ورأى نوراً فى حجرة التحف .

استنتجت السيدة ليدنر كل شىء رغم أن الأمور سارت على ما يرام لـ " مينييه " . هل ستدع الفرصة تذهب منها ؟ هذا مناف لشخصيتها وفى الحال بدأت تلقى التلميحات لمضايقة رجل الدين لافينى المزيف بحيث تخبره أنها تشك ولا تعرف ـ فهى لعبة خطرة من النوع الذى تعشقه السيدة ليدنر .

لكنها لعبة خطرة ولعبتها لمدة طويلة . وقد رأى رجل الدين لافينى ما حدث من حقائق وقرر أن يتصرف قبل أن تتأكد هى من أى شىء .

لكن رجل الدين هو راؤول مينييه اللص لكن ـ هل هو القاتل ؟

سار بوارو حول الحجرة ومسح جبهته بالمنديل وقال :
" كان ذلك هو رأيى حتى هذا الصباح . كان هناك ثمانية أشخاص مشتبه فيهم ، ولا أعلم هل هو القاتل يقيناً أم لا

لكن القتل عادة ، ومن قتل مرة وأفلت سيكررها
جريمة القتل الثانية أوقعت المجرم فى يدى .
فى ذهنى طوال الوقت أن أحدكم أخفى عنى معلومات تدين القاتل .
لأنه لو فعل ذلك سيكون فى خطر .

خشيت على المرضة واعتمدت على مقولتها لى لأن لدى شخصية مفعمة بالطاقة ومخًا لماحًا فضوليًا ، وخشيت أن تعرف أكثر مما ينبغى ؛ فيكون ذلك خطراً عليها .

لكن الضحية التالية لم تكن المرضة بل الآنسة جونسون كما تعلمون .

كنت أعتقد أننى توصلت للقاتل بالمنطق والتفكير ، لكن مقتل الآنسة جونسون أكد لى بسرعة ما استنتجته .

تم استبعادها من الاشتباه ـ لأننى لم أوافق ولو للحظة على نظرية انتحارها .

لنفحص حقائق الجريمة الثانية :

الحقيقة رقم واحد : وجدت المرضة الآنسة جونسون تبكى ليلة الأحد الماضى ، ثم حرقت رسالة تظن المرضة أنها بنفس خط خطاب التهديد .

الحقيقة رقم اثنين : قالت المرضة إن الآنسة جونسون كانت تقف فوق السطح فى حالة ذعر شديد وقالت لها : " رأيت كيف يمكن أن يدخل أحد من الخارج ـ بشكل لا يخمنه أحد " . ولم تقل المزيد . وكان رجل الدين لافينى يعبر الفناء ، وكان السيد رايتر عند باب حجرة التصوير .

الحقيقة رقم ثلاثة : قتلت الآنسة جونسون ولم تتمكن من قول أى كلمة سوى " النافذة ــ النافذة ــ "

كانت تلك هى الحقائق وهناك مشكلات تواجهنى الآن :

ما حقيقة الخطابات ؟

ما الذى رأته الآنسة جونسون من السطح ؟

ماذا تقصد بكلمة " النافذة " ؟

لنتناول المشكلة الثانية لأنها أسهل فى حلها . صعدت للسطح مع المرضة حيث وقفت الآنسة جونسون . كان يظهر لنا الفناء والمدخل والجانب الشمالى من المبنى وعضوين من البعثة . هل كانت كلماتها متعلقة برجل الدين لافينى أم السيد رايتر ؟

ثم جاءنى خاطر أن التفسير المحتمل هو إذا جاء غريب من الخارج سيكون متنكراً . ومن هنا ينتحل شخصية أخرى . رجل الدين لافينى ! مع قبعة شمس (أو خوذة) ونظارة شمس ولحية سوداء ورداء رجل الدين الفضفاض ، يمكن لأى شخص متنكر أن يدخل دون لفت الأنظار لكونه غريبًا .

هل ذلك ما عرفته الآنسة جونسون أم عرفت المزيد ؟ هل فهمت أن رجل الدين لافينى مزيف ومتنكر ومدعٍ ؟

من معلوماتى عن مينييه اعتقدت أنه القاتل وتم حل اللغز ، وأنه قتل السيدة ليدنر لكى يخرسها بسبب ما تقوله من تلميحات ستفضحه ، ثم عرف آخر سره ويجب قتله أيضاً .

ثم اتضح كل شىء ! هروب رجل الدين لافينى بدون لحيته وردائه بعد جريمة القتل الثانية . (لابد أن زملاءه يعملون فى سوريا بجواز سفر سليم كتجار) كما قام بوضع

المطحنة الحجرية الملطخة بالدماء تحت فراش الآنسة جونسون .

كدت أرضى بهذا الاستنتاج ؛ لأن الحل المثالى يفسر كل شيء ـ لكن هذا التفسير لا يوضح كل شيء .

مثلاً لا يوضح سبب إشارة الآنسة جونسون وهى تحتضر للنافذة ، ولا يفسر بكاءها على الرسالة وحالتها المرعبة على السطح ـ رعبها ورفضها أن تخبر المرضة بما تشك فيه أو عرفته .

كان هذا الحل مناسباً للحقائق الخارجية وليس الدوافع والمقومات النفسية .

ثم فكرت وأنا فى السطح فى الخطابات والسطح والنافذة ، ثم رأيت ما رأته فجأة !

وفجأة وجدت أننى فهمت كل شيء !

الفصل ٢٨

نهاية الرحلة

نظر بوارو حوله وكل العيون مثبتة عليه . بدا وكأن التوتر قد بدأ يزول ، لكنه عاد فجأة يقول .

" هناك شيء وشيك الحدوث .... الآن ... " .

قال بوارو بهدوء بدون انفعال : " الخطابات ، السطح ، النافذة ..... نعم اتضح كل شيء ـ كل جزء تكامل مع الآخر لحل اللغز .

يوجد ثلاثة رجال لهم عذر لعدم وجودهم في موقع الجريمة وكان هناك عذران غير حقيقيين ، ثم رأيت خطئي الكبير واكتشفت أن العذر الثالث خطأ أيضاً وغير حقيقي ـ لكني كنت مقتنعًا بأنني عرفت القاتل " .

ساد الصمت الثقيل والحيرة وعدم الفهم . لم يتحدث د. ليدنر وبدا غارقاً في عالمه الخاص ، لكن ديفيد إيموت اهتز من التوتر وقال :

" لا أعرف ما الذي تعنيه أو تلمح له يا سيد بوارو . أخبرتك أن د. ليدنر لم يغادر السطح حتى الساعة

٤٥ : ٢ ، وهذه هى الحقيقة الأكيدة وأقسم على ذلك وأنا لا أكذب ، ومن المستحيل أن يكون قد غادر السطح دون أن أراه "

أومأ له بوارو وقال :

" نعم أصدقك ، إنها الحقيقة التى لا شك فيها بأن د. ليدنر لم يغادر السطح . لكن ما رأيته أنا والآنسة جونسون أن د. ليدنر كان باستطاعته قتل زوجته من السطح دون أن يغادره " .

كلنا حدقنا إليه .

" لاحظت النافذة مثل الآنسة جونسون ! كانت النافذة تحتها مباشرة وكانت مؤدية للفناء : كان د. ليدنر وحده حتى الساعة ٣ ولم يكن أحد يراقب حركاته . والمطحنة الحجرية من الأمور التى فى متناول يده . الخطة بسيطة جداً عدا شيء واحد ـ أن تتاح للقاتل الفرصة لنقل الجثة قبل أن يلاحظ أحد أى شيء .... يا لها من خطة جميلة وبسيطة !

أنصتوا ـ تم الأمر هكذا

كان د. ليدنر على السطح يعمل فى الفخار ثم يستدعيك يا سيد إيموت ليخبرك أن الغلام يستغل غيابك ليترك عمله ويخرج من الفناء . يبقيك معه ١٠ دقائق ثم يدعك تنزل لتصيح فى الغلام بينما يبدأ هو فى تنفيذ خطته .

يخرج من جيبه القناع الصلصالى الذى كان يخيف به زوجته سابقاً ، ويدليه عبر سور السطح ليطرق نافذة زوجته .

تذكر أن نافذة الحجرة تطل على الاتجاه العاكس للفناء .

كانت لويز ليدنر ترقد على الفراش شبه نائمة فى هدوء وسلام وسعادة ، ثم يبدأ القناع يطرق نافذتها - فى وضح النهار - ولا يخيفها فتعرف أنها تعرضت لخدعة قاسية ! فلا تخاف بل تغضب . ماذا تفعل أى امرأة فى مكانها ؟ تقفز من الفراش وتفتح النافذة وتمرر رأسها عبر الأعمدة الحديدية لتعرف من يخدعها وتنظر لأعلى .

يكون د. ليدنر فى الانتظار فى وضع الاستعداد والحجر الثقيل معه وفى اللحظة النفسية المناسبة يلقيه ! ثم تنهار الزوجة بصرخة خافتة (سمعتها الآنسة جونسون) وتنهار على السجادة تحت النافذة .

الحجر له فتحة ومرر بها د. ليدنر حبلاً بحيث يرفع الحجر لأعلى ويضعه وسط الآثار على السطح مع جعل الجانب الملطخ بالدماء لأسفل .

ثم يستمر فى عمله ساعة أو أكثر حتى تأتى اللحظة المناسبة للخطة الثانية ، ينزل على السلم ويتحدث لإيموت والممرضة ويعبر الفناء ويدخل حجرة زوجته ، ثم يقول عن نفسه فى التحقيق ما يلى

" رأيت جسد زوجتى بجوار الفراش وشلتنى الصدمة للحظات ثم انحنيت عليها ورفعت رأسها ورأيتها ميتة ومررت عبر الباب بصعوبة وصحت" .

كل هذا الوصف مناسب لرجل حزين حزناً بالغاً ومصدوم . أنصتوا للحقيقة من وجهة نظرى : دخل د. ليدنر الحجرة وأسرع للنافذة وارتدى قفازاً وأغلقها جيداً ثم نقل الجثة بين الباب والفراش ثم لاحظ بقعة الدم البسيطة على السجادة ، وهى حجمها مختلف ولا يمكنه استبدالها فيضعها أمام الحوض وسجادة الحوض تحت النافذة ، فترتبط الدماء بالحوض لا النافذة ـ وهذه نقطة مهمة ؛ لأنه لا يجب أن يظهر أن النافذة لعبت أى دور تماماً . ثم يخرج من الباب ليمثل دور الزوج الذى صدمته فاجعة مقتل زوجته ، وهنا ليس صعباً لأنه كان يحبها " .

صرخ الدكتور رايلى فى حدة ونفاد صبر : " إن كان يحبها فلماذا يقتلها ؟ ما الدافع ؟ تحدث يا ليدنر وأخبره أنه مجنون ! " .

لكن د. ليدنر لم يتحرك أو يتكلم .

قال بوارو : " ألم أقل لكم إنها جريمة عاطفية ؟

لماذا كان الزوج الأول فريدريك بوسنر يهدد بقتلها ؟ لأنه يحبها .... وفى النهاية نجحت خطته ....

لكن حقاً بالفعل ، بمجرد إدراكى أن د. ليدنر هو القاتل فهمت كل شىء ....

بدأت أفكر جيداً وبدأت رحلتى من البداية والخروج الأول للسيدة ليدنر وخطابات التهديد ـ وزواجها الثانى ـ والخطابات التى تمنعها ـ من الزواج بأى رجل ـ لكنها لم تحل دون زواجها من ليدنر . ماذا لو أن د. ليدنر هو فريدريك بوسنر ؟!

لنبدأ الرحلة من وجهة نظر فريدريك بوسنر عندما كان شاباً .

بداية كان يحب زوجته لويز بشكل قوى تثيره امرأة من نوعها ، ثم خانته وحكم عليه بالإعدام ، ثم يهرب ، ويهرب من حادث قطار وينتحل شخصية عالم الآثار السويدى إيريك ليدنر الذى تشوهت جثته وصارت بلا ملامح بعد حادث القطار ، ودفن تحت اسم فريدريك بوسنر .

ماذا كان توجهه الجديد نحو زوجته التى خانته وأرسلته للإعدام ؛ فى البداية ، أهم شىء أنه مازال يحبها ، ثم بدأ يبنى حياة جديدة معها ، لديه قدرات عظيمة وعمل رائع سينجح فيه ، كما أنه لن ينسى حبه الكبير ، ويظل يراقب كل خطوات زوجته ، وهناك عزم وإصرار من نار (تذكرت وصف زوجته له بأنه حنون لكنه قاسى القلب) وقال لها فى خطاب التهديد إنها لن تكون لرجل سواه ، وأرسل لها خطابات تهديد كثيرة إذا ما تقدم أحد لخطبتها ، وقلد خطها حتى لا يشك البوليس فى الأمر إن أبلغت عن الرسائل ؛ لأن البوليس يصدق

ظاهرة أن بعض النساء قد يرسلن رسائل مجهولة لأنفسهن مليئة بالمشاعر والعنف ، وقد يعرف البوليس ذلك من تشابه الخطوط ، وفى نفس الوقت يدعها فى شك إذا ما كان حيًّا أم لا

بعد ذلك يشعر أن الوقت مناسب ويدخل حياتها وتسير الأمور ولا تتعرف زوجته على شخصيته الحقيقية . إنه عالم آثار شهير . تحول الشاب الوسيم منتصب القامة إلى كهل فى منتصف العمر وله لحية وظهره منحن ، ثم يعيد التاريخ نفسه ، يسيطر فريدريك على لويز وتوافق على الزواج منه ولا تأتى خطابات تهديد .

لكن لماذا جاءت الرسائل بعد عامين ؟ لم يكن ليترك أى فرصة لكشف شخصيته .

لم يرغب فى أن تكون العلاقة الحميمة فى الزواج سبباً فى إحياء ذكريات سيئة ، ويريد أن يثبت لها أن إيريك ليدنر وفريدريك بوسنر شخصيتين مختلفتين ، ثم يأتى خطاب تهديد من بوسنر بسبب زواجها من ليدنر ـ ثم محاولة الاختناق بالغاز الفاشلة ورتبها د. ليدنر بالطبع لكن لخدمة هدفه .

بعد ذلك شعر بالرضا وواصل حياته بسعادة معها ولم يرسل أى خطابات تهديد .

لكن بعد ذلك ، بعد عامين ، عادت الخطابات .

بالطبع أعلم السبب ؛ لأن التهديد كان حقيقياً ، (لهذا خافت السيدة ليدنر لأنها تعلم طبيعة فريدريك

الحنونة ولكن القاسية) ولقد وقعت فى المحظور عندما سلمت نفسها لريتشارد كارى ؛ فقرر أن يقتلها .

ثم بعد أن اكتشف أنها تحب كارى جهز موقع الجريمة بهدوء وبدم بارد .

هل رأيتم أهمية وجود الدور الذى لعبته المرضة ؟ سلوك د.ليدنر الغريب (الذى حيرنى فى البداية) فى توفير خدمة طبية لزوجته عن طريق المرضة له مبرر . فمن المهم طبيًا إثبات أن الوفاة حدثت قبل ساعة من نزول د. ليدنر من السطح واكتشافه لجثة الزوجة ، بالتالى سيقسم الجميع على أنه لم يغادر السطح وقت وقوع الجريمة ، وينفى شك أنه قتلها بعد دخول الحجرة عندما يدخل ويجد الجثة ـ هذا كله يتبدد عندما تقول ممرضة محترفة مدربة إن الوفاة حدثت منذ ساعة .

هناك شىء يفسر حالة التوتر الغريبة وسط أعضاء البعثة هذا العام . هذا لا يعود لتأثير الزوجة فقط وهذا ما خمنته . ظلت البعثة سعيدة واشتهر أعضاؤها بسمعتهم كأصدقاء ناجحين فى العمل ، كل هذا بسبب رئيسها د. ليدنر لأنه كان صاحب شخصية رائعة للباقته وحكمه على الأمور وتعامله بعطف مع من حوله فساد جو سعيد .

وبالتالى يرجع التغيير فى العام التالى لرئيس البعثة ـ أى د. ليدنر وليس زوجته ؛ فهو المسئول عن التوتر الذى ساد طوال الفترة التالية . لذلك أحس أفراد البعثة بجو القلق ولم ينسبوه له ولم يفهموه ؛ لأنه من الخارج ظل

لطيفاً كما هو لكن الرجل الحقيقى منهمك فى إعداد خطة القتل .

بالنسبة للجريمة الثانية ـ الآنسة جونسون . عندما كانت ترتب أوراق د. ليدنر (مهمة تفعلها دون أن يطلب منها لأنها تحبه) فوجدت أى مسودة لخطابات التهديد .

لابد أن هذا هزها داخلياً بشدة ولم تفهمه ! لأنها أدركت أنه يرهب زوجته ! لم تفهم ذلك ـ لكنها حزنت جداً ثم اكتشفت المرضة بكاها ليلاً .

لم أظن أنه القاتل حينئذ ، لكن تجربتى فى الأصوات فى حجرات السيدة ليدنر ورجل الدين لافينى أوضحت أن السيدة ليدنر هى التى صرخت ، وكانت نافذتها مفتوحة ، وتتذكر هذا لكن اعتقدت أنها معلومات غير مهمة .

وأخذ عقلها يعمل وتوصلت للحقيقة ، وربما لاحظت موضوع الخطابات وفهمت سر تغيير سلوك د. ليدنر وعرفت أنه خائف .

ربما قالت لنفسها : " مستحيل أن يقتلها لأنه كان فى السطح طوال الوقت " .

ثم احتارت وفكرت فى الأمر وهى على السطح ثم أدركت الحقيقة فجأة ، وهى أن السيدة ليدنر قتلت من النافذة المفتوحة ، ثم جاءت المرضة ورأت الرعب فى عينيها .

ثم لجأت لتمويه الموضوع لأنها تحب د. ليدنر ولم تخمن المرضة ما عرفته ؛ لأنها حرصت على إخفاء اكتشافها المرعب .

ثم نظرت عن عمد فى الاتجاه المعاكس (نحو الفناء وعلقت على ظهور رجل الدين لافينى وهو يعبر الفناء .

رفضت قول المزيد وقررت أن تفكر فى الأمر .

وكان يراقبها د. ليدنر وأدرك أنها كشفت الأمر ؛ لأنها ليست من نوع النساء الذى يجيد إخفاء الرعب الخاص بها منه .

من الجائز أنها لم تفضحه لكنه لن يدع أى شىء للفرص ، ولا يعرف إلى أى مدى يمكنه الاعتماد عليها .

القتل عادة ؛ فوضع كوب الماء مكان الحمض ليبدو الأمر انتحاراً ؛ لأنها ندمت على جريمة القتل الأولى ، ووضع سلاح الجريمة تحت فراشها لتأكيد الفكرة .

لابد أنها عندما كانت تحتضر ، كانت المسكينة تريد الإشارة لمعلومة النافذة التى قتلت منها السيدة ليدنر وليس الباب ـ بل عبر النافذة .

هكذا شرحت لكم كل شيء ، وكل شىء مقنع عقلياً ومنطقياً ونفسيًا .

لكن بلا دليل تماماً ! " .

لم يتحدث أحد منا من فرط الرعب والصدمة والدهشة والشفقة أيضاً ..... .

لم يتحرك د. ليدنر أو يتحدث بل جلس لم يحرك ساكناً كما كان في بداية الأمر ، وبدا كرجل عجوز منهك القوى .

فجأة قال متلعثماً : " نعم ، لا يوجد دليل ، لكن لن أنكر الحقيقة .... لن أنكرها ... أنا سعيد . لقد كنت متعباً جداً .... "

ثم قال ببساطة : " آسف بشأن آن . كان ذلك سيئاً وبدون تعقل ـ لم أكن أنا السبب ! بل الخوف .... " .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة بشفتيه الملتويتين من الألم ، وقال :

" ربما قد يكون بإمكانك أن تكون عالم آثار جيدًا يا سيد بوارو . أنت تجيد إحياء الماضي كموهبة خاصة .

لقد تم ما حدث بالفعل كما وصفته يا سيد بوارو .

كنت أحب لويز وقتلتها ... لو أنكم عرفتموها كما أعرفها ... لا أظن أنكم تفهمون شيئاً في هذا الأمر ... " .

الفصل ٢٩
المبعوث

لم يبق الكثير لكى أقوله .

لقد تم إلقاء القبض على رجل الدين المزيف والرجل الآخر عندما حاولا الهرب على متن باخرة فى بيروت .

تزوجت شيلا رايلى من إيموت ، وكان هذا فى صالحها ؛ فهو ليس خانعاً أو خاضعاً وسيعلمها الأدب . لقد كانت تهين كولمان المسكين لأنه خانع وخاضع .

لقد مرضته بالمناسبة عندما أصيب بالزائدة الدودية منذ عام ، وأحببته للغاية كأخ وأرسله أهله لمزرعة فى جنوب إفريقيا .

لم أسافر للشرق مرة أخرى . لكن طالما تمنيت تكرار السفر مرة أخرى إلى الشرق . أفكر كثيراً فى نعير الساقية والنساء اللاتى يغسلن الثياب فى النهر ، ونظرات الجمال الغريبة ـ وأشعر بالشوق لهذه المنطقة .

كان د. رايلى يزورنى كلما جاء إلى إنجلترا , وكما قلت فهو الذى أدخلنى فى كل ما حدث , وقلت له

" كما تريد سأكتب كل ما حدث ، لكن اعلم أنني لا أجيد الكتابة ـ لكن هذا كل شيء " .

تناول ما كتبته ولم يزد عليه حرفاً ، وعندما يطبع سينتابني شعور غريب ، هذا إن طبع .

عاد بوارو لسوريا بعد أسبوع وفي طريقه للوطن تدخل لحل قضية جريمة قتل في قطار الشرق السريع . إنه ماهر ، ولا أنكر ذلك ، لكني لن أغفر له اتهامي كما فعل يوم أن كشف القاتل . كان يلعب بأعصابي ويدعي أنني قد أكون متورطة في الجريمة ، وأنني لست ممرضة في الأساس .

أحياناً يتعامل الأطباء هكذا ، ويمزحون ويسخرون ، ولا يفكر بعضهم في مشاعر الممرضة !

فكرت في السيدة ليدنر وشخصيتها الحقيقية .... ربما شعرت أنها امرأة بشعة ـ وأحياناً أتذكر كم كانت لطيفة ورقيقة معي وكم كان صوتها رخيماً ـ وشعرها الأشقر الجميل وكل جمالها الأخاذ ـ وربما كانت تستحق الشفقة لا اللوم ...

أنا أشفق أيضاً على د. ليدنر ، لم أقاوم شفقتي عليه ، أعلم أنه قتل مرتين ، لكن لا فرق ، كان يحبها بكل كيانه وقلبه لدرجة قاتلة وخطيرة .

إلى حد ما ، بينما كبرت سني ، وكلما رأيت الناس والألم والحزن والمرض ، وكل شيء ، ينتابني شعور بالشفقة أكثر للجميع . لا أعلم ماذا حدث للمبادئ

الصارمة التى لقنتها لى عمتى وربتنى عليها ؛ سيدة متدينة بشكل خاص ، لكنها كانت تعلم كل عيوب الجيران !

لقد قال د. رايلى الحقيقة بالفعل ؛ كيف يتوقف المرء عن الكتابة ؟ كيف أجد خاتمة معبرة ؟!

سأسأل د. رايلى عن تلك العبارة الجميلة .

إنها العبارة التى استخدمها بوارو .

ما هى ؟ تذكرتها :

بسم الله الرحمن الرحيم .